

منتدى أدبي ثقافي أسس بجدة عام ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م

الأعمال الشعريّة والنثريّة الكامِلة
للشاعر والأديب الكبير
حسين عبدالله سراج

الجزء الأول





كتاب الاثنينية
(١٨)

الأعمال الشعريّة والنثريّة الكاملة

للشاعر والأديب الكبير
حسين عبد الله سراج

الجزء الأول
الشعر

الناشر
عبد المقصود محمد سعيد خوجه
جدة

ح عبدالمقصود خوجه ، ١٤٢٤هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

سراج ، حسين عبدالله

الأعمال الأدبية الكاملة / حسين عبدالله سراج .- جدة ١٤٢٤هـ

٥٣٠٨ص ؛ ١٧×٢٤سم (ج١ ، ٤٢٤ص ؛ ١٧×٢٤سم)

ردمك ٨-٩٣٤-٤٣-٩٩٦٠

١ - الأدب العربي أ- العنوان .

ديوي ٨١٠,٨ ١١٢٢/ ١٤٢٤

رقم الإيداع : ١١٢٢/ ١٤٢٤

ردمك : ٨-٩٣٤-٤٣-٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م

صدرت هذه الأعمال بمناسبة "مكة المكرمة" عاصمة الثقافة الإسلامية

الناشر

عبدالمقصود محمد سعيد خوجه

جدة



الشاعر والأديب الكبير حسين عبدالله سراج



بمناسبة اختيار

مكة المكرّمة عاصمة للثقافة الإسلامية

لعام ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م،

أهدي هذا العمل لمؤلفي

"وحي الصحراء":

والدي

محمد سعيد عبدالمقصود خوجه

و رفيق دربه

عبدالله عمر بلخير

–يرحمهما الله –

فهرس

الأعمال الشعريّة والنثريّة الكامِلة

الجزء الرابع/ المسرحيات الإذاعية

(أمجاد الجزيرة – تتمة الجزء الثالث) ______________

الجزء الخامس / المسرحيات الإذاعية

(أصحاب محمد ﷺ) ____________________________

الجزء السادس/ المسرحيات الإذاعية

(مكة المكرمة عبر التاريخ) ______________________

الجزء السابع/ المسرحيات الإذاعية

(سر النجاح) ____________________________________

الجزء الثامن/ المسرحيات الإذاعية

(رحلة خيال – أمتنا الإسلامية في الصومال –
فلسطين – العودة إلى المنبع) ___________________

الجزء التاسع/ المسرحيات الإذاعية

(يوميات صائم – مسابقة رمضان – عمر بن أمية
الضمري – نور وهداية) __________________________

الجزء العاشر/ المسرحيات الإذاعية

(صراع مع الأيام – لبيك اللهم لبيك – العين
الساهرة – أنوار اليقين – قصة الفداء – اللحن
الحزين – الحنان القاتل). ______________________

فهرس المحتويات

المقدمة

لقد ازدهرت «الاثنينية» وواصلت مسيرتها وهي تمتح من معين النور في مكة المكرمة مستلهمة فضائل أم القرى من موقع انعقاد فعالياتها بجدة «بوابة الحرمين الشريفين». . وكان لا بد لهذا القرب الجغرافي من إلقاء ظلاله على ما يمكن أن يقدمه هذا المنتدى في مناسبة تاريخية مثل اختيار مكة المكرمة عاصمة للثقافة الإسلامية، وإن كانت مكة المكرمة دائماً وأبداً موئل العطاء وإشعاع الثقافة والفكر منذ نزول «اقرأ» بغار حراء على سيد الخلق وخاتم الأنبياء سيدنا محمد ﷺ.

والحمد لله الذي ألهمني التوجه إلى بر والدي، وصديق عمره معالي الشيخ عبد الله بلخير «رحمهما الله». . . ذاكراً فضل معاليه عليَّ بالتوجيه والرعاية في دروب الحياة المختلفة. . فقد غرسا في نفسي بطريقة مباشرة أو غير مباشرة حب الكتاب. . . وكانت البذرة التي أخرجت ما تيسر من السنابل والحبوب كتابهما القيم (وحي الصحراء) الذي صدرت طبعته الأولى عام ١٣٥٥هـ، بصفته أول عمل أدبي معاصر يرصد جانباً من نتاج أدباء الحجاز بتراجمهم ونماذج من أعمالهم. . وقد أعادت «تهامة» طباعته للمرة الثانية عام ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

وكان من فضل الله بما أفضلت به «تهامة» في قمة عطائها إصدار كتاب «محمد سعيد عبد المقصود خوجه حياته وآثاره» للأستاذ الدكتور محمد بن

سعد بن حسين، من سلسلة الكتاب العربي السعودي، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.. ثم شرفت بإصدار سلسلة [كتاب الاثنينية] كرافد يوازي [سلسلة أمسيات الاثنينية] وتحت مظلته صدر كتاب «عبد الله بلخير شاعر الأصالة والملاحم العربية والإسلامية» للأستاذ محمود رداوي، في طبعاته: الأولى عام ١٤١١هـ/١٩٩١م، والثانية ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، والثالثة ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.. وأردف بكتاب «عبد الله بلخير يتذكر» للدكتور خالد باطرفي (ط١ ـ ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م) ثم كتاب «الغربال» للأستاذ حسين الغريبي (ط١ ـ ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).. ثم كتاب «الأعمال الكاملة للشاعر أحمد إبراهيم الغزاوي» الذي صدرت طبعته الأولى في ستة أجزاء (١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).. وكتاب «المجموعة الكاملة لآثار الأديب السعودي محمد سعيد عبد المقصود خوجه» للأستاذ حسين الغريبي (ط١ ـ ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م) ـ وبين هذه الإصدارات وبعدها ـ أصدر [كتاب الاثنينية] مجموعة أخرى، إلا أن التي نوهت عنها ذات ارتباط مباشر بكتاب «وحي الصحراء» الذي استلهمت منه فكرة الأعمال الكاملة لكل أديب أسهم فيه بأنموذج من أعماله.

وبدأت مرحلة شاقة من البحث، وحصر الأعمال، التي كان معظمها متناثراً أو لدى الورثة الأفاضل الذين حافظوا عليها مشكورين، واستجابوا للإعلانات التي نشرتها في مختلف الصحف، إلى أن تجمعت حصيلة طيبة خضعت لمعايير صارمة من المراجعة والتدقيق أثناء مراحل الطباعة المختلفة... وقد أكرمنا الله عز وجل بطباعة هذه الكتب التي تقدمها «الاثنينية» بكل اعتزاز بمناسبة اختيار مكة المكرمة عاصمة للثقافة الإسلامية ما بين عامين وعام من المناسبة المذكورة، وظلت في المستودعات لترى النور وتتلازم مع هذه الفعاليات.. ويسعدنا تقديم:

- الأعمال الكاملة للأستاذ حسين عبد الله سراج (١٠ أجزاء).
- أخبار مكة للأزرقي (جزءان في مجلد واحد).

ـ الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ عبد الحق بن عبد السلام النقشبندي (جزء واحد).

ـ الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ عبد الحميد عنبر (جزء واحد).

ـ الأعمال الشعرية والنثرية للأديب الشاعر الأستاذ أحمد العربي (جزء واحد).

ـ الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ عزيز ضياء (٥ أجزاء).

ـ الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ عبد الوهاب إبراهيم آشي (جزء واحد).

ـ الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ محمد حسين زيدان (٧ أجزاء).

ـ الأعمال الشعرية الكاملة للأديب الأستاذ محمد صالح باخطمة (جزء واحد).

ـ الأعمال الشعرية والنثرية الكاملة للأستاذ محمد إسماعيل جوهرجي (٥ أجزاء).

ـ الأعمال الكاملة للأديب الدكتور عاصم حمدان علي (٤ أجزاء).

ـ الأعمال الشعرية الكاملة للأستاذ مصطفى زقزوق (جزء واحد).

ـ الأعمال الكاملة للأستاذ إبراهيم أمين فودة (٤ أجزاء).

ـ الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ محمد عمر عرب (جزء واحد).

ـ الأعمال الكاملة للأديب عبد الله عبد الرحمن الجفري (٤ أجزاء).

ويلاحظ القارىء الكريم أن هناك أعمالاً لم تكن ضمن كتاب «وحي الصحراء» إلا أن أصحابها الأفاضل لهم ريادة وعلاقة وثيقة بهذا التوجه... أي إنها تنصهر كلها في بوتقة حب مكة المكرمة زادها الله تشريفاً وتعظيماً.

سائلاً الله سبحانه وتعالى أن ينفع بها المسلمين ويجعلها خيراً يسهم في إثراء مكتبتنا العربية والإسلامية.

والله الموفق وهو من وراء القصد،

عبد المقصود محمد سعيد خوجه

كلمة الناشر

بقلم: عبد المقصود محمد سعيد خوجه

إنهم فتية آمنوا برسالتهم.. ظل الكتاب هاجسهم، والحلم الوردي يحدوهم لعطاء ينافس ما شحذ هممهم من خلال النزر اليسير الذي يردهم عبر الحدود، على مدى سنوات من المحاولات شعروا أن عودهم قد قوي بما فيه الكفاية ليعبروا عن مكنون أنفسهم شعراً ونثراً، غير أن أثرهم ما فتىء ضعيفاً في محيطهم إذا قيس بالضوء الباهر الذي ينثال عليهم من عمالقة الأدب والشعر والفكر والثقافة، وبالرغم من ذلك ظل التمرد ينبض في عروق أولئك الفتية، فشغلوا أوقاتهم بمزيد من الاطلاع والمحاولات التي يتم تداولها من خلال وريقات تدور بين الأصدقاء إلى أن تختفي في ركن قصي أو مكتب مجهول، فقد كانت وسائط النسخ والطباعة شحيحة لا تواكب التطلعات الكبيرة التي تخفق بين جنباتهم، فهل إلى خروج من سبيل؟ ضاق رحم الإبداع على المخلوق الأدبي الذي تكونت أعضاؤه، ونما وترعرع، واكتملت ملامحه، فكان لا بد من الخروج بأية وسيلة كانت، ومهما اجترح الفتية من هموم وعناء ونصب.

وأخيراً تحققت آمالهم بإصدار كتاب بعنوان «وحي الصحراء» حمل عبء نشره والدي محمد سعيد عبد المقصود خوجه، وصديق عمره معالي الشيخ

عبد الله بلخير، «رحمهما الله». . جمعا بين دفتيه نماذج من شعر ونثر اثنين وعشرين أديباً من منطقة الحجاز، وكتب مقدمته الأديب الكبير الأستاذ محمد حسين هيكل. . لقد جاء ذلك الكتاب ليسهم في إسقاط نقطة ضوء عبر نفق طويل، ويشكل درجة في سلم البدايات الصعبة، تجشم ناشراه والمشاركون فيه الكثير من المشقة حتى رأى النور أخيراً عام ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م.

لقد أطل شاعرنا الكبير الأستاذ حسين عبد الله سراج، فتياً، طلق المحيا، بين أولئك الأساتذة الأفاضل الذين عطّروا بحروفهم صفحات ذلك السفر الذي أسفر كالصبح في زمن عزفَ فيه الكتاب، وقد اختار بعض قصائده لتقف مع إبداع كبار الشعراء أمثال الأساتذة أحمد إبراهيم الغزاوي، وأحمد قنديل، وحسين سرحان، ومحمد حسن فقي، وغيرهم من الأصوات المتألقة في ذلك الوقت، بينما كان شاعرنا ـ الذي أشرُفُ بنشر أعماله الكاملة ـ في ميعة الصبا، وأواخر دراسته بالجامعة الأمريكية ببيروت عام ١٩٣٦م.

يمتاز شاعرنا بجرأة لا يستهان بها، وثقة بالنفس كبيرة، ليقف صِنواً لجهابذة الشعر والنثر في الحجاز، في وقت يتهيب فيه الكثيرون مثل تلك المواقف، وللقارىء الكريم أن يقف على عطاء تلك الحنجرة وهي على أعتاب البدايات، مما يذكرني ببعض فحول الشعراء الذين توقدت قرائحهم وهم في ريعان الشباب، ومنهم طرفة بن العبد، وأبو القاسم الشابي.

دفع شاعرنا نتاجه إلى ساحة النشر وهو في الرابعة والعشرين من عمره، ولنا أن نتوقع أن يتراوح شعره بين الوطني والغزلي، فتلك شيمة الشباب الذين تشرئب أعناقهم نحو العلا متطلعين لرقي الأوطان صوب ذرى المجد، وتعتمل صدورهم بالحب، وتذخر قواميسهم بمفردات الغرام، فجاءت قصائده التي شارك بها في كتاب «وحي الصحراء» بعناوين: إلى الشباب الحجازي

الناهض، الحب، تعالى، الجامعة الوطنية، إليها.. وأحسب أنه قد استمر في هذا النهج مع ميل كبير نحو الشعر العاطفي الغزلي، والمتتبع لأسلوب شاعرنا الكبير يجد أنه كاد يحافظ على وتيرة واحدة في التناول والإفصاح عن مكنون نفسه، مع توسع مستمر في قاموسه اللغوي مما مكنه من ارتياد آفاق أوسع في الشعر الغزلي، فكلما قطع شوطاً زادت إمكاناته اللغوية وموسيقاه الداخلية فاستطاع أن يتوغل غير هياب ولا وجل في تجربته الشعرية الثرية التي امتدت حتى يومنا هذا.

ما ناهز الأربعين إلا وكان شاعرنا قد تولى حقيبة وزارية في الحكومة الهاشمية، ونال لقب «الباشوية».. بيد أن هذه الأركان الاجتماعية لم تستطع حجبه عن حبه الكبير وعالمه الشعري المسحور، بل اندفع إلى أعمق من ذلك في توظيف الشعر لخدمة النص المسرحي، مما يشكل عبئاً مزدوجاً على المبدع، ذلك أن الشعر في حد ذاته رسالة ومسؤولية جسيمة، في حين أن المسرح عالم ينوء بحمله رجالاته ومن نشأوا على خشبته وبين كواليسه.

هذا الاهتمام المبكر بالمسرح والتمثيل من شخصية لها وزنها الرسمي والاجتماعي، أمر يؤكد عمق ثقافته وارتباطه بمحيطيه الإقليمي والدولي، في الوقت الذي كان المسرح بمفهومه المعاصر لا يعني شيئاً لكثير من مواطني شبه الجزيرة العربية، وقد ساهم بعدة مسرحيات شعرية منها: «الظالم نفسه» وللأسف فقدت بعد تمثيلها في عمان ـ الأردن ـ عام ١٩٣٢م، ولم يقف لها المؤلف على أثر.. أما مسرحية «جميل وبثينة» فقد لاقت نجاحاً طيباً عندما مثلت في عمان عام ١٩٤٠م في أول دار للسينما أنشئت بعمان، وللأسف كان نجاحها وبالاً على مؤلفها، من ناحية أخرى، فقد تسببت في حرمانه من الترقية في وظيفته كسكرتير لوزارة الداخلية لمدة أربع سنوات، كما لم توافق الجهات المختصة آنذاك على طباعتها.. وبعد إحالته على التقاعد عام

١٩٥٢م، عمل على إعادة كتابتها وإعداد سيناريو لها بمساعدة الفنان التشكيلي المتعدد المواهب يوسف زكي فرنسيس، وجعلها مسلسلاً من ثلاث عشرة حلقة بعنوان «الحب لا يموت» ثم مسرحية «غرام ولادة» التي جاءت في ثوب قشيب، وحوار شعري سلس، مع تبويبها في ترتيب مسرحي يضع البصمات الأولى للإخراج بشكل تلقائي يشير إلى مدى تفاعل الكاتب مع النص الإبداعي، ذلك التفاعل الذي يوضح مواضع الضحك، والغضب، والموسيقى الخلفية، ورفع الستار وإسداله، وحركة الممثلين على خشبة المسرح.. الخ.. وكلها توحي بتكامل عناصر الفنان في شخص شاعرنا الكبير، والذي تؤكد محاولاته أن إمكاناته الفنية قد تصل إلى وضع تصور معين لتلحين بعض النصوص الشعرية التي تنبض بها مسرحيته.. ومن فيض هذا الحب يتضح لنا مدى استئثار كتابة الشعر المسرحي بجانب كبير من اهتمامات شاعرنا.. غير أن هناك جوانب أخرى تلح في وجدانه، وتشف عنها كلماته الرقيقة التي سكبها في عصارة أعماله الشعرية والنثرية المختلفة.

هذا الزخم والتكامل الفني يقودنا إلى موقف الشاعر من المسرح، ولعلّ من أبرز من تناول هذا الفن الرفيع الشاعر الكبير أحمد شوقي، وصلاح عبد الصبور، ومعين بسيسو، وعبد الرحمن الشرقاوي، وعلي أحمد باكثير، ومحمد إبراهيم أبو سنة، وإبراهيم العريض، والدكتور خالد محي الدين البرداعي.. وغيرهم.

مما لا شك فيه أن تسخير النص الشعري لخدمة المسرح، أو العكس.. توظيف المسرح لخدمة النص الشعري.. ترقى بالعلاقة بين الطرفين في تكامل يؤدي في النهاية إلى غرس وتزاوج جماليات السابق واللاحق بما يتسامى بوجدان المتلقي.. وتلك غاية يسعد بها كل مبدع.. فهنيئاً لأستاذنا وشاعرنا الكبير حسين عبد الله سراج المساهمة في إسراج هذا التوجه الثقافي

الرائع، وكتابة اسمه في سجل الرواد الذين سيذكرهم تاريخ الشعر المسرحي بكل عرفان وامتنان.

وقد فوجئت بالكم الهائل من نتاج أستاذنا الكبير، الذي تنوّعت حقوله بين المسرحية الإذاعية، والشعرية، والقصص، والمقالات.. ففي الوقت الذي كنت أحسب مجمل أعمال أستاذنا الكبير لا تتعدى مجلدين أو ثلاثة، وجدته يصل إلى عشرة مجلدات تضمنت ما أشرت إليه آنفاً من إبداعات.. وهذا مؤشر على أن التنقيب، والبحث، وتضافر الجهود، كفيلة بإظهار كنوز من الإبداعات التي لولا تلك الجهود لذهبت سدى، واختفت إلى الأبد من خارطة أدبنا المعاصر، ولحرمت الأجيال اللاحقة من الاستفادة منها والاستمتاع بذخائرها وروائعها التي تشكل إضافة حقيقية إلى المكتبة العربية.

وبعد هذه السياحة السريعة في بعض أوجه العطاء التي تميز بها شاعرنا الكبير، وتدلت ثمارها اليانعة بين أيديكم، أرجو أن تجدوا المتعة والفائدة في صحبتها، وأن تشغل جانباً من مكتبتنا العربية، وعلى أمل التواصل معكم في مجموعات أخرى من إبداعات أساتذتنا الأفاضل الذين اشتمل كتاب «وحي الصحراء» على جوانب من عطائهم الأدبي.. بالإضافة إلى ثلة من الأساتذة الذين سيتم إدراج أعمالهم الكاملة بمشيئة الله ضمن هذه الإصدارات التي ستنشر متلازمة بمناسبة اختيار مكة المكرمة عاصمة للثقافة الإسلامية عام ١٤٢٥هـ الموافق ٢٠٠٥م.. ومنهم الأستاذان الكبيران محمد حسين زيدان «رحمه الله» والشاعر الفذ محمد إسماعيل جوهري.

والله من وراء القصد..

عبد المقصود محمد سعيد خوجه

جدة: ١٤٢٤هـ الموافق ٢٠٠٤م

إصدارات كتاب الاثنينية

١ ـ ديوان (الأعمال الكاملة).

لمعالي الأستاذ أحمد بن محمد الشامي، (رقم ١) الطبعة الثانية ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

٢ ـ كتاب (عبد الله بلخير شاعر الأصالة والملاحم العربية والإسلامية).

لمؤلفه الأستاذ محمود رداوي، (رقم ١/١) الطبعة الرابعة ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

٣ ـ ديوان (عاصفة الصحراء).

للشاعر الأستاذ محمود عارف، (رقم ١/ ٢) الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

٤ ـ ديوان (الأربعون).

للأستاذ عبد السلام هاشم حافظ، (رقم ١/ ٣) الطبعة الثانية ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

٥ ـ ديوان (قلبي على وطني)

للشاعر العراقي الأستاذ يحيى السماوي، (رقم ١/ ٤) الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

٦ ـ كتاب (جرح باتساع الوطن).

للشاعر الأستاذ يحيى السماوي، (رقم ١/ ٥) الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

٧ ـ ديوان (حصاد الغربة)

للشاعر العراقي الدكتور زاهد محمد زهدي، (رقم ٦/١) الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

٨ ـ ديوان (الأعمال الكاملة)

للأستاذ الراحل زكي قنصل، (رقم ٢) الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

٩ ـ كتاب (البهاء زهير)

للأستاذ المرحوم محمد إبراهيم جدع، (رقم ٣) الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

١٠ ـ كتاب (التوازن معيار جمالي)

للأستاذة غادة بنت عبد العزيز الحوطي، (رقم ٤) الطبعة الثانية ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

١١ ـ كتاب (سوانح وآراء)

للأستاذ الدكتور بدوي طبانه، (رقم ٥) الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

١٢ ـ كتاب (ترجمة حياة)

لمعالي الأستاذ محمد حسن فقي، (رقم ٦) الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

١٣ ـ ديوان (قوس قزح)

لفضيلة معالي الدكتور الشيخ أحمد الزرقاء، (رقم ٧) الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

١٤ ـ كتاب عبد العزيز الرفاعي من المهد إلى اللحد (الجزء الأول).

للأستاذ الشاعر أحمد سالم باعطب، (رقم ٨) الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

١٥ ـ كتاب عبد العزيز الرفاعي من المهد إلى اللحد (الجزء الثاني)

للأستاذ الشاعر أحمد سالم باعطب، (رقم ٨) الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

١٦ ـ ديوان الأعمال الكاملة (الجزء التاسع)

لمعالي الأستاذ محمد حسن فقي، (رقم ٩) الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

١٧ ـ ديوان (أوراق من هذا العصر)

للشاعر الدكتور خالد محي الدين البرادعي، (رقم ١٠) الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

١٨ ـ ديوان (زمن لصباح القلب)

للشاعر فاروق بنجر، (رقم ١١) الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

١٩ ـ الشعراء في إخوانياتهم

للأستاذ خالد القشطيني، (رقم ١٢) الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٢٠ ـ عبد الله بلخير يتذكر

للأستاذ خالد باطرفي، (رقم ١٣) الطبعة الثانية ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

٢١ ـ كتاب (الغربال)

للأستاذ حسين عاتق الغريبي، (رقم ١٤) الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

٢٢ ـ ديوان (حلم طفولي)

للأستاذ سعد البواردي، (رقم ١٥) الطبعة الثانية ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

٢٣ ـ كتاب (الأعمال الشعرية الكاملة وأعمال نثرية)

للشاعر أحمد بن إبراهيم الغزاوي، (رقم ١٦) الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

٢٤ ـ المجموعة الكاملة لآثار الأديب السعودي الراحل محمد سعيد عبد المقصود خوجه

إعداد وتقديم الأستاذ حسين عاتق الغريبي (رقم ١٧) الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١م.

٢٥ ـ الأعمال الكاملة للشاعر والأديب الكبير حسين عبد الله سراج رقم (١٨)
الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٤م.

٢٦ ـ أخبار مكة للأزرقي رقم (١٩)، الطبعة الثانية ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م

٢٧ ـ الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ عبد الحميد عنبر رقم (٢٠)
الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٢٨ ـ الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ عبد الحق بن عبد السلام النقشبندي رقم (٢١)،
الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٢٩ ـ الأعمال الشعرية والنثرية للأديب الشاعر الأستاذ أحمد العربي رقم (٢٢)،
الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٣٠ ـ الأعمال الشعرية والنثرية الكاملة للأستاذ محمد إسماعيل جوهرجي رقم (٢٣)،
الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٣١ ـ الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ محمد حسين زيدان رقم (٢٤)
الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٣٢ ـ الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ عبد الوهاب إبراهيم آشي رقم (٢٥)
الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٣٣ ـ الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ عزيز ضياء رقم (٢٦)
الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٣٤ ـ الأعمال الشعرية الكاملة للأديب الأستاذ محمد صالح باخطمة رقم (٢٧)
الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٣٥ ـ الأعمال الكاملة للأديب الدكتور عاصم حمدان علي رقم (٢٨)
الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٣٦ ـ الأعمال الشعرية الكاملة للأستاذ مصطفى زقزوق رقم (٢٩)
الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٣٧ ـ الأعمال الكاملة للأستاذ إبراهيم أمين فودة رقم (٣٠)
الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٣٨ ـ الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ محمد عمر عرب رقم (٣١)
الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٣٩ ـ الأعمال الكاملة للأديب عبد الله عبد الرحمن الجفري رقم (٣٢)
الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

السيرة الذاتية

ولدت بالطائف في شهر جمادى الأولى ١٣٣٢هـ الموافق ١٩١٢م كنّا في أملاكنا ومزارعنا بها.

والدتي مكية منحدرة من أب (سندي) هندية الأصل وأمها كانت مصرية ومن هذا الخليط جئت إلي هذه الدنيا.

وقد توفيت والدتي عقب ولادتها لشقيقتي وأنا لمَّا أبلغ الثانية من العمر ولذلك فأنا لا أعرف لا لون ولا شكل والدتي يرحمها الله، وربتني جدَّة والدتي. وكانت عمياء بلغت المائة سنة من العمر يساعدها بعض الإماء.

والدي اسمه عبد الله سراج بن عبد الرحمن سراج بن عبد الله سراج وكلهم شغلوا إفتاء مكة المكرمة على المذهب الحنفي لأنه مذهب الدولة العثمانية الحاكمة، وقد شغل والدي منصب الإفتاء بالإضافة إلى عمله كنائب لرئيس الوكلاء (أي نائب رئيس وزراء) وبعده أصبح رئيساً للوزراء.

ولما كنت من بيت علم فمن الصغر كانوا يحفظونا بعض سور القرآن الكريم. وأدخلت المدرسة الحكومية واسمها الراقية وكانت أصلاً قلعة بناها العثمانيون لجدودهم. ومن الراقية انتقلت إلى مدرسة الفلاح وكانت في حارة القشاشية بمكة وكانت من جملة المدارس التي أسسها المرحوم زينل علي رضا في جده ومكة المكرمة. وبيت زينل من العائلات العريقة وكان وما يزال

الفضل لهم على أهالي الحجاز في جميع النواحي العلمية والصحية والاقتصادية وما يزال أحفادهم يمتعون بهذه المكانة المرموقة حتى الآن.

وبسبب انحطاط الخلافة العثمانية أو السلطنة كما يسمونها وبالرجل المريض عند انحطاطها، دعا الملك فؤاد ملك مصر إلى مؤتمر في القاهرة يضم علماء المسلمين من جميع البلدان العربية، وكان والدي في جملة من دعوا إلى هذا المؤتمر وأثناء انعقاده سلَّم الملك علي بن الحسين الذي أصبح ملكاً بعد تنازل والده عن العرش إلى المغفور له جلالة الملك عبد العزيز بن سعود، وأصبح الحجاز جزءً من المملكة العربية السعودية بعد توحيد نجد والحجاز وهكذا وبالطبع فشل مؤتمر القاهرة وأصبح من غير المستطاع لوالدي العودة لبلاده، وعرض الملك فؤاد ـ يرحمه الله ـ على والدي مركزاً دينياً في مصر وكذلك بعض الكرام منهم فاعتذر والدي شاكراً لأنه كان تلقى دعوة من أمير شرق الأردن مع الجنسية الأردنية، وهكذا ذهبنا للأردن وفي مدارسها حصلت على الشهادة الابتدائية والإعدادية، ومن ثم أرسلني والدي إلى مدارس خارج الأردن فكانت (الكلية الوطنية) التي يسميها اللبنانيون (كلية معلم الياس) في عاليه بلبنان، وقد استفدت كثيراً فيها من أديب لبنان الكبير المعلم فيها الأستاذ مارون عبود (أبو محمد) كما يسمونه ولو أنه ماروني، وقد نميَّ أبو محمد فيّ حُبِّ العلوم العربية وآدابها وعلمني بداية الشعر والنظم والنثر وبعد تخرجي فيها انتسبت للجامعة الأمريكية في بيروت لدراسة الطب؛ بها ولكني عدلت عن ذلك أثر إصابة والدي بالشلل وزوجه (خالتي) بالخناق الصدري فاضطررت لتغيير دراستي إلى الاختصاص في العلوم العربية وآدابها؛ وصرت شاعراً لجمعية العروة الوثقى بها وبعد تخرجي في الجامعة ونيل البكالوريوس تقدمت بطلب لإدارة الجامعة ملتمساً تعييني مدرساً بها ولاستكمال دراستي للموسيقى العربية والعمل على اكتشاف المائة صوت التي بني عليها كتاب الأغاني لأبي الفرج

الأصفهاني، وقد وعدتني الجامعة بمنحى درجة الدكتوراه إذا استطعت اكتشاف هذه الأصوات وفعلاً أوشكت على اكتشاف أحد هذه الأصوات ولم يتم موضوع التدريس وعدت للأردن وتقلبت في عدة إدارات بعضها خارج منطقة عمان وبعضها في شمالي الأردن وبعضها في أقصاه وأنعم عليَّ بلقب (باشا) ووسام من الدرجة الأولى ووسام عسكري عالٍ لا يعطى إلا لكبار القادة.

وعندما أصبحت الأردن باسم الملكة الأردنية الهاشمية وتشكلت وزارة الخارجية فيها عينت مديراً للمراسم فيها ثم وكيلاً لها. وعندما فكر الأردن في فتح سفارة له بمصر لأنه لم يكن من قبل له بها عينت رئيساً للديوان الملكي وقائماً بعمل السفارة وبصفتي كسفير قدمت أوراق اعتمادي للملك فاروق وجرت لي المراسم التي تعمل للسفير عادة، وحدثت ثورة مصدق وهرب شاه إيران في طهران وأشيع أن الجيش الأردني بقيادة قائده البريطاني كلوب باشا سوف يشترك في إخماد ثورة مصدق، وتجاه ضغط الصحافة المصرية عقدت مؤتمراً وصرحت بأن الجيش الأردني لن يشترك ضد أي دولة إسلامية في سبيل تأييد غاصب أو مستعمر وقصدت بالطبع الإنكليز. وقد غضب الإنكليز مع المغرضين والمفسدين ضد هذا المؤتمر فأغروا ملك الأردن، على نقلي إلى أي مكان في الأردن وفيما كنت استعد للعودة فوجئت باغتيال ملك الأردن فحضرت الجنازة، ولكن مَنْ خَلَفَ ملك الأردن أقر نقلي لعمان وإحالتي على التقاعد وأنا في سن الأربعين وخدماتي لم تصل الستة عشر عاماً وعلمت مع الأسف أنه خصص لي تقاعد لا يتجاوز الثلاثمائة جنيه مصري شهرياً فلم أطالب ولم استلمه وانصرفت لتدبير معيشتي وزوجتي وأولادي الستة، وفي يوم لا أنساه بل أترحم على من جاءني بخبره ألا وهو معالي الشيخ محمد سرور الصبّان وأنني عينت مديراً عاماً لمؤسسة دينية تؤيدها الحكومة السعودية اسمها رابطة العالم الإسلامي

فقبلت وقمت بعدها بزيارة بعض المدن الإسلامية في قارة آسيا وأوروبا باستثناء روسيا الشيوعية وزرت كذلك إفريقية وأستراليا وأسست فيها مراكز دينية باسم الرابطة وصلَّيت بالمسلمين صلاة الجمعة في هوليود ونيويورك، وبعد وفاة الشيخ محمد سرور الصبّان واشتغالي مع خلفه سعادة الشيخ صالح قزاز لمدة خمسة عشر عاماً شعرت بالتعب فاستقلت وقبلت استقالتي وسكنت في جده وعدت إلى سبيلي القديم وهو الإذاعة فصرت أكتب برامج يومية صباحية ومسائية وتطلعت إلى نجاح مسرحيات شوقي الشعرية كليوبترا ومجنون ليلى. و.. و.. فلماذا لا أدلي بدلوي مثله وفعلاً نظمت مسرحية شعرية عن (ولاَّدة بنت المستكفي بالله) آخر خلفاء الأمويين بالأندلس وحبيبها الشاعر المشهور (ابن زيدون) وسميتها (غرام ولاَّدة) ووافقت مطبعة دار المعارف المصرية على طبعها وقدم لها عميد القصة العربية الأستاذ محمود تيمور وأعجبت دار المعارف بها فكلفت رسامة نمساوية بعمل صور لبداية كل فصل من فصول هذه المسرحية الثلاثة ونجحت المسرحية ونفدت طبعتها الأولى خلال سبعة شهور فتشجعت وألفت مسرحية شعرية أخرى أسميتها (الشوق إليك) قدمتها مؤسسة تهامة السعودية للطباعة والنشر وطبعت معها ديوان شعر أيضاً سميته (إليها).

ولما بدأت الإذاعة السعودية في تقديم المسلسلات الطويلة بعد أن كانت مقتصرة على الروايات القصيرة التي أدخلتها في الإذاعة السعودية وتبنتها جريدة البلاد السعودية فكان أول مسلسل لي بعنوان (دموع وشموع) ومثلها مسلسل (فتاة وقدر) ثم ابتدأت في برنامج إذاعي بعنوان (من وحي القرآن الكريم) فكنت آخذ مثلاً آية (الربا) وأؤلّف عليها مسرحية فيها حواراً أختمها بآية (الربا). وقد نجح هذا البرنامج وكنت أنظم قصائد عن البلد الذي أزوره فمثلاً زرت (هوليود وجزر الهواي) ونظمت فيها قصيدة (ألوها) وزرت إسبانيا

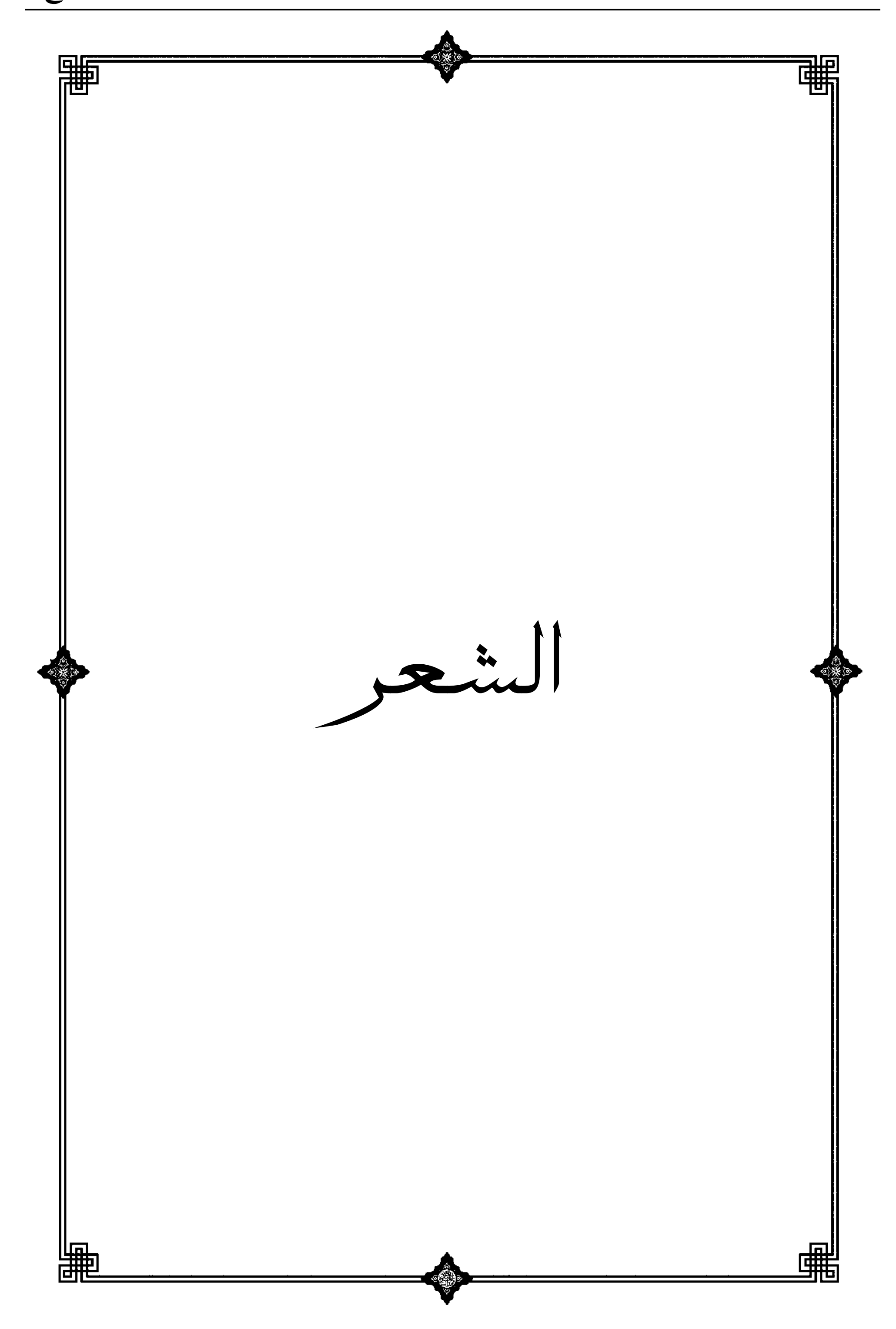
ونظمت في أشهر مصيف بها (ماربيًّا) وقد سجلت بعض هذه القصائد في (كاسيتات) وزرت (الكوت دازير) (الشاطىء اللازوردي بفرنسا) ونظمت هناك قصيدة (إنجي) وقد تبرع الأديب القمة الشيخ عبد المقصود خوجه بطبع جميع إنتاجي الشعري والنثري على حسابه فجزاه الله مني خير الجزاء.

وفاتني من بين أعمالي في الأردن وما قمت به ألا وهو إدخال الألعاب الرياضية والتمثيليات لأنه لم يكن بعمان فيما أعلم أي مزاولة لأي نوع من الرياضة، فأدخلت كرة القدم وكرة السلة (Basket Ball) الباسكتبول وكرة المضرب ولعبنا ضد الجنود البريطانيين الموجودين في مطار عمان لأنها كانت وقتها تحت الانتداب، ولعبنا مع سوريا ومع الجامعة الأمريكية في بيروت والجامعة المصرية وكنت من المعجبين بلاعبيها (التتش) وحجازي وغيرهم وكان للرياضة الفضل في تأليف أول راوية مسرحية سميتها (الظالم نفسه) وذلك لكي ندفع أجور النادي الرياضي الذي أسسناه ومساعدة بعض اللاعبين فيه. وللرياضة الفضل في قيام أحد التجار هناك ببناء مسرح وسينما وقد انتهزت هذه الفرصة فالفت رواية مقتبسة من التاريخ الإسلامي هي رواية (جميل وبثينة) أو (الحب العذري).

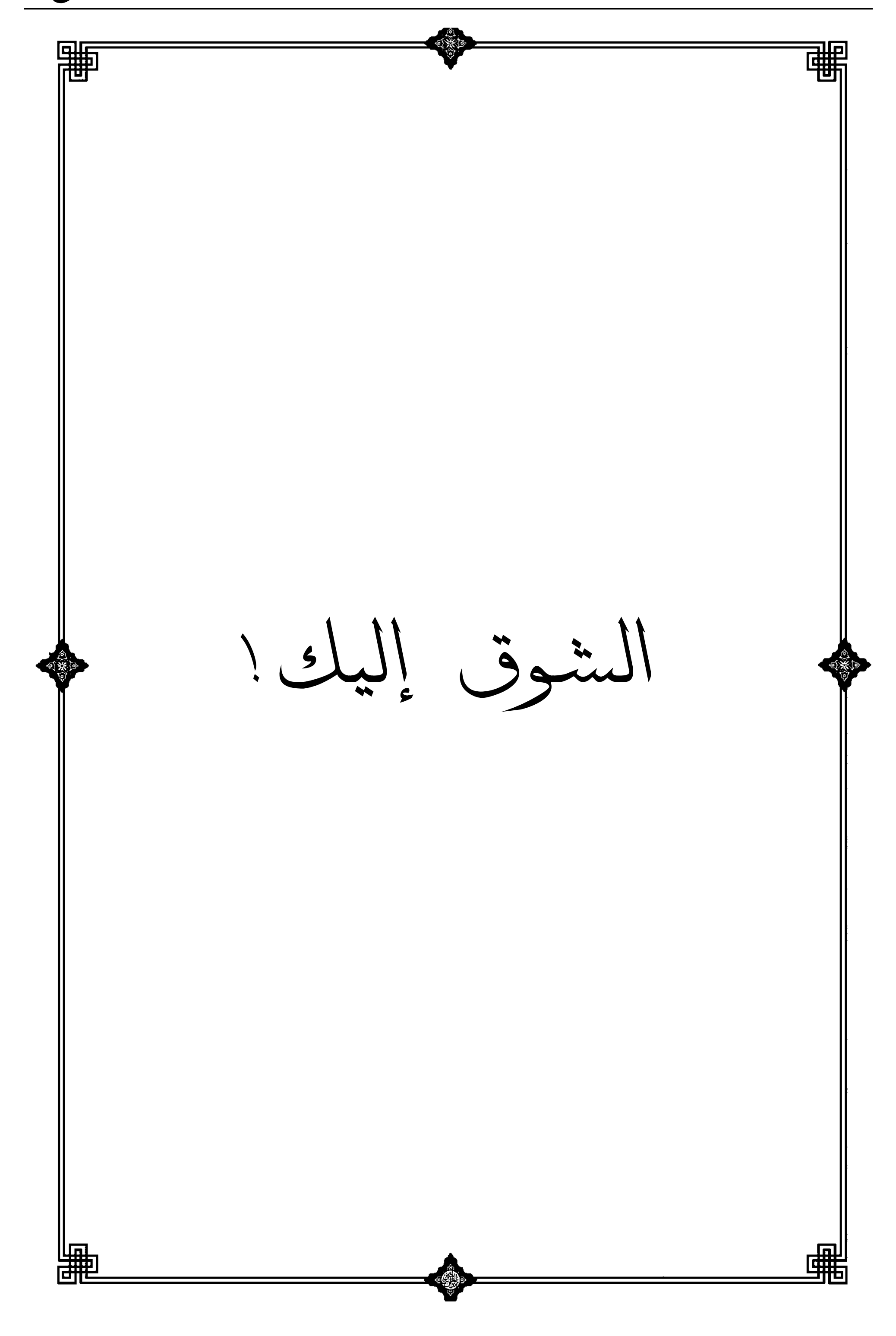
ويظهر أن الأسفار التي قمت بها وما بذلته من جهود فيها قد أثّر على صحتي بالإضافة إلى تقدم السن والشيخوخة وتوالت الانحرافات الصحية فما أكاد أتعافى من واحدة حتى أقع في أخرى وأنا الآن في هذه الحال والحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه.

وصلى الله على النبي محمد وعلى آله وصحبه وسلم

القاهرة ١٨/ ٢/ ٢٠٠٣م **حسين عبد الله سراج**



الشعر



الشوق إليك!

تقديم

وحضرت **مؤتمر الأدباء السعوديين** الذي عقدته **جامعة الملك عبد العزيز بجدة** عام ١٣٩٤هـ وخرجت تُلفُّني غلالة النسيان، وتعتصرني مرارة الحرمان ألا أرى إنتاجي بين إنتاج **الأدباء السعوديين**.

وسرت على غير هدى، أجترُّ آلامي وأحزاني، وفي نفسي ما فيها على القائمين بتنظيم ذلك المؤتمر، وفي رأسي أفكار يساجل بعضها البعض، وما أكثر ما قتل منها في هذه المساجلة.

وكدت وأنا في زحمة ذلك الصراع الفكري أن أطلق كتابة المسرحيات الشعرية ما دام قومي يتنكرون لي بالرغم من أني كنت بين شعراء الرعيل الأول الذين احتواهم ديوان «**وحي الصحراء**».

على أن ثورة غضبي لم تلبث أن هدأت بعدما تلوت ما تيسّر من آي الذكر الحكيم، فتابعت سيري، ورأيتني وقد رست سفينة الظلام أفيء إلى ربوة تطل على الساحل حيث استقبلني نسيم البحر العليل، فخرجت من سيارتي، وافترشت أديم الأرض أستروح نسمات الشاطىء البادرة، وأستجلي نجوم السماء الساطعة، وسبح تفكيري في ملكوت الله تعالى فتناسيت ما جرى لي، وحملت ما فعله قومي معي على محمل حسن، وطفقت أردد ما قاله الشاعر:

بــــلادي وإن جـــارت عـــلـــيّ عـــزيـــزة
وقـــومـــي وإن ضـــنّـــوا عـــلـــيّ كـــرام

وامتدت يدي إلى حقيبة السمسونايت ففتحتها وأنا أشعر بأني خلقت من جديد، وكأن شيئاً مما كان لم يكن.

وصمّمت أن أكتب مسرحية جديدة إن لم تكن في مستوى مسرحية «**غرام ولاّدة**» فلن تقل عنها شأناً، وقلت في نفسي يجب أن أنحو فيها منحىً لم يتطرق إليه من سبقوني من أساتذتي مؤلّفي المسرحيات الشعرية.

وكان أول ما فكرت فيه هو: أن أنطق شخوص مسرحيتي الجديدة **بلغة البيئة التي يعيشون فيها**. فشيخ القبيلة في سكنه بالصحراء، والخادم بمنزل سيّدها، وابن الذوات في المدينة، والحشاش في إحدى علب الليل... عندما يستشعرون تحسُّ في شعرهم بجو المكان الذي يقطنونه، وأنه مستمدٌّ من البيئة التي هم فيها.. وأن شعر الخادم لا يرتفع إلى مستوى شعر **أبي تمّام والبحتري والمتنبي** كما جرى عليه كتّاب المسرحيات الشعرية السابقون... حينما كانوا يستنطقون الخادم أو شيخ العشيرة، أو ابن الذوات، أو رواد علب الليل بشعر يسمو إلى منزلة فحول الشعراء في العصر العباسي...

ففي مسرحية «**الشوق إليك**»، عندما أدرك ضيوف شيخ العشيرة المساء، واستأذنوه السفر، وأصرّ هو أن يبيتوا في «شِقِّه»، لم يخاطبهم بلغة المجاملات الحضارية، لم يقل لهم: «**والله تشرفونا، وتسعدونا، وتتفضلوا علينا، وتناموا عندنا...**» ومن هذا القبيل... بل قال لهم:

يـمـيـنـاً تـمـرحـون الـلَّـيـل عـنـدي
وإن الـصُّـبـح يـا ضـيـفـي قـريـبُ
نُـقـيـم الـلَّـيـل حـفـلاً يـعـرُبـيـاً
يُـغـنـي فـيـه شـبـانٌ وشـيـبُ

عــلــى نَــغَــمِ الــرَّبــاب ولــحــن شــادٍ
وسُــمَّــارٍ لــهــم صــوت رطــيــبُ
ومــزمــار يــغــردُ والــبــوادي
تُــصــفــقُ والــرمــالُ لــهــا وجــيــبُ
ونــايٍ يــغــمــرُ الــقــيــعــان أنــســاً
ولــلــقَــيْــنــات تــرديــدُ حــبــيــبُ

فكلمات: «**يميناً**» التي ربما شفعها بكلمات «**الطلاق**» و«**تمرحون**»، و«**الرباب**»، و«**الشادي**»، و«**البوادي**»، و«**وجيب الرمال**»، و«**الناي**»، و«**القينات**» و«**القيعان**». . . كلها كلمات منتزعة من البيئة التي يعيشها شيخ القبيلة.

كذلك عندما غادرت «**لِيلِي**» وطنها، أنشدت أبياتاً تنضح برقة المدينة، وجمالها، وآثارها وروائعها. . . .

ومثل هذا القول يصدق على شعر رفقاء «**هارون**» الحافل بالتهكم والسخرية، وبعض الكلمات العامية المصرية بالإضافة إلى الوزن الشعري الذي ساعد على إضفاء مسحة المرح عليه. . .

وقد حاولت ألا يقتصر فهم شعر هذه المسرحية على الطبقة المثقفة كما فعل أسلافي من مؤلّفي المسرحيات الشعرية، بل توخيت أن يكون شعر هذه المسرحية من البساطة بحيث يفهمه العامة، وأنصاف المتعلّمين، بالإضافة إلى المثقفين. . . وفي ذلك تعميم للفائدة المرجوة من وراء كتابة المسرحيات الشعرية. . .

وهذه المسرحية تعتمد في جملتها على الموضوعية والواقعية، وليس فيها افتعال للحوادث، كما راعيت أن يكون انسياب شخوصها وتحركاتهم على مسرح الحوادث طبيعياً، وقد استفدت من «**بحر الرجز**» أو «**حمار الشعراء**» كما

يسمونه في تقارير الشرطة والنيابة، واستغليت «**تفعيلات المجازيء**» في حوار المسرحية. . .

وأملي، أخيراً وليس آخراً، أن يجد قارئي الكريم، في هذه المسرحية ما يرضيه. . . .

المؤلف

شخوص المسرحية

عامر . . . . شيخ عشيرة في شمالي الجزيرة العربية

خالد بن عامر . . . . طالب في كلية الحقوق

خطّار بوما لك . . . . تاجر وملاك

فؤاد . . . . ابن عم خطار

هارون . . . . اسم فؤاد فيما بعد

ليلي . . . . ابنة خطّار

ضحى . . . . اسم ابنة خطّار فيما بعد

سونيا . . . . مغنية

ولعة . . . . مغنية

متري . . . . صديق فؤاد

سمعان . . . . منافس فؤاد على حب «سونيا»

ونكرات مسرحية أخرى

(المشهد الأول)

(منظر من شمال الجزيرة العربية، وناطق يدل على كل ذلك، وأخيراً تبدو مضارب عشيرة من البدو حيث نشاهد اجتماعاً في مضرب شيخ العشيرة «عامر»، وقد تصدر المكان وبيده خيزران يعينه على تأدية كلامه «وعامر» شيخ عربي تخطى الخمسين من العمر، صبوح الوجه مشرقه، نرى الدخان صاعداً إلى عنان السماء، وصوت «مهباج»[١] القهوة الموسيقي يشق أسماع الحاضرين، أما المجتمعون، فقد انتظموا لتهنئة شيخهم بفوزه بنيابة مجلس العشائر[٢]

أحد المجتمعين: **هنيئاً شيخنا لك بالنيابه**

ثـــــان: **هنيئاً للعشيره. . . . . . .**

ثـــالـــث: **لا غــــرابــــه**

فـعـامـر سـيـد مـن خـيـر فـرع **إلـيـه دائـمـاً تـسـعـى الـنـيـابـه**

عامـــر: **بكم قد فزت يا أهلي وقومي** **فـأحـكـمـت الـرمـايـة والإصـابـه**

فـأنـتـم عـدّتـي فـي كـل بـأس **وأنـتـم أنـتـمُ نـعـمَ الـصـحـابـه**

---

(١) وعاء خشبي له فوهة ضيقة يوضع فيها البن ويدق حتى ينعم.

(٢) مجلس العشائر هو المجلس الخاص بفصل قضايا عشائر البدو بحسب العرف والعادة المرعيين.

(وبينما كان المجتمعون يتحدثون، تقترب سيارة، وينزل منها ثلاثة أشخاص بمن فيهم السائق، فيتلقاهم «عامر» بالبشر والترحاب قائلاً):

أهلاً بكم يا مرحبا أهلاً لنا وأقربا

(يدخلون المضرب، ويلتفت «عامر» إلى أحد أتباعه قائلاً):

اصنع القهوة «سعد»

(وإلى تابع آخر):

وانحر الخرفان «ورد»

أحد الضيوف: **حييت يا شيخ العرب**
الضيف الثاني: **الشكر منا قد وجب**
عامر: **لا شكر يا ضيفي على ما قمت من خلق العرب**
أحد الضيوف: **أكرم بذيّاك النسب**
الضيف الثاني: **لقياك أنسانا التعب**

(تدار القهوة على الضيوف)

(يحب «عامر» أن يعرف من أي البلاد العربية ضيوفه فيقول):

عامر: **ممَّنِ القوم محتداً ومقاما من رُبى الشّام؟**
أحد الضيوف: **من ذُرى «لبنان»**
الضيف الثاني: **منبت الأرز أرضنا**

عــــامـــــر: **نـــعـــــمَ أرضٌ كـرمـت مـنـبـتـاً وعـزَّت مـغـانـي**
نـحـن يـا قـوم أمّـة وحّـدتـنـا لـغـة الـضّـاد والـدّمـا والأمـانـي

(يتطلع «عامر» إلى الأفق فيرى غباراً كثيفاً يحجبه فيقول):

أرى غـبـاراً تـسـد الأفـق ثـورتـه وظـلَّ سـيـارة تـعـدو وتـقـتـحـمُ
كالريح جاريةً والسحب ساريةً لا الخيل تدركها ـ كلا ـ ولا النَّعَمُ

(يتطلع الحاضرون إلى جهة الغبار ويقول أحدهم):

أحد الأتباع: **لـعـل فـيـهـا «أبـا الـنـعـمـان»**[1]
تــابــع ثــان: **يــا فــرحــي**

لقيا بها الشمل يا مولاي ينتظم

(تصل السيارة إلى المضارب وفيها «خالد» «ابن عامر» وهو شاب وسيم الخلقة، مشرق المحيا، يرتدي الملابس الافرنجية. كان «خالد» يدرس الحقوق في الجامعة المصرية وكان في السنة الأخيرة من الدراسة، وقد قدم في عطلة الربيع لزيارة والديه، وكان «خالد» محبوباً من والديه وأفراد عشيرته لما انطبع عليه من الرجولة وحب الخير ومساعدة الضعيف والمنكوب، ينزل «خالد» فيستقبله أفراد «العشيرة وعلى رأسهم «والده»).

عــــامـــــر: **بــنــيَّ «خـــالـــد» أهـــلاً:**
خــالــد: **عــشــت يــا أبــتــي ذخـراً لـنـا ومـلاذاً فـيـه نـعـتـصـم**

---

(١) كنية ابن عامر واسمه «خالد».

(يدخلون إلى المضرب ويصافح «خالد» أفراد العشيرة والضيوف ويجلس في الجهة المقابلة لأبيه. تدار القهوة العربية، يلتفت أحد الضيوف إلى «عامر» قائلاً):

أحد الضيوف: **بشراك يا سيد الصحرا بمقدمه**   **فقد تنورت البيدا بطلعتهِ**
وهلَّل القوم بشراً وانتشوا طرباً   **وباكر الغيث منهلاً لعودتهِ**
عامر: **قدومكم كله خير ومنطقكم**   **سعد أطلّ علينا بعد غيبتهِ**

(يلتفت الضيف الثاني إلى «عامر» مخاطباً):

الضيف الثاني: **أتسمح بالذهاب لنا فإنّا**   **تأخّرنا وقد حان الغروبُ**
ونحن طريقنا رمل ووعر   **وبيد للمسافر لا تطيبُ**
عامر: **يميناً تمرحون الليل عندي**   **وإنّ الصبح يا ضيفي قريبُ**
نقيم الليل حفلاً يعربياً   **يغنّي فيه شبّان وشيبُ**
على نغم الرَّباب ولحن شادٍ   **وسمّار لهم صوت رطيبُ**
ومزمارٍ يغرّد والبوادي   **تصفقُ والرّمال لها وجيبُ**
وناي يغمر القيعان أنساً   **وللقينات ترديد حبيبُ**

(يتطلع الضيوف إلى بعضهم فلا يجدون جواباً غير الإذعان لأمر «عامر»)

(المشهد الثاني)

(يبتدىء الحفل، وينتظم السمّار كعادتهم وينشد الحادي القصيدة الآتية تصاحبه الربابة والمزمار والناي والطبول والدفوف، وصفوف من شباب العشيرة يرقصون على الأنغام):

النشيد: **يا بيد رحّبي　　يا عيس قرّبي**

«صبّاً إلى صبّ»　　قلباً إلى قلب

نرشف اللقيا مليّا

والهوى حلواً شهيّا

من فم منه بفيّا

يا له ريقاً ذكيّا

يا ظبية الفلا　　هيّا إلى الكلا

فالحي قد خلا　　والوصل قد حلا

نملأ البيد ابتساما

والروابي والخزامى

والندامى والهياما

تنتشي منّا غراما

يا بيد رحّبي　　يا عيس قرّبي

«صبّاً إلى صبّ»　　قلباً إلى قلب

(ينتهي السامر ويذهب كل إلى مضجعه)

(المشهد الثالث)

(وفي الصباح الباكر يستأذن الضيوف بالسفر من «عامر»)

أحـد الـضـيـوف: **آن الـرحـيـل**

عـامـر: **إلـى أيـن الـرحـيـل؟**

الضيف الثاني: **إلى «نجد» ففيها لنا سمن وأغنامُ**

لنا شريك بسوق الغرب[1] زوَّدنا مالاً وأرسلنا، والرزق أقسامُ

عامـر: **وما اسم هذا الشريك الشهم منبتهُ**

أحد الضيوف: **«خـطَّـار بـومـا لـك»**

(يضطرب «عامر» لدى سماعه هذا الاسم. لقد تذكر أنه قبل عشرين سنة مضت، كان ابنه «مهند» في أحد الأسواق العامة بلبنان، وأنه تشاجر مع «خطّار» هذا، وأن «خطّارًا» طعنه غدراً، ومات «مهند» متأثراً من جراحه. ثم هرب «خطّار» إلى أمريكا وها هو يعود. فهل للدم العربي أن ينسى؟ هل للعربي أن يترك الثأر؟ كل هذه الذكريات المؤلمة مرت في سرعة البرق، بخاطر «عامر» فآثر أن يستدرج محدثه ليأخذ منه أكثر ما يمكنه الحصول عليه من معلومات فاصطنع الفرحة وقال كمن يعرف «خطّارا»):

---

(١) مصيف من مصايف لبنان.

عامر: **«خطّار» غنّام**

أحد الضيوف: **«خطّار» تعرفه يا شيخ؟**

عامر: **أعرفه فتى كريماً له عزم وإقدام**

قد كان في سفرٍ، هل عاد..

الضيف الثاني: **عاد وقد أثرى وصار له ملك وخدام**

عامر: **بلغوه إذا رجعتم سلامي واشتياقي إلى اللقا، واحترامي**

أحد الضيوف: **سوف نفضي بما لقينا ونشدو بالسجايا وبالوفا، والذمامِ**

الضيف الثاني: **إن في هذه الربوع عظاماً وكراماً تحدروا من كرامِ**

(يركبون سيارتهم ويذهبون، وحال ذهابهم يدعو «عامر» ابنه خالداً، واثنين من أتباعه المخلصين هما «فهد» و«منصور» ويبادرهم قائلاً):

عامر: **أتتني أنباء تسر وتقلق وتدعو إلى الإسراع فالثأر يزعقُ**

ينادي وكثبان البوادي تجيبه أجل، حان للثأر القديم تحققُ

منصور: **أنثْأرُ ممن الثَّأرُ**

فهد: **لقد شبَّت بيَ النَّارُ**

عامر: **بنيَّ «مهند» دمه أينسى؟ إنه عارُ**

«بسوق الغرب» قاتله له خدم، له دارُ

منصور: **تناسى الوغد فعلتهُ**

فهد: **تناسى الثأرَ «خطّارُ»**

خالد: **وماذا ترتئي أبتاه؟**

(يلتفت «عامر» إليهم جميعاً قائلاً):

قـــولـــوا **فـرأيـكـمُ هـو الـرأي الـسـديـدُ**

منصور: **عـلـى رجـلـيـن منّـا أن يـسـيـرا** **إلـى بـلـد بـه الـخـصـم الـلـدودُ**

لـيـخـتـطـفـاه، إن قـدرا، فـإن لـم **يـحـزا رأسـه** (يـشـيـر بـيـده)

عامر: **رأي رشـيـدُ**

أرى أن تـذهـبـا

فهد: **أنـــا فـــداءٌ**

منصور: **سنخطفهُ، سنفعل ما تريدُ**

(يقبلهما «عامر» ويذهبان للاستعداد، ويعود «خالد» مع أبيه إلى المضرب وهو غير مرتاح إلى عمل أبيه)

(المشهد الرابع)

(هي «فيلا» أنيقة قائمة على ذروة التل، تطل شرفتها الأمامية على مدينة «بيروت» وجونها الجميل، حيث تكتحل العين بمشهد رائع خلاب، ومن وراء «الفيلا» حديقة غناء، فاحت أزاهيرها ونسقت أشجارها، ومهدت مسالكها، وأقيم فيها كهف صناعي يتساقط الماء من ثنايا صخوره في خرير عذب تستجم به النفس، وينشرح له الخاطر. كانت «الفيلا» ملكاً لـ «خطّار» الذي عاد من أمريكا موسوقاً بالدولار. نرى ابنته «ليلي» وهي تداعب الأزهار وتناجي الطيور، وترقب بنظرة الهائم، الماءَ وهو ينساب من قلب الصخور. لقد اهتاجها المنظر فأسال عاطفتها لحناً عبقرياً رجعته الأطيار، وصفقت له الأشجار، وأنَّ له الماء حنيناً فتدفق يتلوى في خرير يردد أعذب الأنغام. «ليلي» تغني والموسيقى تصاحب (غناءها):

الغناء: **دمي، يا ليته ينبوعُ ماءٍ — بوادي الحبّ ينسابُ العشيّهْ**

يروي أنفساً عطشى غراماً — تكاد من الجوى تلقى المنيّهْ

وليتك يا حبيب معي بقفرٍ — وكنّا ظامئين به سويّهْ

لفجرت الدماء سيولَ ماءٍ — وقلت دمي لمن أهوى ضحيّهْ

(يظهر «فؤاد» ابن عمها، وهو رجل جاوز الأربعين، دميم

الخلقة، تشف قسماته عن الغدر والخيانة، يحب «ليلي» حبًّا أعمى، أرّقه وأسهده، و«ليلي» تشعر أنه يحبها ولكنها لا تميل إليه أبداً، إنها على العكس بدأت تكرهه لتحُّرشه بها، وملاصقته لها. لقد عمل «فؤاد» المستحيل لإرضائها فأرسل إليها من الهدايا ما قيمته بالألوف، ولكن القلوب لا تشترى ولا تباع. تنقطع «ليلي» عن الغناء فجأة وقد أبصرت «فؤاداً» وتتغير ملامحها، ويشيع الغضب في محياها، وقد كان قبيل قدومه طلقاً مرحاً. يقترب منها «فؤاد» قائلاً):

فـــــــؤاد: «**حياتي، منيتي، روحي، ملاكي** **فـديـتـك غـنّ يـا نـور الـعـيـون**»
«**إلـيـك مـددت «يـا لِـيـلِـي» يـمـيـنـي** **تـؤدي الـعـهـد عـن حـبـي الـمـكـيـن**»
«**وهـذا الـقـلـب أوقـفـه «لـلِـيـلِـي»** **أمـيـنـاً مـخـلـصـاً أمـد الـسـنـيـنِ**»

(تضحك «لِيلِي» ساخرة، وكانت سخريتها سهاماً تسدد إلى قلبه حتى أثخنته بالجراح فتدفق دمه غضباً شاع في وجهه، وحزناً لمع في عينيه، وألماً رجعته حركات عطفيه فيقول):

أتـضـحـكـيـن؟

لِـــيـــلِـــي: **ولِـــمْ لا؟**

فـــــــؤاد: **رب ضـــاحـــكـــة** **بكت طويلاً على من كان يهواها**

لِـــيـــلِـــي: **شـيـخ كـمـثـل أبـيـهـا عـمـرهُ**

(وتشير إليه إمعاناً في إغضابه، فيشتد غضبه فيقول):

فـــــؤاد: «**لِـــيـــلِـــي» أتـــهـــزئـــيـــن؟**

لِـيـلِـي: **نـــعـــم، لـــفـــظـــاً ومـــعـــنـــاهـــا**

(ويتخذ فؤاد موقف المستعطف وقد رأى اندفاعها في إغضابه فيقول):

فـــــؤاد: **كفاك صداً وهجراً وارحمي دنفا حـياتـه فـي يـديـك الـيـوم ألـقـاهـا**

(وتشفق «لِـيـلِـي» على ذله ولكنها أرادت أن تضع حداً لآماله فتقول بجد وحزم):

لِـــيـــلِـــي: **لـقـد طـلـبـت مـحـالاً . .**

(يصرخ «فؤاد» وقد هالته هذه اللطمة وحطمت آماله):

فـــــؤاد: **أنـــت قـــاســـيـــة**

(ويهتاج صراخه غضب «ليلي» فتجيبه):

لِـــيـــلِـــي: **أجـل . .**

(ويندفع «فؤاد» في ثورته فيقول):

فـــــؤاد: **تـقـولـيـنـهـا مـا كـان أقـسـاهـا**

(يظهر والدها «خطّار» من مكمنه الذي التجأ إليه ليسترق أحاديث ابنته وابن عمها، فأبصرته «لِيلي» ففرحت بمقدمه، وهللت، وساء «فؤاداً» حضوره لأنه قطع عليه خلوة ساعة، هي على مرّها وبؤسها جميلة في نظر العاشقين أمثاله، «لِـيـلِـي» تخاطب أباها):

لِـــيــــلِـــي: **أبـــي: أتـــيـــت ..**

(وتسعى إليه فيحتضنها ويقول):

خـــطّـــار: **نـــعـــم، بـــنـــتـــاه:**

(ثم يلتفت إلى «فؤاد» متظاهراً بأنه ربما كان قدومه قد عكر صفو الحديث فيقول):

أحسبُني قطعت مجرى أمان..

(وتقول «لِـيـلِـي» لنفسها):

لِـــيــــلِـــي: **بـــئـــس مـــجـــراهـــا**

(ويستمر «خطّار» في تجاهله فيقول):

خطّار: **فـلـلأصـائـل يـا لِـيـلِـي مـبـاهـجـهـا**

(ويبتسم فؤاد ويقول):

فـــــــؤاد: **ولـلـخـمـائـل يـا عـمـاه نـجـواهـا**

(كان «خطّار» على علم بحب ابن أخيه لابنته. وكان يساعد على تنمية هذا الحب ويتمنى أن تحققه الأيام، فقد كانت «لِـيـلِـي» وريثته الوحيدة. وكان يخشى إن هي أحبّت غير ابن عمها أن تنتقل ثروته إلى أناس ليسوا من أهله، ولكنه كان يتفادى إظهار هذه الرغبة لأن في إظهارها إكراهاً لابنته على حبٍّ

ربما ساءت عواقبه، أضف إلى ذلك أن ثقافته وتربيته تحولان دون فرض مثل هذا الزواج. فهو إذاً يترك للزمن تحقيق حلمه. على أنه يحاول، كلما سنحت الفرصة، أن يجنح للتلميح والتعريض فنراه يقول):

خطّار: **وللشباب أحاسيس مجنحة تعلو فيصعب مرآها ومسراها**
وقد تفيض كنور الفجر مندفعاً إلى الخمائل يسبيه محياها

(ويدرك «فؤاد» ما جال بخاطر عمه فيظهر إعجابه بما فاه به قائلاً):

فؤاد: **خيالك الخصب أسرى بي تصورّه إلى نعيم ودنيا ما أحيلاها**

(وتضيق «لِيلِي» ذرعاً بأحاديثهما التافهة فتقول لأبيها وهي تتأفف):

لِيلِي: **الليل أقبل فلنذهبْ**
خطّار: **ويصحبنا «فؤاد»...**

(وتمتعض «لِيلِي» من تصرف أبيها الفجائي إلا أنها تخجل فتقول):

لِيلِي: **إن شـــــــــاء..**

(يلتفت إلى «فؤاد» وإليها في الوقت نفسه مكرراً «إن شاء»):

خطّار: **يا نعمى تمناها**
أليس ذلك ما تبغي؟

(يهتبل «فؤاد» الموقف فيقول):

فـــؤاد: **نــعــم أَبــتــي نعمى سأحفظها دوماً وأرعاها**

(وتريد «لِـيـلِـي» أن تضع الخطة لتبيان أحاجي والدها وألغاز ابن عمها وقد راعها تطوّر الموقف، فتلتفت إلى أبيها سائلة إياه بسأم وضجر):

لِـيلِـي: **أبتاه: ما هذي الأحاجي أفصحا . . . فلقد برمت وضاق ذرعاً صدريا**

(ويرى «فؤاد» الفرصة سانحة للقول ووضع حد لمحاولاته، فقد سئم هو صدودها، وأراد أن يكشف الحقيقة أمام أبيها علّ «لِـيـلِـي» عندما تشاهد ميل أبيها إلى ابن عمّها، تخضع فتقبل الزواج به. يلتفت إلى عمّه مخاطباً):

فـــؤاد: **أأقـول يـا عـمـاه. . ؟**

(ويريد «خطّار» أن يزيل ما بصدره من علّة فيجيب):

خـطّـار: **قــل . . . . . .**

(وتنتصب «لِـيـلِـي» وقد هالها أن ترى والدها راغباً في زواجها من ابن عمّها الكهل، وهو الذي تثقف ثقافة غربية أهم ما فيها: حرية الرأي والقول، فتلتفت إليهما قائلة وهي لا تملك نفسها من الغضب):

لِــيــلِــي: **أتــآمــرٌ؟! وتــشــاورٌ؟! أحــكــمــتــمــاه مــعــاً لــيــا؟!**

(ثم تسرع فتغلق باب الجدل عليهما فتندفع بصراحتها المعهودة مخاطبة فؤاداً):

إن كان ما تبغي الزواج.. فبئسما أملت ما أنت النَّزيل بقلبيا

(ثم تلتفت إلى والدها قائلة بالصراحة نفسها):

أبتاه.. قلبي ليس سلعة تاجر تشرى

(وتلتفت إلى ابن عمها مخاطبة بتهكم):

أتسمع يا فؤاد جوابيا؟؟

(وتلوح لهما بيدها وتعدو إلى جهة القصر تاركة والدها وابن عمّها في حيرة من تصرّفها. يصحو والدها من أثر الصدمة فيناديها):

خطّار: «**لِيلِي: إليَّ....**

(ويهزأ «فؤاد» بندائه فيقول):

فؤاد: **نداء الضَّال في أجَمٍ لا الطير رجَّع ما نادى ولا الأجمُ**

خطّار: «**لِيلِي**»

فؤاد: **لقد نفرت غضبي ولا أملٌ في أن تعودَ**

خطّار: **ستأتي كلها ندمُ**

فؤاد: «**لِيلِي**» **ستندم! ما** «**لِيلِي**» **بنادمة ولو صرخت وبُحَّ الصوتُ والكلمُ**

لها تركت عنان الرأي منفلتاً فلم تعد لجميل الرأي تحترمُ

حرية الرأي للأبناء مفسدةٌ الغرب أرسلها للشرق تخترمُ

(وعندما يتبيّن أن لا أمل في رجوع «لِيـلِـي» يصافح عمّه مودعاً قائلاً):

خـطّـار: **طـاب يـا عـمّـاه لـيـلُـكْ وأطـلَّ الـبـشـر فـجـركْ**
صـانـك الله ويـسَّـر أمـري الـلّـيـل وأمـركْ

(يذهب «فؤاد» يائساً يتلفت ذات اليمين وذات الشمال. ويبقى خطّار وحده منفعلاً من عمل ابنته. يمشي بين ممرّات الحديقة ذهاباً وإياباً يقلّب هذا الأمر على وجوهه وهو يقول):

قـد بـلـوت الـزمـان حـلـواً ومـراً واحتسيتُ الحياة صاباً وجمرا
عجمتني فكنت أصلب عوداً وأناخت فكنت أرحبَ صدرا
ما «للِيـلِـي» وخيرها كنت أبغي ما «للِيـلِـي» تَشيحُ عنه وتبرا
قَدَرٌ، رُمْتُ أن يكون وشاءتْ حكمة الله غير ذلك أمرا

(يهمّ «خطّار» بالدخول إلى منزله، وإذا بشخصين ملثمين هما «منصور» و«فهد» يخرجان من بين الأشجار مصوّبين إلى صدره مسدسيهما ويقول «منصور» له):

مـنـصـور: **مـكـانـك قـف.....**

(يقف «خطّار» مكانه وقد أخذه الموقف. يتفرس في الشخصين الملثمين علّه يعرفهما، بيد أن الظلام يمنعه من تحقق هويتهما. يشير منصور إلى رفيقه قائلاً):

كـبّـلْ يـديـه.....

(ولما اقترب منه ليكبّله يقول له «خطّار»):

تــــريَّـــــثــــا بربّكما ماذا جنيت؟ وما الذنبُ؟

فـهـد: **هـو الـثـأر يـا «خـطّـار» هـل أنـت ذاكـر أخاً غلته في ليلة ذكرها كربُ**

(يسترجع «خطّار» الماضي البعيد ويجيب):

خـــــطّـــــار: **أجـــــل . . .**

مـنـصـور: **حـان وقـت الـثـأر أوثـقـه جـيـداً لـيـعـلـم أن الـثـأر لـم يـنـسه الـعـربُ**

(يكممان فم «خطّار»، ويسوقانه، وبينما هم كذلك يمر خادم من خدم خطّار فيرى سيده على هذه الحال فيصرخ فيلحقه أحدهما ويضربه بالمسدس على رأسه فيقع على الأرض مغشياً عليه. يقود الملثمان خطّاراً إلى سيارة خارج بوابة الدار ويرميان به داخلها وتتحرك تنهب الأرض نهباً و«خطّار» غارق في تفكيره لا يدري مصيره ولا يدري ما الذي سيحل بابنته إذا ما افتقدته غداً).

(المشهد الخامس)

(يفيق خادم «خطّار» بعد منتصف الليل من ضربته، ويذهب مترنحاً وآثار الألم بادية عليه إلى غرفة «لِيلِي» فيطرق الباب، فتصحو مرعوبة وتُشعلُ نور غرفتها، وتضع على كتفها الروب ثم تقول):

لِيلِي: **من أنت؟**

الخادم: **«يوسف»**

لِيلِي: **ما تبغي؟**

الخادم: **أبوكِ. . .**

لِيلِي: **أبي ما بالُهُ؟**

الخادم: **خطفاهُ: اثنانِ. .**

لِيلِي: **كيف جرى؟**

(وتفتح الباب فترى «يوسف» في منظر يقشعر له البدن فتضع يدها على عينها بينما هو يقول):

الخادم: **شدَا يديه وكمَّا فاه واتخذا من الظلام ستارا**

لِيلِي: **بئسما استترا**

(ثم تردف في لهفة وقد أدركت خطورة الموقف):

ووالــــدي بـــــعــــــد ذا. . ؟

الـخـادم: **جـرّاهُ وانـطـلـقـا. . . صـرخـت كـان جـزائـي ضـربـةً وثـرَى**
فرحت في غيبة من وقعها وجرت على الثياب دمائي، انظري الأثرا

(تغمض «لِيلِي» عينيها من رؤية الدم، ثم تسرع إلى الهاتف وتطلب قسم البوليس):

لِـيـلِـي: **هـلـو: يـا مـخـفـر الـشـرطـه** **أبـي «خـطّـار» قـد خـطـفـوه**
جـنـاة أحـكـمـوا الـخـطـه **أخـاف الـلَّـيـلَ أن يـقـتـلـوه**
تــــلـــفــــنـــوا لـــلــحـــدود
وانـــشـــروا الـــجـــنـــود **عـسـاهـم، ربَّـمـا أن يـدركـوه**

(وتتوقف وكان البوليس يجيبها ثم تقول):

سـتـرسـلـون. . . . سـتـذهـبـون **شـــــكــــري عـــظـــيــــمْ**
(ثم تضع السماعة وتقول):

خــــطـــبـــي جـــســـيــــمْ

(وتمشي في الصالة جيئة وذهاباً وهي في حالة حزن شديد. تصدح الموسيقى أنغاماً حزينة، ثم لا تلبث «لِيلِي» أن تغني والموسيقى مصاحبة):

الـغـنـاء: **أبـي خـلـفـتـنـي وحـدي ومـا لـي** **أخ يـحـنـو ويـدفـع مـا بُـلـيـنـا**
ذهـبـت ولـسـت أدري يـا لـبـؤسـي **أتـرجـع أم تـرى تـبـقـى رهـيـنـا**

يعذّب جسمك الواهي قساة **أبت أكبادهم أن تستلينا**
تفكّر فيَّ يا أبتاه دوماً **وقلبُكَ ما ذكرت بكى حنينا**
أتطلقَ من إسارك، لست أدري **وترجع يا أبي يوماً، إلينا**

(يدخل رجال البوليس فتهرع إليهم قائلة):

«لِيلِي»: **أبي... خطفوه**
ضابط البوليس: **كيف جرى؟ أبيني؟**

(تلتفت «لِيلِي» إلى الخادم مستنجدة به فيقول):

الخادم: **رأيت ملثمين يكبلانهْ**
صرخت.. هوى مسدسهم برأسي **فغبت عن الوجود بعنفوانهْ**

(يدوّن كاتب البوليس ذلك، ثم يذهبون جميعاً إلى مكان الحادث ويفتش الضابط ومن معه على الأثر ثم يودّع «لِيلِي» قائلاً):

الضابط: **سنبذلُ جهدنا**
لِيلِي: **ربّي أعنهم** **وطمّني على أبتي وشأنهْ**

(يذهبون. وتعود «لِيلِي» إلى مخدعها وهي تبكي، وتظل ساهدة على هذه الحال إلى مطلع الشمس فتهبّ إلى الهاتف وتطلب قسم البوليس):

لِيلِـــي: **هلو: هل جدَّ عن أبتي جديدٌ؟** **أوفِّقتم؟...**

الضابط: **مع الأسفِ الشديدِ**

(ترمي السمّاعة، وترمي بجسدها على المقعد وتبكي بكاء مراً، يدخل «فؤاد» ابن عمها فتهتف إذ تبصره):

لِـيـلِـي: **«فـؤاد» إلـيَّ...**

(يسرع إليها قائلاً بلهفة):

فــؤاد: **«لِـيـلِـي» خـبّـريـنـي** **أما عثرتْ مخافر في الحدودِ**
على عمّي ومن خطفوه قولي **أمِنْ خبرٍ؟ أمن نبأٍ جديدِ**

(وتجيبه «لِيلِي» والألم يحز صدرها ونفسها):

لِيلِـي: **تعامتْ عنهم الأخبارُ**

فـؤاد: **«لِـيلِـي».. أراك يئستِ..**

لِـيـلِـي: **من وعد بعيدِ**

فـؤاد: **سأذهبُ باحثاً، ربّي أعنّي** **ووفّقني إلى رأيٍ سديدِ**

(يذهب تاركاً «لِيلِي» في يأس مرير وعبرة مخنوقة من شدة الحزن، يدخل «محمد» خادم أبيها ومربّيها الذي ينظر إليها كابنته وتعتبره هي بمثابة والدها فتقول له):

لِيلِي: **«محمد» ضاقتِ الدُّنيا بوجهي** **وأدمى الحزن تفكيري وحسّي**
تُقلّبني الهموم على أكفٍّ **فمن يأسٍ يهدهدني لِيأسِ**

(ويحاول «محمد» تهوين الأمر عليها فيقول):

مـحـمـد: **فـديـتـك هـوّني فـالـصَّـبـر أولـى لـقـد نـفـدَ الـتـصـبُّـر يـا لَـبـؤسِـي**

لِــيــلِــي: **أكـــاد أجَـــنُّ. . .**

مـحـمـــد: **مـولاتـي أنَــاةً فـــإنَّ الله يـــفـــرج كـــلَّ يـــأسِ**

(المشهد السادس)

(نرى خطاراً وخاطفيه في صحراء الشام راكبين، كلٌّ على جمل ونسمع خطاراً يردد):

خطّار: **ما قدَّر الله لا منجى ولا هربٌ   كلٌّ مصائره تأتي على قَدَرِ**

(وأما خاطفاه فنسمعهما يغنيان بعض الأغاني البدوية)

(المشهد السابع)

(ولما أيقن «فؤاد» ـ على مر الأيام ـ أن لا رجعة لعمه، طرأت عليه فكرة لم يشعر معها إلا ورجلاه تقودانه إلى سيارته الفخمة فيستقلها ويتخذ طريقه إلى بيروت. وفي أحد مراقصها الجميلة يجلس إلى مائدة، وتراه «سونيا» وهي مغنية وراقصة كان «فؤاد» يهواها وهي تحبه حباً جنونياً فتسرع إليه وتحييه بشوق، ولكنه لم يبادلها هذا الشعور بل كان غارقاً في تفكيره، فتلكزه قائلة):

سونيا: **«فؤاد» ـ قل لي ـ أراك اللّيل مضطرباً فيم التفكر يا روحي وما السببُ؟**

فــؤاد: **لا شيء يا سونيتي، لا شيء أكتمه**

سونيا: **لا شيء! إنك مهمومٌ ومكتئبُ**

(ثم تستدرجه وقد علمت بحبه الجديد « لِيلِي» وبحادث خطف أبيها فتفاجئه قائلة):

لعل « لِيلِي» بخير بعدما خطفوا منها أباها وضلَّ السعيُ والطلبُ

فؤاد: **قد هدّها الحزنُ واليأس المرير بها أزرى وساء لها حال ومنقلبُ**

سونيا: **إذاً تُفكّر فيها؟**

فؤاد: **كيف لا . . . .**

سونيا: **وأنا نسيتني . . . .**

(ويدرك «فؤاد» خطأه فيعمل على تدارك الموقف قائلاً):

فــــؤاد: **مــا نــســيــتُ الــعــهــدَ**

ســونــيــا: **ذا كـــــــذبُ**

نحرت قلبي على عهد الوفاء فدى لقلبك الصخر ما حنّت به شعبُ

(ثم تنهض وتذهب فيناديها):

فــؤاد: «**ســـونـــيـــا**»

(وتجيبه سونيا وهي ضاحكة بمرارة):

ســونــيــا: **أتـحـسِـبُـنـي بـلـهـاء غَـافـلـةً تلهو بها، بئسما ترجو وتطَّلبُ**

(وتذهب وهي في حالة جنونية. أما «فؤاد» فقد ظل بعد ذهاب «سونيا» يقلّب تلك الفكرة على وجوهها. فلما انتهت السهرة كان هو قد انتهى إلى قرار بشأن فكرته. فعاد إلى «سوق الغرب» وهو عازم على التنفيذ. فيطرق باب اثنين من شياطين أعوانه فيفتح ويدخل ويغيب ثم يخرج بعد ذهابه اثنان يتّخذان طريقهما إلى بيت « لِيلِي» فيرجمان زجاج الشبابيك بالحجارة ويهربان فتهب «لِيلِي» من نومها مذعورة على صوت زجاج شباك غرفتها المهشَّم وقد تطاير وتناثر على فراشها وأرض غرفتها وكاد الحجر المهشم يصيبها فتسرع «لِيلِي» إلى التليفون فتطلب البوليس، وقد تملَّكها الذعر والخوف):

لِـيـلِـي: **هـلـو: يـا شـرطـة أدركـونـا لـصـوص هـاجـمـونـا**

هـدّمـوا الـدار حـطـمـوا الأبـواب هـشـمـوا الـزجـاج: بـالـحـجـار

أدركـــونـــا. . . . . أدركـــونـــا

(تضع السمّاعة، وهي ترتجف هلعاً، يدخل خادمها «محمد» ليطمئن عليها قائلاً):

مــحــمــد: **لــعــلــك لــم تُــروَّع**

لِــيــلِــي: **أيُّ روع لـقـد بـلـغ الـتـخـوُّف بـي ذراهُ**

(ثم تسأل بلهفة):

وهــل عُــرِف الــجــنــاةُ؟

مــحــمــد: **لــقــد طــواهــمُ سـوادُ الـلَّـيـلِ فـي بـيـدا دجـاهُ**

لِيلِـــي: **وأيـن الـحـارسـون؟ ألـم يـروهـمْ**

مـحـمـــد: **إذا الـرَّاعـي غـفـا ضـاعـتْ شـيـاهُ**

(يدخل ضابط البوليس وجنوده قائلاً):

الـضـابـط: **لـقـد فـرَّ الـجـنـاةُ وقـد تـبـعـنـا خُـطـاهـم والـدَّلـيـلُ بـدا سـنـاهُ**

لِـيـلِـي: **أهــم مــن خــاطــفــي أبــتــي؟**

الـضـابـط: **يـقـيـنـي بـأنَّ لـهـمْ يـداً فـيـمـا نـراهُ**

يــحــفــظ الله...

لِــيــلِــي: **أشــكــرُ مــا بــذلــتــمْ مـن الـتـفـتـيـشِ**

الــضــابــط: **وفَّــقــنــا الإلــهُ**

(ويذهب ضابط البوليس ومن معه، وتقضي «لِيلِي» ليلة ساهدة، وفي الصباح يدخل عليها «محمد» فتقول له):

لِيلِي: **تعقدت الأمورُ وطال لَيلِي وليلُ الهمّ ليس له صباحُ**
غياهبُ ما لها صحوٌ وعمرٌ بكاء أمسهُ وغدا نُواحُ
تُرى كُتِبَ الشَّقاء عليَّ...

(ويدخل «فؤاد» مسرعاً متصنّعاً الاهتمام والحزن ويقول بلهفة):

فؤاد: **«لِيلِي»**
لِيلِي: **فؤاد: أحَالف المسعى النجاحُ؟**
فؤاد: **لقد عمِيَ الدَّليلُ وضلَّ جُهدٌ وتاهَ بمهمهِ الدُّنيا كفاحُ**

(تبكي «لِيلِي» ولكنها سرعان ما تتجلد، فيهوّل «فؤاد» الأمر ويعقّد الموضوع ليفسح للرعب مجالاً في قلب «لِيلِي» فيقول):

وأخشى....
لِيلِي: **ما الذي تخشي؟....**
فؤاد: **أتاني حديثٌ لا يَسُرُّ إذا يباحُ**
(وتتلهف «لِيلِي» وتسأله):

لِيلِي: **وما هو؟**
فؤاد: **إنه غدرٌ بلِيلِي**
محمد: (ساخطاً) **أأصبحنا سبايَا تُستباحُ**
أهُنَّا هكذا حتَّى غدونا مواتاً لا تَؤزُّهُمُ الجراحُ

لِيلِي: **فأين حُماتُنا**

فؤاد: (متهكَماً) **ضعُفوا فهانُوا**

لِيلِي: **أما للأمرِ يا ربّي صلاحُ؟**

(ويمتقع لونها فزعاً وفَرَقاً فتقول):

إذاً ترويعهم ليلاً نذيرٌ بشرّ

(ويرمي «فؤاد» بقنبلته في الوقت المناسب فيقول):

فؤاد: **إنَّهُ شرٌّ صراحُ**
يرومون اختطافَكِ

(ويهول «لِيلِي» الهدف فتصرخ):

لِيلِي: **يا إلهي إذا اللَّيثُ اخْتفى كثُرَ النُّباحُ**

(ثم تقوم من مكانها إلى الغرفة المجاورة وترمي بنفسها على المقعد باكية منتحبة، ويأخذ «فؤاد» الخادم «محمداً» وينتحي به جانباً ويقول له):

فؤاد: **وحيدة أصبحت لِيلِي وليس لها غيري**
محمد: **أجل ورجاها أنت والطلبُ**

(ويخيلّ لـ «فؤاد» أن الفتاة ومربيها قد أصبحا بحاجة إليه، فيقول بلهجة الآمر الناهي):

فؤاد: **أريدها ـ قل لها ـ زوجاً فقد عبست لها الحياة وعين الشر ترتقبُ**
والمجرمون متى ما زُوِّجت حذروا بطشي وزُلزل ما كادوا وما نصبُوا

(يجري كل ذلك و«لِيلِي» تسمع وتكاد تتميز غيظاً أن ينتهز هذا الوغد الفرصة ليفرض نفسه عليها. ويذهب «فؤاد» إلى حديقة منزل عمّه ينتظر النتيجة، ويدخل «محمد» إلى «لِيلِي» فتبادره قائلة):

لِيلِي: **محمد.. جئت من عند ابن عمّي رسولاً: ينقل الخبر المسرّا**

(ثم تضحك ضحكاً جنونياً فيستحي «محمد» ويقول):

محمد: **لعلّي مخطىء**
لِيلِي: **بل أنت نذلٌ تآمر واللئام عليَّ جهرا**
محمد.. كنت لي درعاً ورداءً إذا الأيام جارت كان ذخرا
محمد.. جئت تخطبني لوغد محمد.. كيف تطلب ذا وتجرا؟!

(ويسوء محمداً اندفاعها وطعنها في إخلاصه فيقول):

محمد: **فديتكِ خفّفي لوماً وذمّا لعمرك ما أتيت اليوم نكرا**
لقد طلب ابن عمّكِ منكِ أمراً حلالاً ما ابتغاه وليس كفرا

وتقاطعه «لِيلِي» محتدة):

لِيلِي: **محمد.. قل له طلبٌ محالٌ يَعِزُّ عليَّ تلبية المحالِ**
لقد آليت ما أنفك أبكي على أبتي، على زين الرجالِ
لعلِّي أستطيع لقاه يوماً وإن شطَّ المزار على سؤالي

(وتبكي. . . فيقول محمد):

محمد: **سأفعل. . .**

(ويذهب تاركاً «لِيلِي» في حيرة لا تدري ماذا تفعل وماذا سيكون رد الفعل ـ عند فؤاد ـ على جوابها، فتقول وهي شبه نادمة على تسرّعها):

لِيلِي: **ويح قلبي! ما لعقلي؟ أراه اليوم نهباً للخيالِ**
تردّى في مجاهلَ من ظلامٍ فمن حالٍ يقود لشرِّ حالِ
تكاثرت الهموم عليَّ حتّى تكسّرت النّصال على النّصالِ

(ويسرّ «محمد» إلى «فؤاد» بجواب «لِيلِي» فيزمجر ويتوعد):

فؤاد: **رفضت يا ويلها إذ رفضتْ وبقلبي نقمة قد أيقظتْ**
سأجازيها على ما فعلتْ

(ثم تتغلب عليه العاطفة القديمة فيقول):

ليتها ما ارتكبت. . ما ارتكبتْ

(ويخرج مسرعاً فيعود «محمد» لسيدته فيراها جالسة حزينة فتسأله):

لِيلِي: **محمد: ما وراءك؟**
محمد: **كل شرٍّ لقد آلى ابن عمّكِ لن يناما**
سيثأر منكِ يا لِيلِي
لِيلِي: **إلهي أعِنِّي واكفني شراً ترامى**

(ويدرك محمد بعينه البصيرة وعقله المجرّب، أن فؤاداً سيفعل المستحيل لإخضاع لِيلِي، وأنهم مقبلون على تجارب مريرة فيرى أن يهرب بـ « لِيلِي» بعيداً عن منطقة نفوذ «فؤاد» حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً، فيقول لها):

محمد: **أرى أن تهجري لبنان حتَّى ... ينير البحث سراً قد تعامى**

ويعرف ما جرى لأبيك حقاً ... وأين تراه يا لِيلِي أقاما

ونخلص من أحابيل ابن عمّ ... عليه لعنة المولى دواما

(ويظهر أن الفكرة قد راقت لـ« لِيلِي» فاستجابت لها بقولها):

لِيلِي: **أؤيد ما ارتأيت، ونِعم رأي ... ولكن، أين نذهب يا محمد؟**

(وكان محمد مصري الأصل قدم لبنان في طلب العيش وانتسب لخدمة «خطّار». وقد هاجه الحنين لوطنه حين ردّد اسمه، وإذا به يقول):

محمد: **إلى مصر العزيزة يا لشوقي ... ويا وطني إليك العود أحمد**

(وتدرك «لِيلِي» ـ لأول مرة ـ أن مربيها مصري فتقول له):

لِيلِي: **أمصري؟**

محمد: **أجل، وطناً وقوماً ... ومجداً، نوّر الدنيا وأسعدْ**

لِيلِي: **وأهجر موطني لبنان قهراً ... يعزّ عليَّ أتركه وأبعدْ**

(ثم تندفع مغنية والموسيقى تصاحبها):

الغناء: **وطني لبنان يا مهد الجمالِ — يا منار المجد يا دنيا الجلالِ**

خلُد الحسن بهامات الروابي — وتسامى الفكر في مسرى الخيالِ

وطني لبنان حيّتك الأماني — في قشيب البرد والسحر الحلالِ

فانسياب النهر أنغام هيامي — تبعث النشوة في صمّ الجبالِ

صفّق الوادي وأشجاه سراها — وشدا الطير وصحب في التلالِ

وندامى ضمّهم راحٌ وروحٌ — في ظلال الأرز في دنيا الجمالِ

كيف أسلو؟ كيف أنسى ما جرى لي — وطني لبنان ما أقسى الليالي

يتّمتني، أجهدتني، عذّبتني — فمصيري ساء من حال لحالِ

فوداعاً منبت الأرز وداعاً — يا رُبى الخلد وأقيال الرجالِ

(ثم تنصرف وخادمها لتهيئة وسائل السفر):

(المشهد الثامن)

(وفي المساء نرى فؤاداً في داره أمام منضدة عليها ما لذّ وطاب من أكل وشراب، وهو يجرع كؤوس الندم لعله يطفىء بها أوار خيبته وإخفاقه. وبينما هو غارق في تفكيره، إذ بالجرس يقرع، فيذهب لفتح الباب وإذا به وجهاً لوجه مع «سونيا» حبيبته، الأرتيست فتفاجئه الزيارة، غير أنه يمسح أثر المفاجأة بابتسامة مجاملة فيقول):

فؤاد: **«سونيا»: أتيت...**

سونيا: **نعم....**

فؤاد: **يا مرحبا بمنى قلبي....**

(وتسخر «سونيا» من هذا الترحيب فتجيبه):

سونيا: **أظل به مأوى....**

فؤاد: **أجل سبلُ**

(ثم يأخذ بيدها في يده ويجلسها إلى الخوان قائلاً):

فؤاد: **هيّا اجلسي.....**

(ويملأ قدحها وقدحه ويقول):

واشربي نخب الهوى قدماً وحاضراً وادن منّي فالهوى قبلُ

(ثم يمازحها فلا تمانع ولكنه لا يتمادى. وفؤاد بعمله هذا إنما يريد أن يعرف أسباب الزيارة من غير سابق موعد، فتراه يستدرجها قائلاً):

ما جدّ يا سونيتي؟ قولي

سونيا: **أتسألني**

(ثم تندفع في قولها):

وأنت تعلم ما بالقلب يعتملُ

أخلصت ودّي فأخلفت الوداد وما أجدى بكائي ولا ذلّي ولا الرّسلُ

والعمر أفنيته أبغي رضاك جزى على وفائي فضاع العمرَ والأملُ

(وتحتد ويبلغ الانفعال مبلغه حين تقول):

قدّمت قلبي قرباناً فرحت به تلهو وتشبع نهماً فيك يقتتلُ

حتى ارتويت تركت العرض منهتكا والقلب منصدعاً والدمع ينهملُ

(ويريد «فؤاد» تدارك الموقف فيدنونها ويعبث بشعرها ويقول):

فؤاد: **ما تنكّرت يا حبيبة قلبي**

سونيا: **بل تجنّيت واستهنت بقلبي**

فؤاد: **لا وحسبي من الهوى وليال** **بتُّ أشكو لها سهادي وحبي**

والغرام العتيّ يوم رآك **سلم القلب للهوى والتصبي**

أبداً ما نسيت عهدك سونيا

(ويربت على كتفها قائلاً):

ونعيماً من الجمال بقربي

(ثم تشيع في عينيه الشهوة البهيمية فتدرك ما يجول بخاطره، وخاصة عندما يكرّر قوله):

أبداً ما نسيت عهدك «سونيا»

(وتنتهز سونيا الفرصة فتقول):

سونيا: **حسن ما تقول**

فؤاد: **أشهد ربّي**

(فتداعبه سونيا تعبث بشعره قائلة):

سونيا: **لِمَ لا تعلن الزواج ونحيا** **في نعيم من اللذاذة رحب**

(ويصعق فؤاد من هذه المفاجأة ويمسك بيدها التي كانت تعبث بشعره ويقول):

فؤاد: **الزواج؟**

(ويبتعد عنها قليلاً بينما هي تسبح في بحر من الخيال يتجلّى في قولها):

سونيا: **الزواج أسمى أماني كل أنثى ومرتجى كل صب**

(ويجيبها فؤاد بجفاء وقلّة اكتراث ومبالاة):

فؤاد: **لم أعدك الزواج. . .**

(وتجن «سونيا» من جوابه الجاف، وكانت تنتظر منه الإشفاق بعد ما سلّمته أثمن ما عندها فتقول والغضب يغمر محياها):

سونيا: **ويحك يا نذل انتهكت الثمين: عرضي وقلبي**

(ثم تنتصب وتسحب مسدساً من جيبها أعدّته لهذه الساعة، وما إن يراه فؤاد حتى يقف وقد بدت على وجهه أمارات الخوف وظهرت في قوله):

فؤاد: **ما أرى؟. .**

سونيا: **طلقة تريح ضميري من لئيم وسافل وابن كلبِ**

(ويهجم «فؤاد» عليها محاولاً انتزاع المسدس، وتبدأ المصارعة و«سونيا» متمسكة بمسدسها وهو يجاهد لانتزاعه منها. وتنقلب مائدة الطعام وقد اصطدما بها أثناء العراك ويقع ما عليها من شموع وسجاير فتندلع النار في أثاث الغرفة. والإثنان ما يزالان يصطرعان. وأخيراً يتمكن «فؤاد» من الضغط على زناد المسدس فتنطلق منه رصاصة تصيب مقتلاً من «سونيا» فتهوي

على الأرض جثة هامدة. يحركها «فؤاد» فلا تتحرك فتتراءى له جريمته ويتراءى له لهب النار وقد اشتد وامتد إلى الغرف المجاورة. ويسمع أصواتاً من الخارج فيصمم على الهرب، ويخرج بصورة عجيبة من بين ألسنة النار وقد علا أوارها، ولا يشعر به أحد، ويسرع رجال المطافىء لإخماد النار فيعجزون عن إطفائها فتمتد حتى تأتي على كل ما تصادفه من بيوت ودكاكين حتى تصل فيلا «خطّار» فتلتهمها وتنجو « لِيلِي» وخادمها «محمد» بأعجوبة، وقد فقدت كل شيء. وأخيراً يتمكن رجال المطافىء من إخماد النار بعد أن أصبحت فيلا «خطّار» وما حولها من الدور أثراً بعد عين. أما جثة «سونيا» فقد أصبحت رماداً ولم يبق من آثار الجريمة إلا المسدس. فيعتقد رجال المباحث أن «سونيا» وفؤاداً ذهبا حرقاً.

وتوطن «لِيلِي» نفسها ـ بعد هذا الحادث ـ على ترك لبنان فتلتفت إلى محمد المشدوه حزناً على ما حدث وتقول):

لِيلِي: **إلى وطن الكنانة يا محمد   فما أبقت لنا الأحداث شيّا**
فلا أهل ولا مال ودار   خرجنا مثلما جئنا فهيّا

(ويذهبان، بعد أن تلقي «لِيلِي» آخر نظرة على أنقاض دارها وتكفكف دمعاً أبى إلا أن ينهال جزعاً وحزناً على فراق وطنه. ويأخذان أول سيارة إلى بيروت ومنها بالطائرة إلى القاهرة):

(المشهد التاسع)

(يصل «خطّار» إلى حي الشيخ «عامر»، وخاطفاه مشهران السلاح في زهو وكبرياء. ويتجمع أهل الحي وتشيع فرحة الانتقام في وجوههم، و«خطّار» مطرق الرأس ينتظر مصيره المظلم. أما «خالد» فقد أخذته الشفقة والرحمة عندما نظر إلى «خطّار» وقد جلّله الشيب وهدّه اليأس، وأما أبوه «عامر» فقد تهلّل وجهه بشراً بدنو ساعة الأخذ بالثأر بعدما يئس من أخذه. يتقدم الخاطفان بخطّار إلى مضرب الشيخ «عامر» وينبري «منصور» للكلام):

منصور: **جئنا بخطّار**

عامر: **لا مرحى لخطّارِ ... يا صرخة الثأر من جانٍ وغدّار**

اليوم يا عين كفّي عن بكاك على ... «مهند» وخذي في أهبة الثأرِ

من مجرم غاله رأد الضحى بيد ... قد لطخت بالدما، بالخزي والعارِ

ولّى إلى أمريكا خائفاً وطوى ... بحراً خضمًّا على فلك به جارِ

عشرون عاماً مضت والثأر ما انطفأت ... نار له ودويٌّ مرعبٌ سارِ

عشرون عاماً قضى خطّارُ مغترباً ... والثأر لمّا ينمْ عن غدر «خطّارِ»

(يتطلّع «خطّار» في وجوه القوم فيرى فيها الشر إلا وجه «خالد» فقد كانت الشفقة ممزوجة بالامتعاض ظاهرة على محياه. ينفلت «خطّار» من بين آسريه ويلتجىء إلى «خالد» ويتعلق بأذياله قائلاً):

خطّار: **بك استجرت: أجرني في حماك ولا تخب رجائي ولا تبخل بإيثاري**
شطّت بيَ الدار لا أهل ولا وطن ولا صديق فكن عوني وكن جاري

(ويصرخ «عامر» في خاطفيه):

عـــامر: **خذوه: غلّوا يديه. . . . .**

(يسرعان إلى «خطّار» ومعهما الأغلال. يلتفت «خالد» إلى أبيه وإلى الخاطفين مشيراً بيده إليهما بالتريث، ثم يخاطب أباه):

خـــالـــد: **دعـــه يـــا أبـــتـــي فإنه في حماي اليوم**

(ويصرخ «عامر»: من هول المفاجأة):

عــامــر: **يـــــا عـــــاري**

(ويسري لغط وضجيج بين الحاضرين وتشعّب في الآراء ويرى الكثيرون أن في عمل «خالد» خروجاً على التقاليد العشائرية المعروفة عندهم ولا سيما والمقتول أخوه، ويرى عقلاء العشيرة ـ وهم قلّة ـ رأي «خالد». أما «خطّار» فيتنفس الصعداء، ويلتصق بـ «خالد» كأنه قطعة منه ويستمر «عامر» في صراخه وسخطه مخاطباً ابنه):

عامر: **نسيت مهنداً ونسيت ثأراً لقد جلّلتني خزياً وعارا**
خرجت على العوائد لست منّي ولا أنا منك مقربةً ودارا

(ويهتبل «خالد» الفرصة لينقذ الموقف فيقول):

أناتك يا ابي والحلم أولى بمثلك إن رأى مني عثارا
صحيح أنني آويت خصماً حلال قتلُهُ عرفاً وثارا
وثرت على تقاليد لقومي رعت بيداً لهم وحمت ديارا
وسار بذكرها حادٍ بركب وغنّى مطربٌ وشدا فخارا
بقايا من تراث العرب كانت لهم سننا. لهم كانت منارا
ولكنَّ الزمان أتى عليها ودكَّ صروحَها فغدت دمارا
وبدّلها شرائعَ قد تمشّى عليها الناس كرهاً واختيارا
ونحن العربَ جارينا زماناً على عاداتنا المثلى أغارا

(ثم تتغير لهجته ويبدو عليه التأثر فيقول):

عشرون عاماً على الجرم الفظيع مضت والعدل ما اقتص للمقتول من جاني

(ويقاطعه «عامر» محتداً بعد أن نفذ صبره):

عامر: **إن أخفق العدل في تحقيق ما رسمت يداه فالثأر يطفي غلَّ ظمآنِ**
خالد: **الثأر يا أبتي أيامه اندرست لم يبق للثأر من حولٍ وسلطانِ**
فإن ثأرنا ففي بطن السجون لنا زجر وقسوة تشغيلٍ وسجّانِ
وقد يكون جزانا الموت إن ثبتت أدلّة الجرم عمداً قبل عدوانِ
«خطّار» يا أبتي زالت عقوبته عشرون عاماً أزالت جرمه الفاني
هذا هو العدل غنّى الحاكمون به ما بين بيدٍ وأمصارٍ وركبانِ

(يتهامس الحاضرون، وتعاود الحيوية وجه «خطّار» وتزول أمارات الغضب من وجه «عامر». فيدرك ابنه «خالد» ذلك فينتهز الموقف قائلاً):

«خطّار» يا أبتي إن شئتَ تقتله فافعل وإن شئت فارحم شيبَهُ الفاني
بيَ استجار وقد لبَّيتُ جيرتَهُ ولاذ بالمرتجى من عفوك الداني

(ينظر «عامر» إلى «خطّار» فيهوله أثر الخوف في وجهه وينظر إلى شعره الأشيب وشيخوخته الفانية فيتأثر ويرق قلبه، ثم لا تلبث تلك الرقة أن تنطلق من لسانه فيقول):

عامر: **عفوت يا ولدي....**

(ويكبّر الجمع ويهلّل فيسرع «خالد» و«خطّار» ويجثوان على ركبتي «عامر» شاكرين جميله، حامدين صنيعه. ويربت «عامر» على كتف «خطّار» ويساعده على النهوض ثم يرفع يديه ضارعاً إلى رب السماوات والأرض):

ربّاه منَّ على قلبي بصبر وهب لي كل سلوانِ

خالد: **حييت يا أبتي..**

عامر: **بوركت يا ولدي**

خطّار: **جزاك ربك عنّي فيض إحسان**

(ثم يلتفت «خطّار» إلى «خالد» ودموع الفرح تترقرق في عينيه ومظاهر الشكر بادية على محياه):

خطّار: **وأنت يا ولدي أعظِمْ بمكرمة تبقى مدى الدهر أرعاها وترعاني**

(يقترب «عامر» منه ويعقد له الراية على عادة العرب ويقول له) :

عامر : **لقد أصبحت يا خطّار فينا عزيزاً جانباً منّا إلينا**

خطّار : **سأشكر ـ ما حييت ـ لكم جميلاً أظل ـ مدى الحياة ـ له أمينا**

(يجلسون، وتدار عليهم القهوة، وتنحر الذبائح، ثم يلتفت «خطّار» إلى «عامر» قائلاً وقد هتف به الشوق والحنين إلى ابنته «لِيلِي») :

أتسمحُ يا شيخَ الحمى بذهابي فقد أقلقتْ أهلي طريق غيابي

وبنتي لا أدري أجنّت وراءها فراقي وحال اليأس دون طلابي

(ثم يزفر زفرة حنان وشوق قائلاً) :

ألا ليت أنسام البوادي حَمَلْنَني إليها . .

خالد : **ستلقاها بخير إياب**

(ويبقى «خطّار» في ضيافة العرب ثلاثة أيام وهو عزيز الجانب مكرّماً محترماً كأنه لم يأت أمراً إدّا. وفي اليوم الثالث يهيّىء نفسه للسفر، وبينما هو ينتظر واسطة النقل إذا بـ «خالد» يدخل عليه قائلاً) :

أبا لِيلِي أتقبلني رفيقاً

خطّار : **ألا نعم الرفيق ونعم منقذ**

(المشهد العاشر)

(يصل «خطّار» و«خالد» «سوق الغرب» ويأمر الأول السائق بالإسراع في سواقته، وهو يكاد يجن فرحاً إلى جهة داره، ولشد ما كانت دهشته وخيبة أمله عندما شاهد منزله ركاماً تذروه الرياح. تقف السيارة و«خطّار» لا يصدق ما يرى و«خالد» واجم أيضاً. ثم يأمره «خطّار» بأن ينطلق بهما مسرعاً إلى أقرب مركز للبوليس فيقف هناك ويدخل إلى مقر ضابط البوليس وقد دفع أكثر من واحد من المراجعين ويخاطب الضابط، ويلحق به «خالد»):

خطّـــار: **أين لِيلِي؟ وأين داري وملكي؟**

الضابط: **أنت «خطّار»؟ أين كنت؟**

(تبدو أمارات الخوف على وجه «خالد» وقد خشي أن يفشي «خطّار» ما أصابه وخاصة بعد هذه النكبة التي حلّت به، وإذا بـ «خطّار» يقول):

خطّار: **أتـــاجـــر**

(يرتاح «خالد» من جوابه):

الضابط: **قيل في الخطف كنت أحقاً؟**

(ويمتعض «خطّار» قائلاً):

إنها فرية اللئيم الغادر

كنت في نجد في تجارة سمن ومواشي. . .

الضابط: **وعدت منها ظافر**

(ويقطع «خطّار» حبل حديثه التافه فيقول):

خطّار: **أين لِيلِي؟**

الضابط: **لقد بحثنا طويلاً ورجعنا نجرّ ثوب الخاسر**

ضل سعيي وسعي غيري ولما ينجلِ الصبح في سرانا الحائر

خطّار: **وفؤاد، ألم يفدكم بشيء؟**

الضابط: **قد طويناه في ظلام المقابر**

(يتهاوى «خطّار» على أقرب كرسي إذ لم يعد يحتمل الصدمات المتتالية ويقول بصوت متهدج):

خطّار: **كيف مات الحزين؟**

الضابط: **قتلاً وحرقاً**

(وينخرط «خطّار» في البكاء وهو يقول):

خطّار: **يا لها نكبة تشيب الخاطر**

(ويتذكر «لِيلي» ويظن أنها لاقت المصير نفسه فيقول):

«لِيلَي» ترى أين أنت الآن يا لِيلي
أأنت تحيين أم مثواك أخدودُ؟

خالد: **لا تبك «خطّار» واصبر صبر معتصم بالله...**

خطّار: **كيف وقلبي اليومَ موؤودُ؟**

(ويخرج «خطّار» من مركز البوليس متكئاً على ذراع «خالد» وقد عمَّ الحزن ضابط البوليس وجنوده، وبينما هما سائران يقول له «خالد»):

خالد: **خل البكاء وقم نبحث....**

خطّار: **أمن أمل؟**

خالد: **من يدري أنك يا خطّار مجدودُ**
أنستكين إلى اليأس المرير..

خطّار: **أجل لنتركِ البحث فالتوفيق مفقودُ**
«لِيلي» قضت نحبها حزناً وقد يئست
من عودتي وثوى في اللحد أملود

(ويمسح دموعه وعندما يدخلان السيارة يقول له «خالد»):

خالد: **والآن ما تنوي «خطّار» تفعله**

خطّار: **لا شيءُ «خالدُ» إن الفكر مكدودُ**
فقدت لِيلي ومالي بعدها أمل فالعيش من دونها ذلٌّ وتنكيدُ

(ثم يتوقف عن الكلام وآثار الإعياء بادية على وجهه ويعود ثانية ليقول):

خطّار: **الموت خيرُ سبيل لي وقد ذهبت** — **«لِيلي» ومالي فلا أهلُ ومعدودُ**

خالد: **يا أبا «لِيلِي» اصطبر** — **يفرج الله الكرب**

لا البكا يجدي ولا — **دمعه يطفي اللهب**

إن «لِيلِي» لم تمت — **إن قلبي ما كذب**

خطّار: **إنها ماتت. . . .**

(ثم يصعد زفرة كادت روحه تصعد معها ويقول):

أجل، ربّ هذا ما كتب

(ويلتفت إلى «خالد» ويربت على كتفه قائلاً):

بني «خالد»: إني جد مكتئب — **فالحزن حطم ما أبقاه لي جلدي**

فما جزيت جميلاً أنت فاعله — **ولا يداً رفعت ما أسقطته يدي**

اذهب لمصر وتابع في مدارسها — **علماً يضيء سبيل القصد والرشدِ**

أمّا أنا فسأبقى باكياً أبداً — **حتى تفارق روحي واهن الجسدِ**

خالد: **تبقى وحيداً ولا مالٌ ولا ولدٌ** — **وليس من سائل عنكم بذا البلدِ**

وكنتَ في نعمة واليوم مفتقر — **للناس والناس لا ترثي لذي أوَدِ**

وكان جودك ملء السهل والجبل — **وفيض برّك أفياء لمبترد**

واليومَ لا مالَ تهديه لذي عوز — **فالدهر خان وما أبقى على أحد**

لا أتركنَّك تحيا لا معيلَ على — **كيد الزمان وفقد الأهل والولدِ**

خطّار: **بنيَّ ما الرأيُ؟**

خالد: **رأيي أن تفيء إلى أبي وظل أمان وارف ودد**

(وتروق الفكرة لخطّار فيقول):

خطّار: **شكراً بني سأمضي...**

(ثم يقبّل خالداً قبلة أبوية ويقول له):

الوداع إذاً

(ويلتفت إلى ركام داره وربوع بلده ويقول):

وأنت يا موطني بعداً إلى الأبدِ

(المشهد الحادي عشر)

(وصلت الطائرة التي تقل «لِيلِي» ومربِّيها إلى مطار القاهرة ونزلت هي ومربيها واستقلا سيارة الشركة صاحبة الطائرة إلى مكتب الشركة، ومن هناك استأجرا تاكسياً. وبينما كان التاكسي منطلقاً بسرعة في أحد المنعطفات إذا هو يصطدم بسيارة شحن فينقلب ويقتل السائق ومربي «لِيلِي» التي تنجو بأعجوبة بعدما أصيبت برضوض في كتفها ويديها. وفي أثناء تجمهر الناس حول التاكسي المنقلب، نشل أحدهم حقيبة «لِيلِي» وفيها كل ما تملك من حطام الدنيا، وأخذت «لِيلِي» إلى الإسعاف فضمدت جراحها وخرجت تهيم على وجهها لا تعرف أين تذهب ولا أين تستقر وكم من مرة كادت تذهب ضحية سيارة أو ترامواي. وأخيراً دخلت شارع عماد الدين فبهرتها الأنوار والإعلانات فتلهّت بهذه المناظر قليلاً عن مصابها وبدأت تفكر في ما يجب أن تفعل. تذكرت أن لها صوتاً كان الناس يقولون عنه إنه رخيم حنون، وتذكرت أنه لم يبق لها من رأسمال غيره، فقررت أن تشتغل مغنية في أحد الكازينوهات، وبينما هي تتفحص (الفاترينات) شاهدت إعلاناً بارزاً لكازينو (الأقمار السبعة) فهرعت إليه وهي تقدم رجلاً وتؤخر أخرى. وأخيراً دخلت فوجدت رجلاً تخطى الأربعين جالساً إلى مكتبه وعليه هيئة الآمر الناهي. فسلمت عليه حين وقفت قبالته. وقد راعه دخول هذا الجمال الطاغي إلى ملهاه الذي يعتبر من الدرجة الثالثة بين ملاهي القاهرة، وتسأله «لِيلِي»):

لِيلِــــــي : **مـن صـاحـب الـمـلـهـى؟**

صاحب الملهى : **أنا** **فــي خــدمــة الــمــلــهــى هــنــا**

مـا تـأمـريـن استـوضـحـي؟

لِــيــلِــي : **عـمـل شـريـف. . . .**

(ويرى صاحب الملهى صيداً جديداً لا يحلم به ملهاه فيسألها عن اسمها):

صاحب الملهى : **يــــــا. . . .**

لِــيــلِــي : **«ضـحـى»**

(وكان هذا اسمها الذي اختارته لنفسها بعد أن هجرت وطنها لبنان وسيكون اسمها هذا في ما يلي بدلاً من «لِيلِي». يقدم لها صاحب الملهى الكرسي الذي بجانبه ويسألها):

صاحب الملهى : **ما تحسنينه «ضحى»؟**

ضــحــى : **أحــســنــت مــن حــظــي الــغــنــا**

صاحب الملهى : **من حظنا وسعدنا** **بــأن تــكــونــي بــيــنــنــا**

هيا بنا. . . . هيا بنا

(وتستمرىء «ضحى» حياتها الجديدة على مضض وكره، ونرى أثراً لألمها مما صارت إليه في بكائها المر عندما تفرغ من عملها وتعود إلى غرفتها).

(المشهد الثاني عشر)

(هرب «فؤاد» والتجأ إلى صديقه «متري» في بيروت وهو خائف يترقب أن يفتضح أمره. وفي ليلة من ليالي الأعياد المسيحية بلبنان، ذهب «متري» إلى الكازينو الذي كانت تشتغل فيه سونيا قبل موتها، وهناك التقى بأحد معارفه الأثرياء ويدعى «سمعان». . . ويدعو «سمعان» «متري» إلى مائدة في ركن قصيّ من الكازينو، ويجترّان فيه الماضي. ويحدث اتفاقاً جلوس إحدى أرتيستات الكازينو بجوار مائدتهما فيلتفت «سمعان» إلى «متري» قائلاً):

سمعان: **انظر إلى هذي الفتاة كأنها ... «سونيا» مصغرة تميس وتخطرُ**

هامت بحب فؤاد حتى إنها ... رضيت تموت على يديه وتحشرُ

ذهبا معاً قربان حب عاصف ... فعليهما رحمات ربّي تنثرُ

(ويتطلع «متري» إلى الأرتيست، وقد عشيت عيناه من البكاء حين ذكر اسم «سونيا» ويقول):

متري: **وارحمتاه لها:**

(ويعلق سمعان قائلاً):

«متري» لعمرك عفو ربّي أكبرُ

سمعان: **وفؤاد يكظم غيظه في صدره ويكاد من آلامها يتفجرُ**

(ويجيب «متري» من دون وعي):

متري: **و«فؤاد»؟**

(يضحك)

ها.. ها للسجون مصيره وله بساحتها المكان الأكبرُ تعساً له لما يمت...

(وتسترعي «سمعان» هذه العبارة وقد قذف بها «متري» فيستدرجه قائلاً):

سمعان: **لمّا يمتً**

متري: **تبقى الرذيلة والفضيلة تقبرُ**

(ثم يقترب من سمعان ويسرّ إليه وهو يترنّح ويتلوّى في كلامه):

إنه مختفٍ... أتكتم سري؟

(ويجيب «سمعان» بخبث ودهاء):

سمعان: **في قرار من الأمان مكينِ**

أين؟...

متري: **في منزلي يقيم عزيزاً**
سمعان: **يا لإخلاصك القوي المتينِ**

(ثم يغير مجرى الحديث وقد بيّت في نفسه أمراً، ويشير إلى «نهى» مغنية الكازينو فتأتي ويقول لها):

يا نهى:
نهى: **(وي شري)**[1]
سمعان: **إليَّ تعالي** **نفنَ في لذة الهوى والمجونِ**
نهى: **ما أحيلاك ماجناً وخليعاً**
سمعان: **ما أحيلاك في مجال الفنونِ**

(وتجلس «نهى» فيغمزها لتداعب «متري» الذي لا يشعر إلا و«نهى» تميل إليه وتعبث أناملها بشعره فتهتاجه هذه المداعبات، وتفعل «نهى» ما تؤمر و«متري» يستروح بما يفعل ويقول):

قربي يا «نهى» تعالي بجنبي **إن شوقي يقول: هل من مزيدِ؟**
إجعلي شعرك الجميل غطائي **والحنان الفتيَّ ملء الزنودِ**

(تعنى به «نهى» فيحسّ بالدفء والراحة فينام وقد غلبه الكرى، ويحمله خدم الكازينو إلى سيارة «سمعان» الذي ينطلق مسرعاً به إلى البيت. يدق الجرس فيفتح خادم «متري» الباب):

سمعان: **تعال....**

---

(١) كلمتان فرنسيتان معناهما: نعم عزيزي.

(ويسرع الخادم فيرى سيده في السيارة نائماً فيقول):

الخادم: **هل سيدي؟....**

سمعان: **في خير عافية نشوان... عادته**

الخادم: (لنفسه) **يا بئسما اعتادا**

(يتعاونان على إدخاله، ويسأل «سمعان» الخادم):

سمعان: **قل لي «فؤاد» هنا؟**

(ويضطرب الخادم ولكنه يتمالك فيجيب):

الخادم: **ما عندنا أحد بالاسم هذا ولا «متري» به نادى**

سمعان: **«فؤاد» قاتل سونيا، ليس عندكم؟**

(ويتطلع «فؤاد» من فرجة الباب فيرى عدوّه «سمعان» ويراه هذا في المرآة. أما الخادم فيقول):

الخادم: **ما آوت الدار يا أستاذُ أوغادا**

(ويدير «سمعان» ظهره ويغادر المكان، فيهرع الخادم إلى «فؤاد» فيبادره هذا قائلاً):

فؤاد: **سمعت ما قلت: فضل سوف أذكره إني وربِّكَ لا أنسى لمن جادا**

«سمعان» سار إلى البوليس يخبره

(ويصرخ الخادم):

الخادم: **أهرب فإنهم آتون أعدادا**

(ويهرب «فؤاد» إلى أحد معارفه في مكان ناء من لبنان، ويأتي «سمعان» ومعه قوة من البوليس فيحاصرون بيت «متري» ويدخلون فيفتشون فلا يجدون أحداً فيأخذون «متري» وخادمه للتحقيق معهما):

(المشهد الثالث عشر)

(ويعود «خالد» إلى جامعته ويستأنف دراسته بنشاطه المعهود. ويخرج في إحدى الأمسيات مع زميلين له للترويح عن النفس في شوارع القاهرة. فتسترعي انتباههم الإعلانات التي علقها صاحب كازينو «الأقمار السبعة» على جُدُر شوارع القاهرة، ونشرها بين أيدي الناس بشتى الطرق. ويتفق «خالد» مع زميليه على حضور هذه الحفلة، فيدخلون ويجلسون إلى إحدى المناضد. ويرفع الستار فتدوي القاعة بالتصفيق حين تظهر «ضحى» في أجمل حلّة ويدهش «خالد» ورفيقاه من الجمال الطاغي، وتصدح الموسيقى وتغني «ضحى» المقطوعة التالية التي كانت تقاطع بالهتاف والتصفيق والاستحسان والاستعادة):

الغناء: **ماضي الذكرى إليّا**

إن في جنبيَّ شيّا **منك يا ذكرى**

إن تدرعت بصبري

ضاق ذرعاً منه صدري

بالفكر سارح بسري

تائهاً في مهمهٍ قفرِ

واسع الأرجاء أعشى الأفق

لـيـس يـدري مـا يـعـي أو يـتـقـي

فيك يا قلبي أنينٌ لا يبين

والهوى العربيد فيه مستكين

مــــن جـــراح الـــقـــدر

مــــن دمــــوع الــــســــهــــر	مــنــك يــا ذكــرى

وســـــرى مـــــا قـــــد ســــرى

إن قــــلـــــبــــي انـــتـــحـــرا

إنــنـي أقـصـيـت عـن دنـيـا : الـنـدامـى، والـهـيـامـى، وعـشـيـات الـمـجـون

إنــــمـــا دنـــيـــاي لـــهـــوٌ ومـــجـــون	ولـــيـــال ولـــيـــالـــي فـــتـــون

عـــربـــدَ الـــلـــيـــل ولـــلـــيـــل جـــنـــون	فـــاســقـــنـيـهـا قـــبــلاتٍ وشــؤون

مــتــرعــات بــلــذاذات الــوصــال

ردد الـــلـــيـــل صـــداهـــا

كـــلّـــل الـــفـــجـــر نـــداهـــا

بأزاهير الأماني والجمال

رنـــح الـــلـــيـــل ســـهـــاد الأمـــل	ورتـــيـــب مـــن بـــكـــاء وأنـــيـــن

واســتــبــتــه تــمــتــمــات الــقــبــل	وهي نشوى في شفاه العاشقين

فـــيـــك يـــا لـــيـــل ســـرور وحـــبـــور

فـــيـــك يـــا لـــيـــل ســـفـــورٌ لـــلـــبـــدور	فـــيـــك نـــجـــوى وحـــنـــيـــن

بـزغ الـفـجـر ولـيـلـي انـسـحـبـا : مـغـضـبـا

وطـيـور الـروض تـشـدو مـرحـباً مـرحـبـا	بالضيا، بالبشر في هذا الصباح

وزهـور الـحـقـل يـعـلـوهـا الـبـهـاء

واخـــضـــرارٌ نـــاضـــر فـــيـــه رواء	وأريـجٌ مـن لـيـالـيـهـا الـمـلاح

يـــا رســـيَـــس الـــحـــب ذكـــرى	أمـــل لاقـــى الـــمـــنـــونـــا

صـــنـــتـــه الـــعـــمـــر بـــقـــلـــبـــي	وتـــحـــمـــلـــت الـــظـــنـــونـــا

ولـــيـــالٍ بـــتُّ أشــكــوهـــا غـــرامـــي   خلت لليل سماعاً وعيوناً وجنانا

مـن سـمـيـري فـي لـيـالـيَّ الـيـبـاب

مـن لـقـلـبـي مـن أفـانـيـن الـعـذاب

إن لـــلـــوجـــد بـــه زمـــزمـــة

وأمـــانـــيـــه ســـراب فـــي ســـراب

عـــنـــدمـــا يـــقـــســـو بـــعـــادي

مـــن تـــبـــاريـــح ســـهـــادي

عـنـدمـا يـفـنـى اصـطـبـاري

وابـــتـــهـــالـــي وادكـــاري

يهتف القلب ويصبو للحبيب

أنــت يــا ذكــرى حــمــيــا لــيــلــتــي   أنت تـدنـين بـعـيـدي والـقـريـب

(وتنتهي «ضحى» من غنائها فيقابلها النظارة بعاصفة من تصفيق الاستحسان والإعجاب. وكان يجلس إلى مائدة بجوار مائدة «خالد» اثنان من أثرياء العرب هما «رؤوف» و«جمال» وقد حفلت مائدتهما بما لذ وطاب من أكل وشراب. وكان «رؤوف» هذا يتابع غناء «ضحى» بعين ملتهبة شبقاً. وصاحبنا هذا ـ على ما يبدو ـ صديق حميم لصاحب الكازينو الذي نراه يتفقده بين آونة وأخرى بنفسه أو بخدمه. ولما انتهت «ضحى» من غنائها استدعى رؤوف صاحب الملهى وأسرَّ إليه بشيء ذهب على إثره وعاد ومعه «ضحى». ولما أبصرا بها قادمة عن بعد قال «رؤوف» لصاحبه):

رؤوف :   **أقـبـلـت كـالـريـح**

جـمـال: **كـالـشـفـق الـضـاحـك**

رؤوف: **كـــالـــبـــدر**

جمال: **كانبلاج الصباح**

رؤوف: **تـتـهـادى ولـلـدلال فـتـون**

جـمـال: **كـفـتـون الـسـرور فـي الأفـراح**

(ويقدم صاحب الملهى «ضحى» إليهما ويذهب لشأنه وتجلس بينهما ويبتدرها رؤوف قائلاً):

رؤوف: **أهـلاً وسـهـلاً يـا ضـحـى**

جـمـال: **يـا مـرحـبـاً: يـا مـرحـبـا**

ضـحـى: **شـكـراً عـلـى مـا قـلـتـمـا**

رؤوف: **الـعـفـو يـا زهـر الـرّبـى**

مـا تـشـربـيـن يـا «ضـحـى»

ضـحـى: **(بـيـبـسـي)**

(يملأ قدحها وقدح زميله وقدحه طبعاً ويناولها كأسها قائلاً):

رؤوف: **اشـربـي فـيـه الـهـنـا**

(ويجرع كل منهما ما أمامه، وفي أثناء انشغال «رؤوف» وزميله وتزويد المائدة بأشهى المأكولات، تنظر «ضحى» حولها فتلتقي عيناها بعيني «خالد» الذي كان يراقبها ويتتبع حركاتها فتسمرت عيناها وتسمرت عيناه هو كأنما «كيوبيد» قد عقد حباً جارفاً بين العينين، ويختلس كل منهما النظرة من الآخر في غفلة الرقباء. أما «رؤوف» وصاحبه، فقد أفرطا في الأكل والشرب

و«ضحى» مشغولة باختلاس النظرات من «خالد» وهو كذلك.
ولما بلغ الهيام بـ «رؤوف» أشده، مال على «ضحى» يحاول تقبيلها فصفعته ودفعته فوقع وكرسيه أرضاً ونهضت فصفعها زميله صفعة أليمة وقعت من جرائها على الكرسي باكية. فاستفز هذا العمل المستهجن خالداً فانقض على «جمال» ولكمه لكمة وقع على إثرها أرضاً ونهض «رؤوف» لمساعدته فلكمه «خالد» لكمة قوية انبثق على إثرها الدم من وجهه. فأسرع صاحب الكازينو وجرسوناته للقبض على «خالد» فهب زميلاه لمساعدته ودارت معركة طوح فيها «خالد» وزميلاه بالجميع أرضاً. ثم أخذوا «ضحى» وخرجوا من الصالة وركبوا أول سيارة صادفتهم، وعندما وصلوا إلى دار «ضحى» قالت لهم):

ضحى: **هنا داري... قفوا....**

(ويقفون وتنزل «ضحى» من السيارة وينزلون لتوديعها فتقول لهم):

شكراً جزيلاً على ما قمتُم نحوي العشيه
خالد: **لقد قمنا بواجبنا وإنا بأمرك كلنا أبداً حميه**

(وتودعهم «ضحى» وتدخل إلى بيتها. وينصرف «خالد» مع زميليه. لم تتمكن «ضحى» من النوم تلك الليلة، تراها تتقلب في فراشها وتقوم منه أحياناً وتطل من الشرفة حتى تنفس الصباح فنامت نوماً عميقاً من شدة السهر. ومثل هذا القلق ساور خالداً فلم ينم ليلته تلك):

(المشهد الرابع عشر)

(نرى «متري» وخادمه أمام ضابط البوليس وهو يعنف «متري» قائلاً):

الضابط: **أتؤوي قاتلاً نذلاً؟**

(ويجيبه «متري» ببرود):

متري: **ولم لا؟ لقد آويت يا (مسيو) خليلا**
سفحنا العمر آثاماً وفجراً وسحنا في مباذلنا طويلا
فلم نترك مناهل لم نردها سل البيسين و«الليدو» و«لي لا»

(وينفعل الضابط من جوابه فيصرخ):

الضابط: **خذوا هذا اللعين غداً سيلقى بساحات القضاء جزا وبيلا**

(يقودونه وخادمه إلى السجن، وتنشر دوائر الأمن صورة «فؤاد» في الجرائد وجائزة لمن يقبض عليه أو يرشد إليه)

* * *

(المشهد الخامس عشر)

(آذنت الشمس بالمغيب، فيودع «خالد» أوراقه وكتبه خزانتها ويصلح هندامه ويذهب إلى دار «ضحى» ويدق الجرس فتفتحه هي نفسها وتنفرج ثناياها عن ابتسامة لها معناها):

خالد: **مساء الخير**

ضحى: **أهلاً**

(يدخلان ويجلسان في غرفة الاستقبال):

خالد: **كيف حالك؟**

ضحى: **بخير، كيف أنت؟**

خالد: **أنا كذلك**

ضحى: **لساني كله حمد وشكر** **فلولا أنت كنتُ من الهوالك**

خالد: **عملت بما قضت آدابُ قومي** **فصنت الخلق من زلق المسالك**

ضحى: **وناصرت الضعيف على قوي**

خالد: **بعزم مستمد من فعالك**

ضحى: **وذلّلت الصعاب بفضل خلق**

خالد: **وإيمان تزوّد من خصالك**

(ثم يغير «خالد» مجرى الحديث فيسألها):

مــاجــدَّ بــعــد ذهــابــي أمــس

ضحى: أبلغني أمين سر (الكازينو) الفصل عن عملي

خالد: ما الرأي؟

ضحى: ذلك ما أبغيه منك وقد عز الصديق فلا عون سوى أملي

خالد: إني صديقك والأيام شاهدةٌ عليّ فاعتمدي والله متّكلي

فالمال عنديَ موفور أقدمه والقلب رهن يديك فاطلبي تنلي

أقولها وأنا لا أرتجي ثمناً إلا رضاك فلا تأسي ولا تسَلي

ولتعلمي أنني من معشرٍ جبلوا على الوفاء وحفظ العهد والمثُلِ

(وتفتن «ضحى» بمنطقه وعواطفه السامية وتعبيره المخلص فتجيبه):

ضحى: يا صديق ـ أقولها وأفاخر ـ ما نسيت الجميل قدماً وحاضر

سوف أرعى ودادك الحر عمري بيد المخلص الأمين الشاكر

عطفك الوارف الظلال عزائي ومعيني على الزمان الجائر

(ثم تعتدل في جلستها وتتكلم بجد وتأثر):

أنت ما زلت طالباً يا صديقي فإذا ما اشتغلت بي شغلت الخاطر

وتنكبت عن سواء سبيل وتعثرت في سراك الحائر

أمل جئت مصر تسعى إليه منعماً ممعناً مجدًّا مثابر

فإذا ما انصرفت عنه لحبي فلقد أبْتَ بالمصير الخاسر

يا صديقي: وحق ودي يقضي لمن اخترته صديقاً وناصر

(وتغرورق عيناها بالدموع وهي تقول):

عـد إلـى عـشـك الـجـمـيـل ودعـنـي   في هـمـومـي ومـا قـضـتـه الـمـقـادر

(ويتأثر «خالد» من كلامها فينهض ويقول متحمساً):

خـالـد: **قـسـمـاً بـالـذي يـمـيـت ويـحـيـي   وبـمـن يـعـلـم الـنـهـى والـسـرائـر**

مـا تـخـلـيـت عـن هـواك وإنـي   صادق القول في الخفا والظاهر

إنـمـا حـبـي الـبـريء ضـيـاء   في دجى عشي الجميل الساحر

ضـحـى: **لـسـت أدري بـأي لـفـظ ومـعـنـى   أجـزل الـشـكـر لـلـصـديـق الـثـائـر**

(ثم تمد يدها إليه ويمد هو يده إليها ويتصافحان وهي تقول):

جـمـع الله بـيـنـنـا يـا صـديـقـي   أنـت مـنـى

خالد: **وأنـت نـعـمـة قـادر**

امـنـحـيـنـي الـذهـاب

ضـحـى: **أيـن؟**

خالـد: **لـعـشـي**

ضـحـى: **بـارك الله فـي صـديـقـي الـمـثـابـر**

(وتلتقي عيناهما فلا يملكان الصبر فينظر إليها نظرة تفيض بالحب والعطف وينصرف والدنيا لا تسعه. أما هي وقد هزتها النظرة وأثارت كامن عواطفها، فتخطو في صالونها ـ ذهاباً وإياباً ـ والفرح يرنح عطفيها ثم تذهب إلى باب الشرفة فتفتحه وتخرج، وقد هوّم الليل، وصفا الجو، وتألقت النجوم في

سمائها، وداعب النسيم أغصان الأشجار، فإذا رعشة النجوم، وتأوّد الغصون، وحفيف الورق، أنغام تهز أوتار القلوب، وإذا «ضحى» تتجاوب معها فتغني):

الغناء: **حدثي الكون عن هواي الجديدِ ... يا ليالي وباركي لي وليدي**

واضفرِ الزهر يا نسيم عقوداً ... للحبيب الجميل كل الورودِ

واشهدي يا نجومُ نجوى غرامي ... وادّكاري على ترنم عودي

والأضاحي وأمسياتٍ عذارى ... ضمختها المنى بعطر الوعودِ

غردي يا طيور ألحانَ حبي ... في أعالي الغصون فوق النجودِ

ولد الحب يا دنا فاسمعيني ... رائعَ اللحن عبقريَّ القصيدِ

والبسي السندس القشيب وتيهي ... يا ربى مصر يا جنان الخلودِ

إن في نيلك السعيد الأماني ... وعلى ضفتيه مجد الجدودِ

يا بلاداً هجرتُ داري وقومي ... في هواها وقيت عين الحسودِ

(ثم تدخل وتجلس على أحد المقاعد ساهمة واجمة وإذا بها تنتصب وتقول):

يا قلب أتعبك الهوى ... فمرضت واستعصى الدوا

أنسيتَ عهداً قد قطعت ... بأن تصوم عن الهوى

أبتي وحقَّك ما نسيت ... ولن يروعني الجوى

حتى أرى أبتي على قيد ... الحياة أم انطوى

(وتتساقط الدموع على خدها حين تذكر أباها وتقول):

يا خالد اعذرني ولا تحزن إذا اشتط النوى

قدر ينفذ ما الاله يشاء فلنصبر سوى

(المشهد السادس عشر)

(نرى فؤاداً في مخبئه الجديد مطرقاً ساهماً يفكر في أمره، وبينما هو كذلك يدخل عليه «هاني» صديقه وصاحب المخبأ، وبيده رزمة من الجرائد والمجلات فيرمي بها إليه ويجلس على أحد المقاعد ينفث دخان سيجارته. يقلب «فؤاد» الصفحات فيرى صورته وبجانبها مقدار الجائزة لمن يقبض عليه أو يرشد إليه فيمتقع لونه ويلطم خده وهو يقول لصديقه):

فؤاد: **ما الرأي عندك؟**

هاني: **رأيي أن تفر إلى مفاوز الشام أو صحراء عمان**

فؤاد: **لا أستطيع. . . .**

هاني: **ولِمْ لا؟**

فؤاد: **إن بينهمُ**

(ويقاطعه «هاني» قائلاً):

هاني: **بين البلادين هذين ولبنانِ**

صك اتفاق لتسليم الجناة؟

فــــــؤاد : **أجـــــــل**

هانـــــي : **لـيـت اتـفـاقـهـم تـوحـيـد أوطـانِ**

ومـصـر مـثـلـهـمُ؟

فــــــؤاد : **كــــــلا . . . .**

هـــانـــــي : **إذن فــإلــى مـهـد الـكـنـانـة دار الـعـز والـشـانِ**

(المشهد السابع عشر)

(نرى «ضحى» ومعها حقيبتا سفر يحملهما بواب العمارة ويضعهما في صندوق تاكسي، وقبل دخول السيارة تخاطب البواب بعد أن نقدته):

ضحى: **«عثمان» لا تنسَ الحراسة والعنايه**

عثمان: **إنـي سـأفـعـل مـا أمـرت**

(وعندما تتحرك السيارة وتلوح له بيدها يقول):

مـع الســلامــه

(المشهد الثامن عشر)

(نرى خطّاراً جالساً في مضربه ساهماً واجماً يتقلب في مقعده وأمامه كلب يحرك ذنبه كلما بدرت حركة من «خطّار»):

(المشهد التاسع عشر)

(نرى خالداً في طريقه إلى بيت «ضحى» وقد تجمل بأحسن ملابسه، وعندما ينزل من التاكسي يلقاه البواب فيسأله «خالد»):

خالد: **أ «ضحى» بشقتها هنا؟**

عثمان: **كلا... لقد رحلت «ضحى»**

(يبدو الاستغراب على وجه «خالد» فيقول):

خالد: **رحلت إلى أي الجهات؟ ألم تقل لك؟**

عثمان: **لي... أنا**

أبداً سوى أن أعتني بالبيت إن لزم اعِتنا

(وينصرف «خالد» هائماً على وجهه في شوارع القاهرة يجوبها وهو يفكر حتى وصل «ميدان التحرير» فيلتقي هناك بأحد زملائه فيثوب إلى رشده ويأخذان الأتوبيس إلى حيث يسكنان):

(المشهد العشرون)

(نرى «ضحى» في دار إحدى صديقاتها وهما يتجاذبان أطراف الحديث عن «خالد» طبعاً):

الصديقة: **قسوت لَعمري**

ضحى: **بل ظلمت مخلصي   وجرتُ على حبي، ودستُ على قلبي**
وأدتُ هوى لما تر النور عينه   فيا لَعظيم الجرم

(ثم ترفع كفيها ضارعة):

عفوك يا ربي

(المشهد الواحد والعشرون)

(ويقضي «خالد» ليلة ساهدة، كلما همَّ بالقراءة ملَّ قبل البدء؛ وهكذا نراه في غرفته لا يستقر على حال، فمرة يجلس، وتارة يقوم وأحياناً يخرج إلى الشرفة، ويظل على هذه الحال حتى بعد منتصف الليل، إذ يسمع غناء عن بعد فيرمي بجسده على أحد المقاعد في الشرفة وقد استهواه الكلام واللحن):

الغناء:

سهد الشاكي وأضناه السهرْ ... ومضى الليل وأنضته الفكرْ

من أمان ثاكلات ورؤى ... باكيات ومعاني وصور

وَلْوَلَ البرح فسحّتْ عبرةٌ ... هي ذكرى إن في الذكرى عبر

ولقد تبكي وما يجدي البكا ... ولقد تشفى وما يغني الضجر

أيها الساهم في أفق الهوى ... حسبك الشكوى إلى قلب حجر

يا حبيبي شاب دمعي وشكا ... حاضري المكلوم للماضي الأغر

من حنين وأنين ونوى ... وجوى جرّعني منه الأمرّ

فإذا الدنيا ظلام دامس ... تتوارى في دياجيه الذكر

وإذا الماضي وما في سره ... حلم قد مر في نوم القدر

(يقوم «خالد» بعد انتهاء الغناء وقد وجد فيه بعض العزاء):

(المشهد الثاني والعشرون)

(نرى فؤاداً وقد أصبح اسمه هارون على ظهر جمل في صحراء مصر ومعه دليله يركبان الليل في طريقهما إلى القاهرة ويسيران في حذر خشية عيون الرقباء من جنود الصحراء. وعندما يصلان مشارف القاهرة، يجد «هارون» سيارة في انتظاره فيسلمه الدليل إلى سائقها فيذهب به):

(المشهد الثالث والعشرون)

(ترى صديقة «ضحى» تقول وهي داخلة شقتها متهللة «وضحى» في استقبالها):

الصديقة: **أبشري يا ضحى...**

ضحى: **بماذا؟**

الصديقة: **بشغل**

ضحى: **أين؟..**

الصديقة: **في مسرح الخلود العظيمِ**

إن أصحابه لطاف كرام وهم بانتظارك الآن قومي

(تقبّلها «ضحى» وتدخل لترتدي أحسن ملابسها لتذهب بصحبتها إلى المسرح المذكور):

(المشهد الرابع والعشرون)

(لم يكن بالهين على «هارون» أن يجد عملاً شريفاً، فحاقه اليأس؛ وأخيراً التجأ إلى بيع المخدرات والتف عليه أمثاله وقرناؤه من مدمني هذه السموم ومن اللصوص والمجرمين الخطرين الذين تتعقبهم العدالة. تراه مع هذه البطانة السيئة في «غرزة» من غرز القاهرة، فهذا يدخن الحشيش وذلك يشرب «البوزة» وآخرون ينامون من كثرة التدخين والشرب).

(المشهد الخامس والعشرون)

(وأعلنت الإذاعة المصرية عن أولى حفلات «ضحى» من «مسرح الخلود» فتهافت الناس على شراء التذاكر حتى نفدت، واكتفى من لم يجدوا تذاكر، بالجلوس إلى المذياع وهو ينقل إليهم صوت «ضحى»، وسمع «خالد» الإعلان من الإذاعة وقرأه في أمهات الصحف المصرية فاشترى من السوق السوداء تذكرة بضعفي ثمنها الأساسي، وفي الليلة المحددة غصت صالة المسرح وشرفاته بالنظارة وفي مقدمتهم «خالد»، ورفع الستار، وبدت «ضحى» في أجمل حلة، وأحسن منظر. وصدحت الموسيقى وانطلقت «ضحى» تغني القطعة التالية بصوت ملائكي ساحر، كان يقابل ويقاطع بتصفيق الاستحسان والإعجاب).

الغناء:

غمرت ليلي الجميل طيوف ... من نحيب يلوم إثر نحيبِ

وهموم تمر صرعى هموم ... ووجيب يجيء بعد وجيب

أترع الكأس من دنان عذابي ... وأغني على أنينٍ رتيب

أملٌ ضاع في مجاهل أمسي ... وهوًى شاب قبل يوم مشيبي

شيع الليل ساهداً يا فؤادي ... وصل الصبح بالضحى بالغروب

شاكياً باكياً غراماً قديماً ... والتياعاً يجدُّ في التعذيب

طوح اليأس بالأماني وولت ... أمسيات الهنا وضلت دروبي
واعترتني من البعاد ظنون ... وظنون المحب سر الشحوب
أيها البدر يا نجى الهيامى ... ضاق صدري من البعاد المريب
يزحم الشك خاطري وجناني ... فأنا منه في عذابٍ رهيبِ
كلما زحزح اصطباري هموماً ... قد أناخت على فؤادي الكئيب
داهمته أشد منها بلاء ... يا لقلبٍ معذب مكروب
هجع الليل في فراش الصباح ... وعلى لحن صادحات طروب
ومشى الفجر في مطارف تيهٍ ... ووشاح من الزهور قشيب
يوقظ الفتنة النؤوم ويزجي ... نفحات من الأريج الرطيب
فيه وحي الهوى وحلم العذارى ... والهيامى وتمتماتُ الحبيبِ

(وتبصر فجأة خالداً بين المتفرجين، فيفترّ ثغرها ويتورد محياها، ثم تندفع مغنية بشوق وحرارة):

صفق القلب حين آب حبيبي ... بعد برح الهوى وطولِ المغيبِ
قلت من فرحة تشيع بنفسي ... ليت ما كان لم يكن يا حبيبي

(المشهد السادس والعشرون)

(وكان «هارون» وشلته في أحد المقاهي يستمعون إلى صوت «ضحى» الذي ما كاد يسمعه «هارون» حتى تذكر أنه يشبه صوت «ليلي» بنت عمه، بيد أنه استبعد وجودها في مصر، ويصفق من في المقهى ـ وقد انتهت «ضحى» من غنائها، ويقوم صاحب المقهى من فرط إعجابه ـ ويخرج صورة «ضحى» ويقبلها ويعلقها في صدر القهوة، ويتهافت الجالسون على رؤية صورة المطربة الجديدة، ومنهم ـ طبعاً ـ «هارون» الذي كتم دهشة فرح في نفسه وعاد إلى مقعده وقد بيّت في نفسه أمراً):

(المشهد السابع والعشرون)

(نرى «ضحى» وخالداً في الصالون يتحادثان و«خالد» يقول):

خالد: **كان قلبي مجاهلاً وصحاري وسدوداً مغلقات السدودِ**
فإذا حبك المظفر يغزو ويدكُّ الحدود تلو الحدود
وإذا تلكمُ القفار رياض ناضرات بكل زهر نضيد
وإذا حبُّكِ المجنح آيٌ بيّنات على هواي العتيد

(يدنو منها وتدنو منه فيقول وهو يتأمل وجهها):

أنت ما أنت أنت وحي قصيدٍ رائع الجرس عبقريُّ النشيدِ
أنت ما أنت أنت نبع ضياءٍ قد هداني إلى الصراط الحميد
أنت ترنيمة الزمان ولحنٌ من معانيه صيغ لحنُ الخلودِ

(تضع رأسها على كتفه فيعبث بشعرها ويقول):

خالد: **يا ربيع الحياة يا أملي العائد يا طارفي ـ أجل ـ وتليدي**
شعشعي ليلي اليبابَ سناءً وانشري البشرِ في مداه البعيدِ
واغمريني بواطف من أمانٍ يانعات بعطفك الممدودِ
لست أدري ألّلبعاد مصيري أم أنا قربَ شاطئي الموعودِ

(تتلفت إليه وتمد يدها إلى عنقه ويفنيان في عالم من الحب والقبلات):

(المشهد الثامن والعشرون)

(لم ينم «هارون» وهو يفكر في «ضحى» التي تشبه ابنة عمه «ليلي» لعلها هي أو لعلها شبيهتها، على كل حال يجب أن يراها. وفي الصباح الباكر يخرج من مسكنه ويبتدىء يسأل عن دار «ضحى» مطربة الوادي. وبعد ساعات من سؤال الناس، استدل عليه فقرع الجرس فخرج الفرّاش سائلاً بتهكم حينما رأى القادم من الطبقة الدنيا):

الفراش: **من أنت يا «سيدي»؟**

(ويناوله «هارون» بطاقته قائلاً في استعلاء):

هارون: **أنا «فؤاد» ابن عمها**

(ويرى الفراش في لهجته شبهاً من لهجة سيدته اللبنانية فيقول):

الفراش: **اصبر قليلاً هاهنا**

(وينطلق إلى سيدته فتبادر بسؤاله):

ضحى: **هل من جديد عندنا؟**

الفراش: **(يناولها البطاقة فتقرأها وتتغير ملامحها ثم لا تلبث أن يزايلها اضطرابها فتقول):**

ضـــــحـــــى: **«فـــؤاد» جـــاءنـــا!!**

أدخــلــه فــي صــالــونــنــا

(يذهب الفرّاش وتصلح «ضحى» من حالها وتنزل إلى الصالون فتجد فؤاداً بانتظارها. يسرع حين يراها قائلاً):

هارون: **«ليلي» لكم أنا مسرور وقد جمعت عـنـايـة الله عـقـداً كـان مـنـثـورا**

ضحى: **الحمد لله...**

(وتتذكر أباها حين رأته فتقول بألم):

يــا لــيــت الــزمــانَ لــنــا يصفو وتجبر يا ربّاه مكسورا

(ويظن »هارون» حين تألمت «ضحى» أنها فقدت أباها فيقول):

هـــارون: **عـــمّـــي....**

(وتقاطعه «ضحى» بلهفة):

ضحى: **أعـنـدك مـن مـجـهـولـه خـبـر؟**

(ويريد «هارون» أن يكحل الأمر فيعميه بقوله):

هـــارون: **كلا، لقد عاد من أرسلت مدحورا**

(تتهاوى على مقعدها وتنشد قائلة):

ضحى: **«خطّار» أين تُرى يا رب «خطّارُ» ... حي، تُرى، أم طوته اليوم أحجارُ؟**
خلفت «ليلي» تقاسي الحزن أعظمه ... والبين أوجعه والحزن قهار
أأنت مثلي تعاني ما أكابده؟ ... أهائم أنت لا مالٌ ولا دارُ
يعضك الجوع والذل المرير ولا ... أهل لديك ولا عونٌ ولا جارُ
تذوب شوقاً إلى «ليلي» ويقتلها ... شوق إليك ودمع ثم مدرارُ

(وتمسح دموعها ثم تلتفت إلى «هارون» قائلة):

أشاعوا عنك أنك مت حرقاً

(ويريد «هارون» أن يسري عنها فيجيب):

هارون: **براميل الشقا تبقى سليمة**
فأصحاب الفضيلة ذاهبونا ... وأصحاب الرذيلة خالدونا

(تبتسم «ضحى»):

(المشهد التاسع والعشرون)

(نرى خطّاراً في مضرب الشيخ «عامر» جالساً بجانبه والسيجارة في يده يدخنها ويتأمل دخانها الصاعد، ثم يلتفت إلى «عامر» الذي كان مشغولاً بقراءة رسالته التي جاءته من «خالد» فيسأله «خطّار»):

خطّار: **خير أتى من «خالد» الماجد ابن الماجد**
المجد فيه كله من طارف أو تالد
عن «عامر» شيخ الحمى أعظم به من والد

(ويتنحنح «عامر» ويسرع في قراءة رسالة ابنه على الجميع):

عامر: **من «خالد» إليكم السلام**

(ويجيب الجميع بصوت واحد):

الجميع: **منّا له السلام والإكرام**
عامر: **يقول «خالد» إن الفحص قد بدأت ساعاته وهو يرجونا الدعاء له**

(ويرفع بصره عن الرسالة ويقول للجميع):

ادعوا له يا قوم بالنجاح والفوز والتوفيق والفلاح

(وينبري عالم العشيرة فيبسط كفيه ويقول والجميع يرددون):

العالم: **يا ربنا حقق له النجاحا والفوز والتوفيق والفلاحا**
وفقه يا رحمن يا رحيم واسعده يا حنّان يا كريم

(ويستمر «عامر» في قراءته):

عامر: **ويطلبن حضوري في تخرجه محاميا**

أحد الحاضرين: **يخلب الألباب منطقه**
ثان من الحاضرين: **أتذهبن؟**
عامر: **نعم، إني لمرتقب بشارة منه إن الفوز حالفه**

(ويستمر في قراءته مخاطباً «خطّاراً»):

عامر: **بوليس مصر مجدٌّ في تعقبه أخبار «ليلي» ويرجو أن نزوده**
برسم «ليلي»...
خطّار: **وأنى لي بصورتها يا ليت للقلب منها ما يسليهِ**
عامر: **ستذهبن معي «خطّار»...**

خطّار: **يا فرحي برؤية الشبل عين الله تحميهِ**

(المشهد الثلاثون)

(نرى «ضحى» وهارون يتمشيان في بهو الصالون وهي تريه الصور المعلقة على الجدران تسترعي إحداها نظر «هارون» فيسألها مشيراً إلى الصورة):

هـــــارون: **مــن ذا الــذي صــافــحــتــه بــالــقــرب مــن ســيــارتــك**

ضــحــى: **ألــم يــرقــك شــكــلــه**

هـــــارون: **كــأنــه فــي صــورتــك**

(وتريد «ضحى» أن تضع حداً لسؤاله خشية نبشه الماضي فتقول):

ضــحــى: **خــطــيــبــي...**

(ويصعق «هارون» ولكنه يتجلد ويظهر الفرح قائلاً):

هـــــارون: **ألــف مــبــروك عــلــيــك لقد جليت في حسن اختيارك**

(ويروع «ضحى» جوابه فتسأله):

ضــحــى: **أتــعــنــي مــا تــقــول؟**

هـــــارون: **أجــل وربــي لك السعد العظيم على قرارك**

ضــحــى: **بــودي لــو تــراه**

(ويظهر «هارون» فرحه قائلاً):

هارون: **متى؟ وأين؟**

ضحى: **مساء غد كلانا في انتظارك**

هنا....

هارون: **ليلاً...**

ضحى: **أجل...**

هارون: **شكراً سآتي**

(ثم تسرّ إليه وهي تضحك فيقهقه قائلاً):

عظيماً دائماً وحي ابتكارك

(تنظر «ضحى» إلى ملابسه الرثة فتأخذها الشفقة فتسرع إلى مخدعها وتأخذ صرة نقود منها وتعود إليه وتعطيه إياها قائلة والخجل يكاد يعقد لسانها):

ضحى: **هذه مني إليكا　　فاقض حاجاتٍ لديكا**

كلما عانيت سلني　　يابن عمي لا عليكا

هارون: **ألف شكر...**

ضحى: **لا تقلها　　إن ما عندي إليكا**

(المشهد الواحد والثلاثون)

(وينطلق «هارون» إلى أقرب مكان لبيع الملابس فيشتري بدلة فخمة وحذاء وما يتبع ذلك، ثم يستأجر تاكسياً يوصله إلى مركز رفاقه الذين حينما يرونه تأخذهم الدهشة فتنعقد ألسنتهم، ثم لا يلبث كبيرهم أن ينطلق لسانه قائلاً):

الأول : **ما هذا؟ قل لي ما هذا؟ بالعز تمنطق عطفاكا**

(ويمسكه ثانيهم من البدلة قائلاً بتهكم):

الثاني: **والخلعة هذي أنعمها خاقانُ العصر وولاكا**

الثالث: **تختال وجيبك منتفخ والتيه يواكب ممشاكا**

الرابع: **أعثرت بكنز أم فتحت أبوابُ الرزق بمرآكا؟**

الأول : **أم أن الدهر صفا ووفا والحظ تبسم بلقاك؟**

(يخرج «هارون» رزمة من الجنيهات فيصرخ الجميع):

الجميع: **يا ليل أبيك..**

هارون: **ولِمَ هذا؟**

الجميع: **أسرقت البنك؟**

(ويتصنع الجد ليزيد في استغرابهم فيقول):

هـــارون: **أجـــــل ذاكــــــا**

(ثم يضحك ملء شدقيه فيغضبون ويقول أحدهم):

الأول : «**هـارون**»: **نـسـيـت سـرى عـهـد** **بـالـفـقـر يـصـفـق جـيـبـاكـا**
الـثـانـي: **تـطـوى أحـشـاؤك مـن سـغـب**
الـثـالـث: **والـلـيـل يـضـج بـشـكـواكـا**

(ويرى «هارون» أن صبرهم بلغ حده فيقول):

هـارون: **هـلـمـوا يـا رفـاق إلـى الـطـعـام** **هـلـمـوا يا صحاب إلى المدام**
فـقـد بـسـم الـزمـان لـنـا فـهـيـا **نـودع هـهـنـا دنـيـا الـظـلام**

(المشهد الثاني والثلاثون)

(ويبتاعون ملابس جديدة ويصلحون من هندامهم، ويذهبون إلى أحد الملاهي ويجلسون إلى مائدة في ركن قصي منه وأمامهم ما لذ وطاب من أكل وشراب. ويقول الأول ويتبعه الجميع):

الأول : **لننشد لحن «هارون»...**

(يفرغون أقداحهم ويملأونها ثانية فيقول «هارون»):

هارون: **لننشد على ذكر الهوى...**

(يرفعون عقيرتهم ويصرخ ثانيهم وقد رأى سرباً من الحسان):

الثاني: **الله أكبر**
جمال ما رأيت له مثيلا...

(ويشير إلى إحداهن، ويشير ثالثهم إلى ثانية قائلاً):

الثالث: **وقدٌّ**

(يشير رابعهم إلى أخرى قائلاً):

الرابع: **إن تثنَّتْ كاد يُكسر**

(ويتلمظ شفتيه بشكل يجلب أنظار الفتيات فيتضاحكن ويتغامزن وقد وجدن صيداً سميناً، يدعوهن «هارون» فيقبلن، ويأخذ كلٌّ فتاته، ثم يستدعي «هارون» الجرسون ويسرّ إليه فيذهب ويعود بصحاف جديدة مليئة بأشهى الطعام والشراب، ثم يلتفت إلى رفاقه وقد رنحته النشوة فيقول):

ضلَّ في مهمهِ الحياة مسيري — منعماً ممعناً عظيماً مرامي

متلفاً في مراتع اللهو عمري — لذةُ العيش مطلبي واهتمامي

(ثم يخاطب فتاته وقد أحاطها بذراعه):

ظلِّليني بوارفٍ من غرامي — أسعديني بلمسة من هيامي

ألصقي صدرك الحنون بصدري — تطفىء لوعة به من ضرامى

زمّليني بشعرك الأشقر النامي — وبالعطف هدهدي لي منامي

في ظلالٍ من الرؤى مرحاتٍ — في نعيم من الهوى والغرامِ

إنّما العمر غفوة يا حياتي — بين ورد اللمى ونيل المرامِ

(ينظر إليها طويلاً ويقبل كل من رفاقه على من بجواره ويقول أولهم مفاخراً):

الأول: **ضل في حمأة الحياة شبابي — واستطابت سرى الضلال ركابي**

ولبستُ المجون برداً قشيباً — وركبت الصعاب فوق الصعابِ

من خدود الملاح كانت ورودي — من رضاب الشفاه كان شرابي

(ويتبجّح ثانيهم فيقول):

الثاني: **والليالي وما أحيلاك فيها — إذ تميسين في الحلى والثيابِ**

وعلينا من السرور طيوفٌ لعبت فيه بالنهي واللبابِ

(أمّا ثالثهم ـ وكان أكبرهم سناً ـ فيقول متحسراً):

الثالث: مر في خاطر الزمان وأمسى حلماً في دوائر الأحقابِ
ومضت نزوة الشباب سراعاً وانطوت صفحة الهوى من كتابي
فإذا العمر حلم ليلة أنسٍ في فراشٍ من الأماني العذابِ

(ويفرط «هارون» في خياله فيتذكر ابنة عمه فتهتاجه الذكرى ويلتفت إلى فتاته قائلاً):

هارون: غَنِّ، ما شئت فقد جن الدجى والغنا يحلو إذا الليل سجى

(وتغني الفتاة المقطوعة الآتية والموسيقى مصاحبة):

الغناء: رق ليلي وراق ليل غرامي "ودعاني إلى الهوى ما دعاني"
فاستجابت إليه نفسي وروحي وانتشت منه صادياتُ الأماني
قهقه الدهر من ضلال مسيري وانطلاقي وراء سرب الغواني
حائرَ الطرف أستعير دليلي من غرامي ومن سناء جناني
يا سهارى النجوم أين حبيبي؟ أين عودي وأين دف قياني؟
ربَّ ليلٍ وصلته بصباح ونهارٍ قطعته أضناني
أنا يا ليل ناي حزن عميق رنَّ إيقاعه بكل مكانِ
أيها اللابس السوادَ دواماً أنا و«ياك» يا أخي صنوانِ
قد وأدنا غرامنا وهو طفلٌ يا لَعظمِ المصاب والخسرانِ

(المشهد الثالث والثلاثون)

(نرى «ضحى» في فراشها تتأمل صورة «خالد» وتقبلها وتغفو على القبل):

(المشهد الرابع والثلاثون)

(نرى «هارون» ورفقاءه مجتمعين في بيت أحدهم يتحدثون):

الأول : **كل شيء مضى: قل لنا سر هذا الغنى؟**

هارون: **إنه سر عميق جذره لست مفشيه**

الثاني: **أَسِرٌّ بيننا؟**

هارون: **لا: ولكن...**

الثالث: **دعك من (لكن ولا)**

الرابع: **هات ما عندك فصّله لنا**

هارون: **بنت عمي وجدتها..**

(ويتلهفون لمعرفتها فيقول أولهم):

الأول : **أين يا هارون؟**

هارون: **في «مصر»**

الثاني: **هنا....**

الثالث: **ما اسمها؟ كيف أتت؟**

الرابع: **ما شغلها؟**

(ويبتسم «هارون» قائلاً):

هارون: **ليلة القدر اسمُها**

الأول: **يا بختها**

هارون: **لست أدري كيف جاءت ههنا**

الثاني: **ليس هذا شأننا بل شأنُها**

هارون: **اسمها يشدو به كلَّ فمِ** **ذكرُها فاتحةُ المستلهمِ**

هتفت مصر وأهلوها به **وجرى النيل بعذب النغمِ**

وحدت صحراؤه ألحانها **فانتشت منها سفوحُ الهرمِ**

(وتستولي الدهشة على المجتمعين ثم يقول أولهم معاتباً):

الأول: «**هارون**»....

(ويقاطعه ثانيهم متهكماً):

الثاني: «**مجنون ليلى**»

(ويسبح «هارون» في ذكرياته):

هارون: **يا له شرفاً** **أن أنتمي في هواها للمجانينِ**

الثالث: **أأنت تهزل؟**

هارون: **بل جاد وربَّ «ضحى»**

الرابع: **ومن «ضحى»؟**

هارون: **ملء سمع الدهر والعينِ**

الأول: «**ضحى**»؟

هـارون: **أجـل بـلـبـل لـبـنـان أرسـلـه بـشرى تـردد في أرض الـفـراعـينِ**

(ويغضب ثانيهم وقد ظن أنه يسخر منهم فيقول متهكماً):

الـثـانـي: **«ضـحـى» مـغـنـيـة الـوادي وبـلـبـلُـهُ قـريبُها أنت؟**

هـارون: **إي والله....**

(وينتصب ثانيهم غاضباً يريد أن يضرب هارون فيقول):

الـثـانـي: **«سـيـبـونـي»**

«أدشـدش» الـعـظـم مـنـه

(ويمسك به أولهم مهوّناً الأمر قائلاً):

الأول: **مـن يـصـدقـه أين الثريا سنى من شكله الطينِ**

(ويقابل «هارون» الموقف بتؤدة وصبر فيقول لثانيهم):

هارون: **هوَّن عليك أخي وانظر معي لترى**

(ويريهم صورة له مع «ضحى» وهما في لبنان ويقول):

آيات صدق على قولي وتبييني

(ويقتنعون ويصدق قوله فيقول أولهم):

الأول: **صـدقـت عـفـوك**

الـثـانـي: **سـامـحـني عـلـى حـمـق فـالـعـفـو....**

(ويقاطعه «هارون» قائلاً):

هارون: **ذلك من طبعي ومن ديني**

الثالث: **حيوا «ضحى»**

الجميع: **فلتعش وليحيَ موطنُها**

هارون: **لبنان يا وطن الغرَّ الميامينِ**

الرابع: **إذاً فسعدك قد وافت بشائره**

الأول: **ومن عديلك في دنيا الموازينِ**

الثاني: **عزٌّ...**

الثالث: **وجاهٌ...**

الرابع: **ومال لا نفادَ له**

الأول: **فانعم بحبك واسعد بالملايينِ**

(تمر بوجه «هارون» سحابة حزن لا تلبث أن تنهمر في قوله والألم يعتصره):

هارون: **«ضحى»... لغيري**

(وينقلب مديحهم إياه إلى سخرية فيقول ثانيهم):

الثاني: **إذاً ما قلته حلمٌ**

الثالث: **غداً ستلبس ثوب الفقر والهونِ**

الرابع: **غداً سترجع «ربما»**

الأول: **يا له مثلاً** **ما قيل إلا على أمثال «هارونِ»**

(ويبدأون سيلاً من الأمثلة يفتتحه الثاني بقوله متهكماً):

الثانـــي: **ومن حبيبُ «ضحى» المحظوظ؟**

هــارون: **ذاك فــتــى مـا زال طـالـبَ تـعـلـيـمٍ وتـمـريـنِ**

(وتتحكم النكتة في ثالثهم فيقول):

الــثــالــث: **وأنــت طــولاً وعــرضــاً . . .**

الــرابــع: **مــنــطــقــاً وحــجــى ما زلت تجهل طبع الحور والعِينِ**

(ويحرج «هارون» تهكمهم اللاذع، فيريد أن يداري الموقف، وإذا به يتعثر فيقول):

هــارون: **كيف التخلص من هذا الدخيل؟**

(ينتحي الأربعة وحدهم في ركن من الغرفة يتشاورون، وعندما يستقرون على رأي يقول أولهم لهارون):

الأول : **نـــــــــــرى**

(ثم يسرّ في أذن «هارون» شيئاً نرى أهميته على وجهه، وعندما ينتهي المسرّ يقول «هارون»):

هــارون: **رأي خـطـيـر ونـصـحٌ غـيـرُ مـأمـونِ**

أخــشــى الــمــبــاحــث . . .

الــثــالــث: **لا تــخــشَ فــلــيــس لــدى قوم المباحث علمٌ باسم «هارونِ»**

(يفكر «هارون» في هذا الأمر ملياً، ثم يستقر رأيه على أن يزج بهم فيه ولاسيما وهو غريب وهم أعرف بمداخل بلدهم ومخارجها فيقول):

هارون: **تعالوا . . . . نشترك قولاً وفعلاً فأنتم عارفون بكل حتّه**
وأنتم بالبيوت أشدُّ علماً وبالحارات أجمع والأزقّه

(يتشاور الرفقاء فيما بينهم سراً، وعندما ينتهون ينتحي أولهم بهارون يسرّ إليه بما اتفقوا عليه فيجيب هارون):

هارون: **أؤيد ما ارتأته الأغلبيه**

الجميع: **ونحن بدورنا جند القضيّه**

(المشهد الخامس والثلاثون)

(نرى خالداً يصلح هندامه، وبعدما ينتهي ينزل مسرعاً في طريقه إلى بيت «ضحى» وعندما يصل إلى «نقطة الصفر» ينقض عليه «هارون» بخنجره يريد قتله فيتلقى «خالد» الضربة بيد ويلكمه باليد الأخرى فيقع أرضاً؛ ينفلت الخنجر من يده فيسرع «خالد» لالتقاطه فيعاجله أحد أفراد العصابة بعصا في رأسه فيسقط في مكانه، ويستل آخر منهم خنجره ليجهز عليه، وإذا بصفارة البوليس تدوي، وإذا الناس في ركابه يحاولون القبض على الجناة الذين يتوارون في سرعة لا يستطيع رجل البوليس ومن معه اللحاق بهم والعثور عليهم فينقلون الجريح المغمى عليه إلى أقرب مستشفى لإسعافه).

(المشهد السادس والثلاثون)

(نرى أفراد العصابة مجتمعين في أحد أوكارهم، وقد خيمت عليهم كآبة الخيبة. على أنهم لا يلبثون أن يستردوا رباطة جأشهم فيقول أولهم مخاطباً «هارون»):

الأول : **خسرنا الجولة الأولى   وحالف سعينا الفشل الذريع**

(ويتكلم «هارون» خجلاً وهو يمسح الدم المنبثق من وجهه):

هارون: **فماذا ترتأون؟**

الثاني: **نرى لزاماً   علينا فعل إجراء سريع**

فللبوليس يا صحبي عيونٌ   علينا أن نضللهم جميع

الثالث: **وكيف...**

«ضحى» سترشدهم إلينا   علينا خطفها قبل الجميع

(وتروق الفكرة لـ «هارون» وقد انغمس في الجريمة فيقول):

هارون: **لئن لم تفعلوا هذا فإنا   سنكشَفُ «للمباحث» لا محاله**

«ضحى» لا شك تخبرهم بأمري   وكيف هربتُ من وجه العداله

وكيف دخلت سراً أرض مصر

(ويصفعه أولهم على قفاه مغتاظاً من عمله ويقول):

الأول: **عظيم في الغباوة والجهاله**

(ويستمر ثانيهم في شرح خطته قائلاً):

الثاني: **أجل خطفٌ ولكن ليس خطفا** **كأن ضحى اختفت خوف العقاب**

أرادت قتل صاحبها فلما **نجا ولت على عجل الغياب**

(ويؤيد ثالثهم الفكرة قائلاً):

الثالث: **«ضحى» ستتهم هارونا به وضحى** **هي الدليل على تبيان «هارونِ»**

فإن خطفنا ضحى غاب الدليل على **قوم «المباحث»**

(ويقاطعه رابعهم قائلاً):

رأيٌ جِـــدُّ مـــأفـــون

الرابع: **«هارون» ليس لنا نفع به أبداً** **حراً غدا أم غدا بين المساجينِ**

(ويقاطعه أولهم وكبيرهم قائلاً):

الأول: **كلا سلامة «هارون» سلامتنا** **وحظنا حظه في العسر واللينِ**

(المشهد السابع والثلاثون)

(وتبدأ خطة العصابة بمهاتفة «ضحى» التي تجيب على التليفون، فيخبرها الهاتف بحادث «خالد» فترمي بالسماعة وتأخذ شنطتها وتركب سيارتها على عجل؛ وفي إحدى الطرق الخلفية تعترض طريقها سيارة جيب وينزل من فيها ويكمّون «ضحى» بكمامة فيها مخدر وينقلونها إلى المكان الذي أعدوه لها ويتخلف أحدهم ليسوق سيارة «ضحى» إلى محطة «بوابة الحديد»، وهنالك يتركها كما هي ويعود إلى صحبه).

(المشهد الثامن والثلاثون)

(ويصحو «خالد» من إغمائه، ومن حسن حظه أن الضربة كانت غير خطيرة، ويعود وكيل النيابة ويأخذ أقواله، وبعد الانتهاء نراه يودعه قائلاً):

وكيل النيابة: **نتمنى لك الشفاء قريبا**

خالد: **يسّر الله بحثكم والدوريا**

(المشهد التاسع والثلاثون)

ويخرج وكيل النيابة من عند «خالد» ويقصد دار «ضحى» لأخذ إفادتها ويدخل الدار فيسأل الخادم):

وكيل النيابة: **أين مولاتك قل لي، يا رجل أهنا أم ليس في الدار أحد؟**

الخادم: **هاتَفها شخص فلما انتهيا خرجت كالبرق عجلى وأشد**

وكيل النيابة: **أين صارت؟**

الخادم: **لست أدري . . .**

وكيل النيابة: **أترى وحدها سارت (وإلا كان حد)**

الخادم: **وحدها كانت تقود العربه**

(ويغيّر وكيل النيابة مجرى السؤال فيقول):

وكيل النيابة: **«خالد» تعرفه؟**

الخادم: **نعَم الولد**

وكيل النيابة: **"خالد" منذ متى زاركم؟**

الخادم: **قبل يومين . . .**

وكيل النيابة: **متى؟**

الخادم: **يوم الأحد**

(المشهد الأربعون)

(نرى «ضحى» غائبة عن صوابها على سرير في غرفة محكمة الأبواب والشبابيك خالية من الأثاث إلا من منضدة عليها إناء ماء وجوارها كرسي):

(المشهد الواحد والأربعون)

(ويجتمع أربعة من ضباط المباحث للتشاور في هذه الجريمة واختفاء «ضحى» وعلاقتها بهذه الجريمة):

أحد الضباط: **«ضحى» غادرت إثر الجريمة دارها** **إلى حيث لا ندري لَعمري مصيرها**

الثاني: **و«سي» فؤاد ابن عمها**

الثالث: **شخصيةٌ غريبةٌ أطوارها**

الرابع: **من أين جاء يا ترى** **وهل له علاقة فيما جرى**

الأول: **أسئلة نحار في جوابها**

الثاني: **جريمة مغلقةٌ أبوابُها**

الثالث: **«فؤاد» في رأيي أنا مفتاحها** **وعنده، من غير شك، سرُّها**

(المشهد الثاني والأربعون)

(وتصحو «ضحى» من إغمائها فترى أنها في غير دارها، فتعتريها رهبة ثم لا تلبث أن تتشجع فتقوم من مكانها إلى الباب تسترق السمع، وعندما تتأكد أن الصمت سائد، تحاول فتح الباب فتجده موصداً فتلتفت لعلها تجد منفذاً آخر فلا تجد إلا مناور في أعلى الحيطان لا يمكن أن تصل إليها إلا بسلم. تقف تفكر، وبحركة لا شعورية تسرع إلى الباب فتدقه بشدة وتصرخ ولا من مجيب. ولما تكلّ يداها تجلس على الكرسي تفكر في هذا المصير الجديد).

(المشهد الثالث والأربعون)

(نرى وكيل النيابة وضابط البوليس وعمدة الحي يختمون دار «ضحى» بالشمع الأحمر بعد أن جردوا محتوياته):

(المشهد الرابع والأربعون)

(ويشفى «خالد» من جراحه، ويخرج من المستشفى ويقصد تواً إلى دار «ضحى» فيجدها مشموعة، فيذهب إلى قسم البوليس فيسمع ما لا يشفي غليله فيعود أخيراً إلى سكنه والحزن يحز نفسه).

(المشهد الخامس والأربعون)

(وتنتهز «ضحى» دخول الخادمة بالطعام، فتنقض عليها وتطرحها أرضاً وتضربها حتى يغمى عليها، ثم تسرع إلى الباب وتخرج، ولكن الحظ يخونها فيمسكها الحراس ويعيدونها إلى غرفتها، ويرجعون حاملين الخادمة المغمى عليها).

(المشهد السادس والأربعون)

(ويتلقى رئيس قلم المباحث أخباراً من لبنان ـ بعد سؤاله ـ فيدعو زملاءه لإطلاعهم، وعندما يجتمعون يقول لهم):

رئيس المباحث: **سألنا عنه من لبنان قالوا: فـؤاد قـاتـل الأرتـيـسـت «سـونـيـا»**

عريق في الجريـمة والتخفيِّ وتـوريـد الـمـخـدَّرِ والـبـغـايـا

(المشهد السابع والأربعون)

(ويؤدي «خالد» الامتحان السنوي النهائي وينجح بتفوق. نرى أحد أساتذته يهنئه):

الأستاذ: **هنيئاً لاجتيازك...**

خالد: **ألف شكر لقد علمتنا الشيء الكثيرا**

فوردك كان للرواد عذباً ونبعك كان ينبوعاً غزيرا

الأستاذ: **فكن عون الضعيف على قويٍّ وكن للحق يا ولدي نصيرا**

(ويذهب «خالد» عقب انصراف أستاذه إلى دائرة البرق، فيبرق لأبيه بنجاحه وبموعد حفلة الشهادة ويعود إلى مسكنه فيعاوده حزنه وألمه. يدخل عليه صديق له فيجده على هذه الحال فيقول):

الصديق: **تبكي لبعد «ضحى» هل هذه مثل من الرجولة أين الصبر والجلَدُ؟**

خالد: **أبكي لأن طريق البحث متجه إلى اتهام «ضحى»**

الصديق: **هل أنت تعتقدُ؟**

خالد: **كلا «ضحى» خُطفت قسراً بفعل يدٍ أثيمة**

الصديق: **هل لمن يدعى «فؤاد» يدُ؟**

خالد: **أخال أن يديه جد ضالعة في الأمر وهو لعمري الرأس والجسدُ**

لكن «ضحى» لم تقل لي قط إن لها   **أبـا أو لـهـا عـمّـاً لـه ولـد**

الصديق : **ليس البكاء براد من تحب. . .**

خـالـد : **إذاً**

الصديق :   **فلنبحثن ولا يدري بنا أحدُ**

(المشهد الثامن والأربعون)

(نرى فؤاداً في مكان ما من الصحاري المحيطة بالقاهرة وهو يتسلم طرب الحشيش من مهربيها البدو فيضعها في سيارته، ويعود إلى القاهرة لتوزيعها).

(المشهد التاسع والأربعون)

(ويتنكر «خالد» وصديقه بعد أن حصلا على صورة «فؤاد» بطريقة ما ويشرعان يجوبان أزقة القاهرة ومقاهيها الرخيصة أياماً وليالي. وفي منتصف إحدى الليالي يشعران بالتعب فيجلسان في أحد المقاهي «البلدي»، وبعد أن يستريحا يستأنفان جولتهما، وفي الطريق يلحق بهما أحد السماسرة، وقد حسبهما صيداً دسماً فيدعوهما إلى السهر معه، فيقبلان الدعوة لعلهما يجدان ضالتهما فيها).

(المشهد الخمسون)

(ويتبعان السمسار. وبينما هما يمشيان يستعرضان من في المكان استعراضاً خاطفاً، وأخيراً يجلسهما السمسار إلى منضدة ويجلس هو معهما ويتطلع هنا وهناك ثم يشير إلى واحدة كانت تجلس إلى خوان قريب منهما والسيجارة في يدها وزفراتها تتصاعد من صدرها، ويقول):

السمسار: **هذه «ولعه»**

(يتطلعان إليها ويقول الصديق):

الصديق: **باين عليها**

السمسار: **إنها شمعه**

خالد: **"نورها" فيها**

الصديق: **إنها تبدو حزينه. . .**

السمسار: **يا خساره تحرق الهم دمعة وسيجاره**

خالد: **إنها قصه؟**

الصديق: **ألها وقعه؟**

السمسار: **«وقعة سوده»**

(يأتي الجرسون فيسرّ إليه الصديق فيذهب ويحضر شراباً للجميع. يستدرجه «خالد» ليكمل القصة قائلاً):

خـــالـــد: **مـــن يـــا تـــرى؟**

الـصـديـق: **صـف مـا جـرى؟**

(ويخرج السمسار «قدحه» فيصفق «خالد» فيأتي الجرسون فيشير إليه أن يأتيه بغيره فيفعل ويسرّ السمسار فيقول):

الـسـمـسـار: **أحبّـهـا فـتـى لـبـنـانـي**

(وتستولي عليهما الدهشة حتى لتكاد تفضح شخصيتهما. على أنهما يتمالكان ويستر «خالد» الموقف بقوله):

خـــالـــد: **وبـــادلـــتـــه الـــحـــب والأمـــانـــي**

الـسـمـسـار: **وسـلـمـتـه نـفـسـهـا**

الـصـديـق: **وبـعـد مـا افـتـرسـهـا**

وأشـبـعـتـه. . . .

الـسـمـسـار: **«سـابـهـا»**

خـــالـــد: **«كـأي مـوضـه»**

(وينقد «خالد» السمسار قائلاً):

خـالـد: **ادعـهـا تـجـلـس «مـعـانـا»**

(يذهب السمسار في سرعة فيلتفت الصديق إلى «خالد» والفرحة تشيع في وجهه):

الصديق: **إنه الحظ «أتانا»**

خالد: **بان خيط القضيّه**

(المشهد الواحد والخمسون)

(نرى فؤاداً وهو يوزع طرب الحشيش على الزبائن ويقبض الثمن وصحبه من حوله).

(المشهد الثاني والخمسون)

(نرى «ولعة»، وخالداً وزميله يتحادثون، وولعة تتكلم والعبرات تنهمر من عينيها):

ولعه: **بكيت فلم يلن دمعي ونوحي   له قلباً وما نفع البكاءُ**

(ويربت "خالد" على كتفها مهوناً للأمر عليها ويقول):

خالد: **هي الدنيا تمر فربَّ يومٍ   نسر به وأيام نساءُ**

(وتتلفت «ولعة» يمنة ويسرة ثم تقول):

ولعه: **لأنتقمن منه.....**

(ويقول صديق «خالد» مشجعاً ومؤيداً):

الصديق: **ثقي، كلانا بأمرك....**

خالد: **بل ونحن لك الفداءُ**

(ويمسح الصديق دموعها، ويشعل «خالد» سيجارة لها، بعد أن حدثها فتبتسم بعد عبوس وتجلس قريرة مطمئنة).

(المشهد الثالث والخمسون)

(نرى فؤاداً وهارون وبطانته داخلين وكرهم الليلي السري. فيرحب بهم صاحب الوكر وخدمه ويحف بهم بعض الأتباع. وانتظم عقد الجميع حول مائدة حوت أشهى الطعام وطيب الشراب).

(المشهد الرابع والخمسون)

(نرى «ولعة» في زي بلدي تدخل في زقاق ضيق، ويتبعها عن بعد خالد وصديقه، حتى إذا ما وازت إحدى البوابات، انحنت كأنها تلتقط شيئاً ثم تسير في طريقها ويتوقف المتابعان ويغيران اتجاههما ثم يعودان من طريق آخر إلى المكان الذي انحنت فيه «ولعة» ويجلسان لدى بائع فول وطعمية ويطلبان أكلاً فيتلهيان به، وعيناهما تراقبان في حذر كل من يدخل تلك البوابة. وبينما كان صاحب الفول والطعمية على وشك التشطيب وإغلاق المحل، وخالد وصديقه في حيرة من أمرهما، إذا بهما يسمعان جلبة عند البوابة المذكورة، وإذا بها تفتح على مصراعيها، ويخرج «فؤاد» يحف به رفاقه فيتهيأ «خالد» وصديقه لتتبعهم، ويسير فؤاد في موكبه ويتابعانه عن بعد في حذر وخشية حتى إذا رأوهم يدخلون أحد الدور، عادا مسرعين ليخبرا البوليس):

(المشهد الخامس والثلاثون)

(ويدخل «فؤاد» غرفة «ضحى» فتهب مرعوبة وترتجف خوفاً حينما تراه ثملاً وعيناه تبرقان شبقاً، فتتحفز للدفاع عن نفسها عندما تشاهده يقترب منها وهو يقول):

فؤاد (هارون): **خالد مات يا ضحى وأبوك مات من قبل في دياجي المصيرِ**

(وتظهر «ضحى» التجلد إذ تقول):

ضحى: **خالد قد قتلته...**

(ثم لا تستطيع الوقوف فتجلس مكانها تبكي وتقول):

يا لَبؤسي ربَّ رحماك في المصاب الكبيرِ

(ويقترب منها «فؤاد» قائلاً):

فؤاد (هارون): **إن تزوجتني نجوت وإلا صرت حتماً إلى المصير المريرِ**

(يحاول ضمها فتدور معركة بينهما ويتمكن من تقبيلها قسراً، وتفلت منه وتضربه بقلة الماء فتشج رأسه ويسيل دمه فيدخل اثنان من رفاقه على الصوت فيخاطبهما قائلاً):

اربـطـوهـا واجـلـدوهـا ومـن الـزاد احـرمـوهـا

(يتعاونان على «ضحى» فيوثقانها ويجلدانها حتى يغمى عليها، وإذ يقفان عن الضرب يدخل أحد رفاقهم لاهثاً يصرخ):

أحد الرفاق: **داهمنا البوليس....**

(ويضطرب «فؤاد» ويقول):

فؤاد (هارون): **يا للهول هيا اسرعوا، ودافعوا..**

(ثم يقول لنفسه):

يا «دلي»[1]

(ويسحبون مسدساتهم وتدور بينهم وبين البوليس معركة حامية، وعندما يرى «فؤاد» أن اثنين من رفاقه قتلا وأن الباقين على وشك الاستسلام، يصمم على قتل «ضحى» فيذهب إلى مخدعها فيجد خالداً قد سبقه إليها وشرع في فك وثاقها. يهم «فؤاد» بضربه وإذا برصاصة من مسدس «خالد» أسرع فترديه قتيلاً. وبعد استسلام بقية أفراد العصابة، يهرع رجال البوليس

(١) كلمة عامية تستعمل في سوريا ولبنان للتعبير عن فداحة الأمر.

إلى غرفة «ضحى» فيرون خالداً بجوارها يحاول إسعافها فيحملونها إلى أقرب مستشفى. وعندما تصحو ترى خالداً وضابط البوليس ووكيل النيابة والطبيب المسعف وبعض الممرضات تقول):

ضحى: **الحمد لله نجاني وكنت على وشك الهلاك بأيدي المجرم العاتي**

(ثم تلتفت إلى الحاضرين وتقول):

شكراً لمن أنقذوني من مخالبهم وخلصوني من كرب وويلاتِ

(المشهد السادس والخمسون)

(نرى «ضحى» وخالداً في طريقهما إلى مطار القاهرة الدولي لاستقبال والد «خالد»، وفي المطار يقفان خلف الحاجز ينتظران وصول الطائرة المقلّة لوالده والتي نشاهدها وهي تهبط تدريجياً على أرض المطار. وعندما تستقر وبعد اتخاذ الاجراءات الرسمية، يبدأ ركابها في النزول. وينزل عامر ووراءه «خطار» وتبصر «ضحى» أباها فتصرخ بصوت عال):

ضحى: **بابا....**

ثم تقفز من فوق الحاجز بخفة عجيبة تذهل الواقفين بمن فيهم بوليس المطار، وتركض مسرعة نحو الطائرة وهي تكرر «بابا: بابا» ويضطر خالد ورجال البوليس إلى اللحاق بها. وهنالك يشاهد الجميع خطاراً وهو يحتضن ابنته وهي تمتار وجهه لثماً وتقبيلاً وهو يقول):

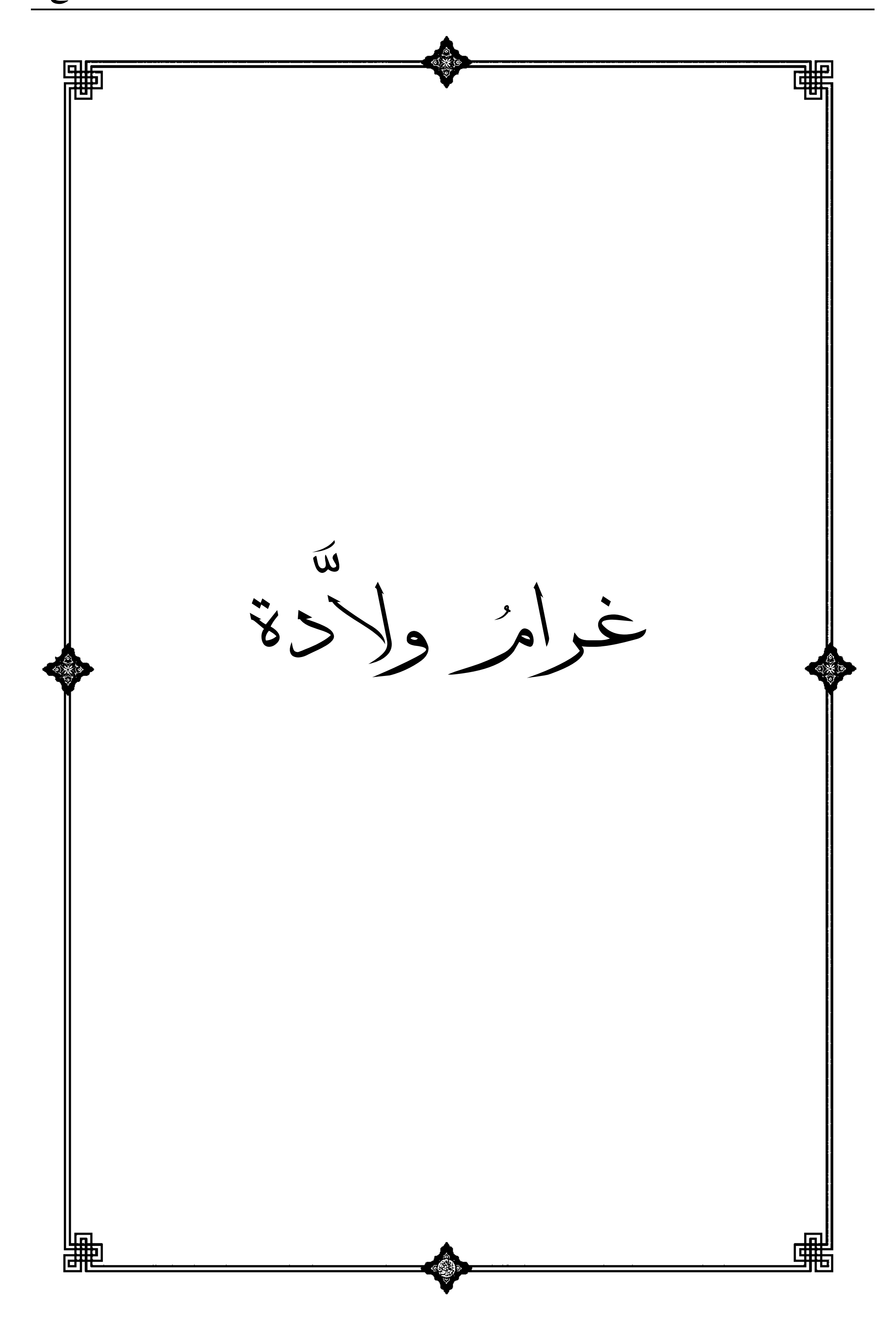
خطار: **إلهي لك الحمد الجزيل على شمل جمعت...**

(ويتطلع «خالد» إلى «ضحى» ويقول والسرور يرنح عطفيه):

خالد: **«ألِيلِي» أنت...**

(وتجيبه «لِيلِي» والفرحة تغمرها):

ليلي: **بالذات...**



غرامُ ولاّدة

الإهداء

إلى صَديقي الشيخ محمّد سُرُور الصّبّان

هذه صورة من الماضِي الأندلسيّ

تتقَدَّم إلى زعيم الأدب في الجزيرة العَربية

بَاقة متواضعة

آيَةً على الحُبّ وَالإكْبَار والوفاء

حُسَين سِرَاج

كلمة لا بد منها

وشاءت دار تهامة أن تضيف «مسرحية غرام ولادة» الشعرية إلى مآثرها العديدة المشكورة في سبيل إحياء الكتاب السعودي فأعادت طبعها لتزيل عنها غبار نسيان مؤتمر الأدباء لها، ذلك المؤتمر الذي عقدته جامعة الملك عبد العزيز بجدة عام ١٣٩٣هـ ـ ١٣٩٤هـ.

وأن ينبري أديب الجيل الصاعد الكاتب القاص السعودي الأستاذ عبد الله جفري إزاء مبادرة دار تهامة الطيبة فيؤرخ ما أهمله التاريخ عن «غرام ولادة» بيراعه البارع. وبيانه الساحر، ومعالجته العلمية، فيكلل بذلك هام «ولادة» بروائع من المديح والثناء بأسلوب وددت صادقاً لو أني أوتيت مثله.

أكرر شكري لدار تهامة وللأديب القاص الأستاذ عبد الله جفري، وأدعو الله أن يهدينا إلى سواء السبيل.

المؤلف

تقديم المْسرَحيّة

بقلم

الأستاذ محمود تيمور

عميد القصة في العالم العربي

أنت على موعد تستقبل فيه «حضرة صاحب السعادة حسين سراج باشا، أحد رجالات العرب الحجازيين، ووزيراً سابقاً من وزراء المملكة الأردنية الهاشمية»، ولم تكن قد لقيته بعد، ولا عرفت من شأنه إلا ذلك الجانب العام من شخصيته... فما ظنك بمن تستقبل؟ وما الصورة التي تتمثل في مخيلتك أول وهلة لصاحب هذا الاسم واللقب والمنصب؟ وماذا أنت صانع من الأهبة للقائه؟

لا شك في أنك تجمع ما انتشر من فضول ثيابك، وتُغِيض ما عسى أن يكون في وجهك من تطلق ومراح، لكي تصطنع من صبغة الوقار ما يليق باستقبال شيخ مَهِيب، له عينان سابحتان في ذكريات السنين، ولحية مسترسلة نَسَجَتْها التجارب والأحداث، وقد انحنت يده على عصاه يتوكأ عليها في خَطَوِه الوئيد.

كذلك تمثلت لي صورة السيد الحجازيّ الجليل، يوم تفضل عليَّ صديقي الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار، فأراد مشكوراً أن يكون وسيطاً بيني وبينه في التعارف؛ ولكن الصديق حين أفضى إليَّ بطرف من شأن الزائر الكريم، راعني أنه مشغوف بالتمثيل، وأنه يكتب المسرحيات، وأنه أديب شاعر فنان.

وقلت لنفسي: لا يُسْتغرب الأدب والشعر من الوزير العربي الأصيل، في ذلك البلد العربي العريق... بَيْدَ أن المسرح والتمثيل هو الغريب الطريف الذي يسترعي النظر. فهذا المسرح طارىء على الشرق الحديث، ولا سيما في تلك الأصقاع العربية التي تغلب عليها نزعة المحافظة، وتأبى إلا أناة في قبول العصريّ من ضروب الفنون وأوضاع الحضارة. فما لوزيرنا العربي والمسرح، يُشْغَف به، ويَكْتب له؟

وفي الموعد المضروب للقاء، سُعِدْتُ باستقبال شاب مكتمل الشباب، أنيس الجليس، تتوهج الألمعية في عينيه، ويسطَع الأمل في مُحَيَّاه، وتتجلى في حديثه رقة الشمائل، وفورة العاطفة، ودعة النفس، وسعة الأفق... وكدت أسأله حين صافحتُه بادىء بدء: «أين حضرة صاحب السعادة حسين سراج باشا، وزير المملكة الأردنية الهاشمية؟»، ولكن الله سلَّم، فقد علمت في سرعة، على يقين، أنه هو عينه، وأني كنت واهماً فيما تخيلت وتمثلت، حين قدَّرت أني مُلاَقٍ شيخاً من شيوخ العهد الماضي والأمس البعيد.

أمَّا جليسي هذا فإن له شخصية فنان، ما في ذلك ريب. وإن جذوة الفن لتعتمل بين جوانجه، فيبدو وهجها على سيمائه، ويظهر أثرها في شأنه أجمع... ولا عجب إذن فيما انتهى إليّ من أن «حسين سراج باشا» أُغرم بالمسرح في رَيِّق شبابه، وأنه مَثَّل يوماً شخصية «قيس بن الملوّح» ـ مجنون «ليلى» ـ ومَن أولى بتمثيل هذه الشخصية مِنْ صاحب ذلك القَوام المَشيقِ، والطلعة العربية الرائقة السُّمرة، والنزعة العاطفية الشفافة، والروح الشاعريّ الرفَّاف.

وانفضَّ ـ على شوق ـ مجلسي مع الزائر المتفضِّل، ولكن كرمه العربيّ شاء أن يترك لي نفحة من نفحات شخصيته، وقبسة من قبسات شاعريته. فاستأنفتُ جلوسي إليها، أُواصل معها تلك المتعة بلقائه، والأنس بحديثه.

وكانت القبسة «السِّراجيَّة» الوضَّاءة: مسرحية شعرية مستوحاة من التاريخ،

موضوعها: غرام «وَلاَّدة» تلك الأميرة التي تمثل لنا صورة من الحبّ شرقية الطابع عربية السِّمات.

وموضوع هذه المسرحية تطلعت إليه من قبل أقلام الأدباء من الناثرين والشعراء، فاستلهموه، واتخذوه مجالاً لانطلاق القرائح، وانفساح الأخيلة. ولكني أحسبه في المسرحية السراجية أحفل بالعاطفة، وأوفى حظًّا من رقة الترنيم. فالجو كله حب وهيام، والمناجَيَات تهز المشاعر، وتثير فيها تياراً من الشجو والحنين، والمسرحية بهذه المزايا ـ من عذوبة التعبير واستفاضة «الرومانسيَّة»، وحيوية الأسلوب الغنائي ـ صالحة لأن تتجلى على المسرح بين «المُلَحَّنّات» التي يعرفها فن التمثيل باسم «الأوبرات»، أو بين «الغِنَائيّات» المعروفة باسم «الأوبريتات»، فإن فيها ذلك العبق الذي يجب أن يفعم جو المسرح الغنائي، وإن الموسيقى لواجدة كل الطواعية في هذا الشعر الرقيق.

ومما يرفع من شأن تلك المسرحية أن العاطفة فيها ليست سطحية، ففيها استجابات عميقة للحياة، وفيها استِبْطان للنزعة الإنسانية في الحب، وهذه العاطفة تستمد قوتها من غرض رفيع وهدف بعيد، فإن الطموح إلى المجد، والمطالبة بالثأر، يعملان عملهما في توجيه تلك العاطفة، ويسيران بها إلى الغايات السامية. وذلك يذكرني بما عالجه «كورني» في مسرحية «السيد» حين جعل الحب يسطع سطوعه بسمو الأهداف التي انطوت عليها قلوب المحبين.

والمؤلف يصور لنا ـ في فطنة وبصارة ـ مِنْ خلجات النفس، ومن كوامن شعورها، ما يرفع النقاب عن الدوافع التي تستتر وراء الظواهر من عاطفة المرأة، فهو يظهرنا على «وَلاّدة» شاكية باكية، لا كما يبدو أنها تذوب ذوبان الشمعة الموقدة في محراب الحب والهيام، ولكنها تبكي نفسها، وتثور لكرامتها، فتقول:

ما ضَرّني حبّه أو بُغضه أبداً	بل ضَرَّني أن حبيّ باتَ يُشْقيني
لَئِن أَسِفتُ على شيء فليسَ على	حبّي ولكن على غشّ «ابن زيدونِ»

لـو كـانَ حـيًّـا أبـى مـا نـالَـنـي تـعـبٌ   ولا جَـفـانـي «ابـن زيـدونٍ» عـلـى هُـونِ

وهي تؤكد هذا المعنى، أو تكشف عن هذه السريرة، حين تقول:

نَـحـن الـنّـسـاءَ مـتـى ثُـرنـا لـعـزّتـنـا   نُـلـقِـي بِـمَـن يَـعـتـدى بَـطـنَ الأخـاديـدِ
فـإن أَردْنـا انـتـقـامـاً يـا لَـنِـقْـمَـتِـنـا   وإن وَعَـدنـا فـيـا حُـسْـنَ الـمـواعـيـدِ

وأخيراً يتضح الأمر، حين نرى «وَلاّدة» تعنى بتخليص حبيبها من السجن، لكي تستعينه في استعادة مجدها الغارب، حتى يزين جبينها التاج السليب.

والشاعر يبلغ ذروة الجودة في المواقف التي يقوم فيها «ابن زيدون» مقام الإنشاد، وكأنه يحضره شيطان شعره، فيبعث فيه روعة القصيد. وهذا فن من الاستجابة وصدق الاستيحاء جدير بأكرم التقدير. والحق أن القصيدة النونية التي مطلعها: «أمست ليالي الهنا حلماً تناجينا» ـ وهي التي يعارض بها المؤلف نونية «ابن زيدون» المشهورة ـ تكاد أبياتها توهم القارىء أنها تكملة للأصل كانت خافية على الناس. وكذلك القصيدة الهائية التي مطلعها: «يا نائحاً وسواد الليل يخفيه» تجري في سمو الشاعرية مجرى شاعر الأندلس الصَّداح.

ومما حَلِيَتْ به هذه المسرحية في نسقها الشعري أن الأوزان تتباين فيها تبايناً تقتضيه الملابسات التي تتألف منها المشاهد، ومن أمثلة ذلك نداء «ابن زيدون» لَلَّيل، وشَجْو «سليمى» الذي مطلعه: «لست أدري» وشَدْو الراقص الذي مطلعه: «في ضياء القمر»... ففي هذه الأوزان تفنن يزيدها قوة أداء، ورقّة عَرْض. وفي هذا التفنن ما يعين على التغنيّ بالمقاطع الشعرية في يسر... أضف إلى ذلك أن اختلاف الأوزان، وتنوّع المقاطع ـ في هذه المسرحية ـ يلائم بينها وبين عصرها الأندلسيّ، عصر «الموشَّحات» وما إليها من ألوان التجديد في أوزان الشعر وأوضاعه.

ولستُ بقاصد في هذه العجالة أن أقف من المسرحية السراجية موقف الناقد الفني من الوجهة التمثيلية، أو الناقد الأدبيّ من الوجهة اللغوية أو العروضية أو غيرها من الوجهات. فقد أمتعَتْني حقًّا هذه الصحائف بما فيها من وجدانية عذبة المشرب، ومن شاعرية حريرية النسج فكانت نظرتي إليها نظرة الرضا والإعجاب في صدق وإخلاص؟

محمود تيمور

٢٣ يونيه سنة ١٩٥٢

غرامُ وَلاّدة

مسرحية شعرية في فصول ثلاثة

عاش «ابن زيدون» يرتل آيات حبه على مسمع «وَلاَّدَة» فتتغنى الأندلس بغرامهما وتسكر الدنيا العربية بحديثهما، ولكنه يغوص في بحر من الدسائس والوشاية، فينتهي إلى السجن ويجرّ القيد.

وهو على ظلمة القبو وثقل الحديد ما يفتأ يردد على قيثارة شعره ابتهالات الحب حتى استجاب له القدر فجمع بين قلبين وخلد شاعرين، فأصبح غرام «وَلاَّدة» حديث الشعر والمسرح وكان منه هذه التمثيلية.

أشخاص المسرحية

ولاّدة: بنت الخليفة الأموي المستكفى بالله
سليمى: مغنية تنافس ولاّدة على حب ابن زيدون
ليلى: وصيفة ولاّدة
منى: شاعرة ومغنية أندلسية
ابن زيدون: ذو الوزارتين الشاعر المعروف
ابن عبدوس: منافس ابن زيدون على حبّ ولاّدة
أبو الحسين أحمد بن سراج: أديب وشاعر من أعيان قرطبة
مالك بن سليمان: قائد قرطبة
صبح: كاتب ولاّدة الخاص
مسك: ناظر أملاكها
الخطيب بن جهور: ابن قاضي الجماعة في قرطبة
رباح: حاجب ولاّدة
ورد:
سعد: } من روَّاد ولاّدة
بشر:

راقصون وراقصات من بلنسية، حرس ابن جهور

المشهد الأول

المكان :

بهو عظيم فخم، هو جانب من قصر الأميرة «وَلاَّدة». وفيه إلى اليسار وقف «صُبْحُ» كاتب الأميرة ومعه «مِسْكُ» ناظر أملاكها يستقبلان جمهرة من الزوار قصدوا القصر للسمر عند الأميرة.

الزمان :

بعد العِشاء، وقد أنيرت جوانب القصر بمصابيح أندلسية.

صـــبـــح : بَـــعـــثَـــتْ بـــالأمـــسِ

مـــســـك : مـــاذا فـــعـــلَـــتْ

صـــبـــح : أرسـلَـتْ تـدعـو «سُـلَـيـمـى» الـشـاعـره

إنَّ «وَلاَّدَةَ» يـــا «مِـــسْـــكُ» غَـــدَتْ

دمـــيـــةً فـــي كـــفّ تِـــلـــك الـــعـــاهـــره

تَـنْـضَـحُ الـشَّـهـوةُ مِـنْ أَعْـيُـنِـهـا

وفـــنـــون الـــفِـــسْـــقِ فـــيـــهـــا ســـافـــره

هـــي يـــا «مِـــسْـــكُ» مـــجـــونٌ وفُـــتـــون

هـــيَ «يـــا مِـــسْـــك» فـــتـــاة ســـادَره

مسك (محتجاً): والذي: «يا صُبْحُ» نَفْسي في يَدِيْه

ما «سُليمى» بالفتاة الفَاجِره

صبح: أنتَ لا تعرفُها

مسك: كيف لا أعرفها!!

إن أهلي أهلُها

إنَّ قومي قومُها

صبح: عجباً تذودُ وأنتَ تعلمُ أنَّها

كالحيّةِ الرّقطاءِ يُخشى بأسُها

الخبثُ ديدَنُها، وبئس بضاعةً

واللؤمُ يَنطق مُفْصِحاً في وجهها

مسك: ما بك الآن؟ ما دعاك لهذا؟

أيّ مَسٍّ أراك فِيهِ تَلَوّى

كِلتَ للكاعب السِّبَابَ جزافاً

وهي يا «صبحُ» أرفعُ الناس شأوا

(يعبر ورد وسعد وبشر أمام الحاضرين في طريقهم إلى ندوة الأميرة).

ورد : سلامٌ عليكم

صبح: جئتمُ؟ مرحباً بكم!

سعد: أسامرُنا حَفْلٌ؟

صبح: أجل! إِنَهُ حَشْدُ

بشر: أَبينَهُمُ رَبُّ القوافي وبَحْرُهَا؟

صبح: أتعنى «ابن زَيدونٍ»؟

بشر: أجل!

صبح : لم يجيء بعدُ

(يدخلون الندوة)

صبح : أتدري؟

مسك : وما أدري!

صبح : «سُليمى» وَلُوعَةٌ

مسك (بتهكم) : بِمنْ يا تُرى؟ قل لي! لعلك تَهْرِفُ!

صبح : أَقُولُ «سُليمى» بابن زيدونَ تُيِّمَتْ

بَرَاها الهوى، هل كنت يا «مِسْكُ» تَعرِفُ؟

وأَضْحَى حَدِيثاً في المجالس حُبُّها

فهذا يُحابيه وهذاك ينصفُ

وأعْجَبُ منْ ذا أن يكونَ حَبِيبُهَا

بَخِيلاً و «سَلْمَى» فِي التَّوِدُّدِ تُسْرِفُ

مسك (متأثراً) : أنا لا أصدِّقُ ما تقولُ؛ لأَنَّها

نَبتَتْ على كَرْمِ النِّجَارِ شَرِيفَهْ

هي لِلْفَضِيلَةِ وَالْكَرَامَةِ مَنْبَعٌ

هي سَمْحَةٌ هي حُرَّةٌ وعَفِيفَهْ

(يدخل أبو الحسين أحمد بن سراج في طريقه إلى الندوة)

أبو الحسين : أهنا السُّمَّارُ يا «صُبْحُ»؟

صبح : هُنَا

أبو الحسين : «أمُنى» مِنْهُمْ؟

صبح : أجلْ! مِنْهُم «مُنَى»

(يذهب)

صبح : هوَ يا «مسكُ» مُحِبٌّ مُذْنَف

مسك : هُوَ مِثْلي نِغْمَ ما يربِطُنَا

صبح : أراك في حبها يا «مسكُ» منغمساً
ومن تحبُّ أجِبْ تُحبِبْكَ أم كذبُ؟
أمِنْ دليلٍ يُزيل اللَّبْسَ عن حُجَجِي
أم أنت يا صاحِ للأوهامِ تَنْجذبُ
أأنت يا «مسكُ» نِدٌّ محتدِاً وحِجًى
كلاّ، فما بينكم قُرْبٌ ولا نسبُ!
هي الثريا ونحنُ الناسُ نعْشَقُها
وليس ما بَيْنَنَا وصلٌ ولا سَبَبُ

مسك (لنفسه غير مكترث بصبح):

قالوا براكَ الهوى من لوعةِ الهجر
وكَثْرةِ النّوحِ آنَ الليلِ والفَجْرِ
واهتاجَك الشوقُ لا دمع يكُفُّ ولا
وجْدٌ يَخِفُّ ولا عَوْنٌ من الصَّبْرِ
ونام غَيْرُكَ مرتاحاً ونِمْتَ على
نارٍ من السُّقم أذكى من لَظَى الجَمْرِ
ما بين آهٍ وأوَّاهٍ وليتَ وهل
«لا تَستقِر على حالٍ» من الفِكْر
فليتَ من تَبتَغي تَحْنُو عليكَ ولو
بنظرةٍ تبعثُ الآمالَ في الصَّدْرِ

صبح (مقاطعاً): لكنَّ «سلماك» لا تهواكَ فامضِ فما
يُجدى البكاءُ ولا يُغنى عن الهَجْرِ

مسك : يا «صبحُ» خلّ سبيلي لستُ مستمعاً
لـمـا تـقـولُ فـدعـنـي والـهـوى الـعُـذْرِي
أنـا الـمـحـبُّ الـمعنَّى في مَـحَـبتـهـم
أنــا الــمـتـيّــمُ مـا أنـفـكُّ مِـنْ أَسْـرِي
وأنـتَ يـا عـاذلـي هـوّن عـلـيـكَ فـلـو
عـرفـتَ حبّـي لـمَـا أَنـقـصـتَ مِـن عُـذري
الـحـبّ لـولا الـشَّـقـا مـا سـاغَ مَـشْـرَبُـه
ولا تــرنّــمَ قــيــسُ الــشِّــعــرِ بــالــشِّــعْــر
الـحـبُّ سـهـلُ الـتـردّي فـي مَـسـالـكـه
أمَّـا الـتَّـخَـلُّـصُ فَـهـو الـمـوتُ لـو تَـدْرِي

(يسمعان غناءً)

لـيـلـى (تـغـنـي): أقـبـلَ الـلّـيـلُ فـهـيَّـا
نُــشــبِــعِ الــلّــذةَ غــيّــا
ونُــغــنّــي والــهــوى يــحــ
ـلــو غــنــاءً وحُــمَــيَّــا
هــاتِ مــن ثــغــرك راحــاً
واســقــنــي الــكــأسَ الــهــنــيَّــهْ
إنّ فــيــهــا الــعُــمــر والــبــشــ
ـرَ وَأيّــامــي الــرَّضــيَّــهْ
إن فــيــهــا يــا حــبــيــبَ الــرو
حِ أنــفــاســاً ذَكــيَّــهْ
إنَّ فــيــهــا مِــن ذَمــا قــلــ
ـبــي ومــن أهــوى الــبــقــيَّــهْ

صبح (جذلاً): إنها «ليلى» تغنّي
نغمة الناي الأغنِّ
فإذا جوُّك صافٍ
نعمَ ساعات التغنِّي

(تدخل ليلى)

أهلاً بليلى

مسك: أَهلاً وسهلاً
صبح: صوتُكِ حلوٌ

مسك: رَجعه أَحلى

المشهد الثاني

ليلى: أعِندكما للسرِّ أَمنٌ وموضعُ؟
صبح ومسك: نعم! أَفصحي، إنّا لسرّكِ أَمنعُ
ليلى: رأيت «سُليمى» وابن «عَبْدُوسَ» خِلْسةً
وبينهما للكأسِ مغنًى ومرتعُ
ولما استطالَ الشربُ وانقشعَ الحيا
وأمستْ كؤُوس الراحِ بالخزيِ تُجْرَعُ
ودارتْ على ثوبِ العفافِ معاركٌ
فلم يبقَ فيه للفضيلةِ مَوْضِعُ
تجلّى كَنِين السرّ يا هَوْلَ سرّهم
بهِ الشرّ يَدوي والفجيعة تُقرعُ
صبح (متحمساً): وما هوَ؟ قولي، لا تَخَافِي ملامةً
يدانا وقلبانا سلاحٌ ومَفْزَعُ
ليلى: مؤامرة بين الخليعين دُبِّرَتْ
لسيدتي «وَلاَّدَةَ» الليلَ تشرعُ
تروم «سُليمى» أنْ تَنِمَّ بكِذبةٍ
لعلَّ بها قلبَ «ابن زيدون» يَقْنَعُ
تقول له إنَّ «ابن عبدوسَ» عاشِقٌ
وسيّدتي بالعاشقِ الفذِّ تَطْمَعُ

تُساقيه خمر الحُبّ من مَبِسمٍ المنى
وفي صدرها الوثّاب إنْ شاءَ مَضْجَعُ
وأما «ابن عبدوسٍ» فيذهبُ قائلاً
لسيدتي إنَّ «ابن زيدون» مُولَعُ
وإنّ هواه بنت ؟ذي النُّونِ»[1] ذائعُ
تَحدَّثُ عنه الناسُ طُرًّا وأَجْمَعُوا

مسك : سأقتلها إن صحَّ ما قلتِ حالُها
لعلَّ الدمَ المُهْرَاقَ يَغْسِلُ ذَنْبَها
وأَخْلُصُ مِمَّنْ خانتِ العهد يافعاً
وأبرىء قلباً يحمل اليوم حًبَّها

ليلى : أرى لِيَ رأياً غير رأيك فاستمع
دع الخزيَ والأَدرَانَ تأكلْ قلبها
وقُم نُبْلِغِ الأخبارَ يا «صُبح» قبلما
تُصَدِّقُ مَوْلاتي العَشِيَّةَ كِذبها

مسك : دَعُوني

صبح : دعي يا ليلُ مِسكاً وهمَّهُ
فإِنّ له فيه مشاغلَ لا تُحْصَى

(يذهبان ويبقى مسك وحده)

مسك : يقولُ الوشاةُ ويا وَيْحَهُمْ
«سُليمى» بغيري غَدَتْ مُولَعهْ
لئن صحَّ ما قيلَ عن غَدْرِهَا
فَحُبّي لعمري إذَنْ مَضْيَعَهْ

---

(١) أحد ملوك الطوائف في الأندلس وصاحب طليطلة.

ولـــكـــنْ أشُـــكُّ بـــأقـــوالـــهـــم
فـــكـــأسُ هـــوانـــا بِـــنـــا مُـــتْـــرَعَـــهْ
سـيَـبَـقـى فـؤادي عـلـى عَـهـدِهـا
وفـــيًّـــا لِـــحُـــبِّ رَأى مَـــصْـــرَعَـــهْ
(تدخل سليمى)

«سُلَيْمَى»!

سـلـيـمـى : أجـل يـا «مـسـكُ»!
مـــســك : ربَّـاهُ فُـرْصَـةً

تَـلُـوحُ وكـم قـلـبي إلـى مِـثْـلـهـا يَـصْـبُـو
إلـى أيـن يـا مـن يَـعْـشَـقُ الـكـونُ ظَـرْفَـهـا
إلـى أيـنَ يـا مَـنْ يـبـتـغـي وصـلَـهـا الـقَـلْـبُ؟
أَتَـنْـسَـيْـن إِذْ كُـنَّـا رفـيـقـيـن فـي الـصّـبـا
وَجَـارَيْـنِ فـي دارٍ يُـسَـرْبِـلُـهـا الـحـبُّ
أَراكِ نـسـيـتِ الـعَـهْـدَ،

سـلـيـمـى (مـنـدهـشـة) : مـا الـعـهـدُ؟ مَـا الـهـوى؟
وأيّ كـلامٍ رحـتَ يـا «مـسـكُ» تـهـرفُ؟
مسك (متأثراً) : لقد كنتِ قبل اليوم كعبةَ قِبْلَتِي
وكـنـتِ هـوايَ الـبِـكْـرَ والـعـيـشُ أَغْـيـفُ
سكرتُ بخمر الحبِّ في مَيْعَةِ الصِّبا
ورحـــتُ بـــه نـــشـــوانَ أَلـــهـــو وأَرشُـــفُ
أُرَدِّدُ فـي الآصـالِ نُـعـمـى وِصَـالِـهِ
وفـي هـدأَةِ الأسـحـار أَدعُـو وأَهْـتِـفُ

وكـنـتَ بـهـا يـا قـلـبُ جِـدَّ مُـتَـيَّـم
وكـنـتَ بـهـا حـتـى الـسَّـويـعـةَ تَـحْـلِـفُ
أجـلْ خـابَ ظَـنِّـي يـا رفـيـقـةَ صَـبْـوَتـي
فـيـا بـيـنُ رفـقـاً بـالـذي بِـتَّ تَـعْـصِـفُ

(يخرج وهو باك)

سليمى (شبه نادمة): وَيلاه ما أَقساني رُبَّـــاهُ مـــا أَنـــســـانـــي
يَـــا وَيْـــحَ مـــن أَغْـــرانـــي

(يدخل مالك بن سليمان قائد قرطبة في طريقه إلى الندوة)

مـالـك: أ «مـالـكُ» و «سُـلَـيْـمَـى»!!
سليمى (لنفسها): قَلَّما اجتَمعا!!
مـــالـــك: أَراكِ وَحْـدَكِ تَـخـتـالـيـنَ فـي مَـهَـلِ
أأنـتِ قـاصـدةٌ لـلـسَّـامـرِ الـفَـخِـم
أَمَّ أنـتِ فـي مـوعـدٍ مِـنْ نُـخْـبـةٍ مُـثُـلِ
سـلـيـمـى: نَـعَـمْ، صَـدقـتَ. فـإنّـي بـانـتـظـارِهُـمُ
مـــالـــك: يـا لـيـتَ أنّـيَ مـنـهُـمْ،
سليمى (بغضب): كُـفَّ عَـن غَـزَلِـي
مـالـك: أَلَـيْـسَ يُـرْضِـيـكِ عَـنـهـم فـارسٌ بـطـلٌ
أَلَـيْـسَ قَـلـبُـكِ مَـشْـغـولاً بـذا الـبَـطـلِ
كـلاَّ، فـمـثـلـيَ لا تُـرضـيـكِ صُـحْـبـتَـهُـمْ

سـلـيـمـى: أرجـوكَ يـا سـيّـدِي إنّـي عـلـى عَـجَـلِ

(تذهب من طريق وهو من طريق آخر ثم عندما يغيب ترجع إلى مكانها ساخرة عابثة)

سليمى: لَمْ يَبْقَ إلاّ هوى كهلٍ كمثل أَبي
يا بِئْسَ حَظّي أرى الأيام تَعْبَسُ لَيَ
أَأُنفِقُ العُمرَ في لهوٍ وفي نزقٍ
أَأُنفِقُ العُمْرَ في كيدٍ وفي خَطَلِ
أَلِلْبُكا جِئْتُ في هَذا الوُجُودِ تُرى!
أَلِلشَّقَا خُلِقَتْ نَفْسي! أللزَّلَلِ!
أم إنَّه ظِلٌّ أتْراحِ يَمُرُّ عَلَى
عُمري، وبَعْدئذٍ أغْفو على القُبَلِ!

(تتناسى كل شيء ولا تذكر إلا ابن زيدون فتقول):

حَمَلَ الشَّوقَ إليكَ القلمُ
فإذا الأَسْطُرُ دَمْعٌ ودَمُ
وإذا الذِّكْرى وَقَدْ هاجَتْ مُنًى
الهَنَا فيها وفِيهَا الأَلَمُ
والنَّدامى حُفَّلٌ حَوْلي وقد
دارتِ الكأسُ وجالَ النَّغَمُ
وأنا أنتَ ومالي أملٌ
أنتَ آمالي وأنت النَّعَمُ
أَلِوَصْلٍ عند «وادي النَّرْجِسِ»
ولَيالي الأُنسِ «بالمُقْتَبَس»
مِنْ شُعاعٍ يُرتَجى أو قَبسِ

«مـا لِـقَـلْـبـي كُـلَّـمـا هـبَّـتْ صَـبـا»
هـــزَّهُ الـــشَّـــوقُ لأَيَّـــامِ الـــصِّـــبـــا
وتَمنَّى العيشَ في تِلك الرُّبى
هَــكَــذا الــدُّنــيــا وِصــالٌ وجــفــاً
ونـــعـــيـــمٌ مُـــتْـــرَفٌ أو عَـــدَمُ

(تسمع صوتاً وحركة)

أســمـعُ صـوتـاً إِنَّـهُ صَـوْتُ حَـبِـيـبـي
ومُـنـى قـلـبـي ورُوحـي وطـبِـيـبـي

(تتغير ملامحها ويبدو عليها شبح الإجرام)

أجَـلْ حَـانَ تـنـفـيـذُ الـخَـدِيـعـةِ إِنّـهـا
سَـيَـسْـحَـقُ يـا «وَلاَّدَةَ» الـقـلـبَ وقـعُـهـا
وسَـوْفَ تَـريْـنـي و «ابـن زيـدونَ» غُـدْوَةً
حَـبـيـبـيـنِ فِـي حـالٍ تَـمـنَّـيْـنَ حـالَـهـا
وسـوف يـراكِ الـنـاسُ سـوداءَ حِـلْـيَـةً
مُـلَـطَّـخـةً بـالـعـارِ والـخِـزْيِ حِـلْـيُـهـا
أتـــــوارى الآن عـــــنـــــه لأَرَى مـا فـيـهِ مِـنْـهُ

(تتوارى في الجهة المقابلة. يدخل ابن زيدون)

ابن زيدون (كما لو كان يخاطب وَلاَّدَة):

هِــيَ كــالــفَــجْــرِ بَــسْــمــةً ورُواءَ
وهْـيَ كـالـزَّهـرِ نُـضْـرَةً فـي الـخَـمـيـلـهْ

قد تجلَّى جمالُ «بَلْقيسَ» فيها
أينَ مِنْ حُسْنِها «اعتماد»[1] الجميلهْ
وهْيَ كالْبانِ في القَوَامِ وفي الدَّلِّ
وسِحْرٌ بهِ القُلُوبُ قَتِيلَهْ
هِيَ في مَبْسَمِ الزَّمانِ حديثٌ
ما رَوى الذَّاكرونَ قَبلُ مثيلهْ
فيهِ من عَالَمِ القُصور أحاسيسُ
وَنَعْمَاءُ مُورِقاتٌ ظَلِيلَهْ
فيهِ مِن سَامرِ المحبِّينَ عِطْرٌ
ورجاءٌ يُحيي النفوسَ العَلِيلَهْ
رقَّ كالنَّسْمةِ الصّبوحِ وكاللَّمح
تَبدَّى مِن العُيونِ الكَحِيلَهْ
أتَدري يا أخا البَدرِ
أتدري بالهوى العُذْرِي
وأشْواقِي إذا تَسرِي
على الزَّهرِ، على الصّخْرِ،
على الوادي، على النَّهرِ
على النَّجمِ، على البَحْرِ
تُسابِقُ زورقاً يجرِي
كأحْلامِ الهوى البِكْرِ
وأيَّامِ الصِّبا الغُرِّ

---

(١) هي زوج المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية وأشهر ملوك الطوائف في الأندلس. كلف بزوجه هذه وأرسل فيها القصائد الغر الخالدة.

إلـــى الـــنّـــدمـــانِ والـــخـــمـــرِ
وســـــاقٍ فـــــي سَـــــنـــــا الـــــبَـــــدرِ
إلـى الـقَـيْـنَـاتِ فـي الـقـصـرِ
وغـــــــيـــــــدٍ خُـــــــرَّدٍ زُهْـــــــرِ
ورمَّـــــانٍ عـــــلـــــى الـــــصَّـــــدرِ
وأنـــفـــاسٍ مـــن الـــعِـــطْـــرِ
تَـــرِفُّ كـــنَـــســـمـــةِ الـــفَـــجْـــرِ
وحُـــلْـــمِ الـــلَّـــيـــلـــةِ الـــدُّرِّي
هـنـا أمَـلِـي، هـنـا عُـمـرِي

المشهد الثالث

(تظهر سليمى)

ابن زيدون: (وقد رآها)

«سُليمى» (يبتسم)

سليمى: نَعَمْ،

ابن زيدون: قُولي، أَمِنْ أَيْنَ آتيهْ أَمِــنْ عِــنــدهــا؟

سـلـيـمـى: مِــنْ عــنــدِ سـيِّــدتــي الــكُــبــرى

ابن زيدون: وَهَلْ سَامِرو «ولاَدَةَ» اللَّيلَ عندها

تُـطـالِـعُـهـمْ من بـحـرِهـا الـنَّـثْـرَ والـشَّـعْـرا

وَكُـلُّـهـمُ مِـنْ عِـلْـيَـةِ الـقـومِ مَـحْـتِـداً

ومـرتـبـةً عِـلـمـاً، إذا شـئـتِ، أو فِـكْـرا

فَـمِـنْ قـادةٍ كـالأُسْـدِ في حَـوْمـةِ الـوَغـى

ومــن سـيِّـداتٍ كُــنَّ أَنْـجُـمـنـا الـزُّهْـرا

سـلـيـمـى: أَجَـلْ هُـوَ هـذا، إنَّـمـا الـلـيـل وَحْـدَهـا

رأيـت «ابـن عَـبـدوسٍ» يُـعَـاقِـرُهـا الْـخـمْـرا

تـطَـارِحُـهُ حُـلْـوَ الـحـديـثِ تَـحَـبُّـبـاً

وتَـسْـقِـيـهِ بَـعْـدَ الـكـأسِ قُـبْـلَـتَـهـا الـحَـرّى

ولِلْكأسِ بعدَ الكأسِ ما يُذهبُ الحجى

ويُـطْـلـعُ سِـرًّا مـنـكَ أودعـتَـه الـصَّـدْرا

ابـن زيـدون: كـذبـتِ لَـعَـمْـرِي إنَّـمـا هِـيَ فِـريـةٌ
تُـريـديـنَ منـهـا الطَّـعـنَ والفُـحش والفَـجْـرا
فَـبِـنـتُ أمـيـرِ الـمـؤمـنـيـن «مـحـمـدٍ»
أجـلُّ وأَعـلـى عـفـةً، شِـئْـتِ، أو طُـهْـرا
فَـهـيَّـا اغـرُبِـي عـن وَجـهـيَ الآنَ إنَّـنـي
أُقَـبِّـحُ مـن يُـوشـى ولا أَقْـبَـلُ الـعُـذْرا
سليمى (غاضبة): سَتَعرِفُ صِدقَ القولِ بعد فواتِهِ
وتَـعـلَـمُ أنّـي مـا أردتُ بـهـا نُـكْـرا

(تخرج في حالة جنونية)

ابن زيدون (مناجياً):
أيُّـهـا الـلَّـيـل أحـقًّـا سِـرُّ هـذا الـكـونِ صـدرُكْ؟
أيُّـهـا الـلَّـيـلُ أَصِـدْقـاً سَـلـوةُ الـعُـشَّـاقِ ذِكْـرُكْ؟
أيـهـا الـلَّـيـلُ أَخُـلْـقـاً حَـمْـأَةُ الـلَّـذَّاتِ وَكْـرُكْ؟
خـبِّـري يـا لـيـلُ هـل بَـدْري هَـوَى
وحَـبَـا غَـيْـرِي مـنَ الـنَّـاسِ الـهـوَى!
وارْتَـضـى لـي الـهـجـرَ مِـنـهُ والـجَـوَى
ورَمَـى قـلـبـيَ نَـهْـبـاً لِـلـنَّـوَى؟
أَيُّـهـا الـلَّـيـلُ أَجِـبْـنـي سِـرُّ «ولاَّدةَ» سِـرُّكْ؟
أَيُّـهـا الـلَّـيـلُ أعِـنِّـي سِـحْـرُ «ولاَّدَةَ» سِـحـرُكْ
أيُّـهـا الـلَّـيـلُ أَرِحْـنـي
وَلْـيُـنِـرْ قـلـبـيَ فـجـرُكْ
خَـبِّـري يـا لَـيـلُ هـل حـظّـي ثَـوى
وهـنـاءُ الـعـمـرِ بـالـهـمِّ انـطَـوَى؟

أو تُـرَى مـا قـيـلَ كِـذبٌ ولَـوَى
وأبـاطـيـلُ رَواهـا مَـنْ رَوَى

(يُرى ابن عبدوس آتياً إليه من الجناح الخاص بوَلاَّدَة)

ابن زيدون: «ابنُ عبدوسٍ» هنا!
ابـن عـبـدوس: أَنـا مَـنْ تَـدْعُـو، أَنـا....
ابن زيدون (بتهكم): مِنْ أَيْنَ أَتيتَ لنا الآنا ورجـعـتَ الـلَّـيـلةَ عَـجْـلانـا
والـسـامـرُ لـمَّـا يَـنْـتـظـم ودخـولُ الـنَّـدْوةِ مـا حـانـا
أتـرى «ولاَّدةُ» غَـضْـبَـى؟
ابن عبدوس (متهكماً أيضاً):
لَـمْ يَـحْـوِ الـسـامـرُ إلاَّنـا نَـلْـهـو أو نـلـعـبُ أَحْـيـانـا
والـطـيـرُ تُـغَـنِّـي نَـجْـوانـا والـزَّهـرُ تَـفَـتَّـحَ نَـشْـوانـا
والـحـاجِـبُ قـبـلاً أوصـتـهُ أنْ يَـصـرِفَ عـنَّـا الـنَّـدْمـانـا
«ولاَّدةُ» كـانـتْ جَـذْلَـى
ابن زيدون (بألم): والآنَ؟
ابـن عـبـدوس: لـمـضـجـعـهـا خَـفَّـتْ أَطْـيـافُ الـنَّـوم بـهـا حَـفَّـتْ
فارجِعْ «ولاَّدةُ» هَيْمَى
ابن زيدون (بغضب وتهكم):
بـالـوَجْـهِ الـكـالِـحِ هَـيْـمـانَـهْ والـشَّـكـلِ الـمـفـزِعِ ولْـهـانـهْ!!
ابن عبدوس (بغضب):
أَقْـصِـرْ مـنَ الـكَـلـمِ الـبـذيء فـلـم يَـعُـدْ
لِـلـصَّـبـرِ فـي قَـوْسِ الـتَّـحَـمُّـلِ مَـنْـزَعُ
فـي مَـنْـطِـقـي، إنْ شِـئـتُ، مُـرُّ إجَـابـةٍ
وإذا أَرَدْتُ فـإنَّ سَـيْـفِـيَ أَقْـطَـعُ

(يتئد)

إِنِّــي أَمُــرُّ بــمــا أســأتَ تَــكَــرُّمــاً
وَأَغُــضُّ لا جُــبْــنــاً لأنِــيَ أُرْفَــعُ
هَـبْـنـي قَـلـيـلاً مِـنْ حِـجـاك فـإنـمـا
فـي إِصْـبَـعِـي لـلـحُـبِّ نُـورٌ يَـسْـطَـعُ

(يريه)

هـذا الـدَّلـيـلُ أَلَـيْـسَ خـاتَـمـهـا الّـذِي
ضَـنَّـتْ بـهِ حـتَّـى عـلـيـكَ؛ أَتَـسْـمَـعُ

ابن زيدون (مقتنعاً): اهْنَأ بما قَدْ نِلْتَ،

ابن عبدوس (ساخراً): إنِيَ شَاكِرٌ
والآن أَذْهَــبُ إِنَّ سَــعْــدِي يَــلْــمَــعُ

(يذهب تاركاً ابن زيدون في حالة يائسة)

* * *

ابن زيدون (لوحده مناجياً ومتألماً):

أَمْـسَـتْ لَـيـالـي الـهَـنَا حُـلْـمـاً تُـنـاجـيـنـا
وأَصْـبَـحَـتْ ذِكْـريَـاتُ الـحُـبِّ تُـشْـقِـيـنـا
كـنَّـا خَـلِـيـلَـيـنِ فـي دُنْـيـا الـغَـرَام وقَـدْ
أَضْـفَـتْ عَـلـيـنـا مـن الـنُّـعْـمـى أَفـانِـيـنـا
نُسْقَى حُميَّا الهوى في الكأسِ مُتْرَعَةً
مَـمْـزُوجَـةً بـحـنَـانٍ كـانَ يُـحْـيِـيـنـا
ولـلـصِّـبـا فـي قَـشـيـبِ الـبُـرْدِ رَوْعَـتُـهُ
ولــلــعــيــونِ نِــدَاءٌ كــادَ يــغْــرِيــنــا

ورِقــةٍ فــي دَلالٍ زَانَــهُ خَــفَــرٌ
وعِــفَّــةٍ تَــوَّجَــتْ فــخــراً لَــيــالِــيــنــا
نُــمسي ونُـصْبحُ والأَوتـارُ صـادحـةٌ
ونــحــن فــي نَــشــوةٍ حَــلَّــتَ مَــجَــالِــيــنــا
ولِــلْــقِــيــانِ غــنــاءٌ هَــزَّ ســامــرَنــا
ولــلــنَّــدامــى حُــمَــيَّــا مــن تَــصــافِــيــنــا
والــسَّــامــرونَ بِــذِكــرَانــا شَــدَوْا طَــرَبــاً
والــعــاشــقُــون تَــمَــنَّــوْا مــن أَمــانِــيــنــا
ولــلــنَّــسَــائِــمِ أنــفَــاسٌ مُــعَــطَّــرَةٌ
مِــنْ نــفــحــكِ الــطــيــبُ كــافــوراً ونِــسْــرِيــنــا
والــمــاءُ يــنــســابُ والأشــجــارُ راقــصــةٌ
والــطــيــرُ تَــسْــجُــعُ والــدُّنــيــا تُــهَــنّــيــنــا
يــا ربَّــةَ الــمــجــدِ أيــن الــعَــهــدُ هــل عَــبَــثَــتْ
بــه الأعــادي وهــل أُنــسِــيــتِ مَــاضِــيــنــا
إنْ صَحَّ يا قلْبُ ما قَدْ قيلَ فابكِ عَلَى
أيّــامِــكَ الــبــيــضِ وايــأَسْ مِــن تَــلاقِــيــنــا

(يخرج حزيناً)

(يدخل ابن عبدوس ومعه سليمى)

ابن عبدوس: هنيئاً لنا بالنصر يا حُسْن ما فعلتِ
سليمى: هنيئاً يا بْن عبدوسَ بالمِثْلِ
ابن عبدوس: تَحمَّلتِ في هذا السبيلِ مَشقّةً
سليمى: ولكنّها هانتْ وقد فُزتُ بالفِعلِ

ابن عبدوس: رميتِ «ابنَ زيدونٍ» بسهم أماتَهُ
وآخرَ أَودى بالحبيبةِ لِلْقَتْلِ

سليمى (بألم): أجل «يا بنَ عبدوسٍ» أَصَبْتُ مُعَذِّبي

ابن عبدوس: نَدِمْتِ؟
سليمى: ولكن، لاتَ ساعة لِلقَوْلِ
ابن عبدوس: أرى الحزَنَ يَعْلو وجهَك الغضّ ما الَّذي
أَصَابَكِ؟ قولي،
سليمى: خَلِّ عنِّي أجل خَلِّ
ابن عبدوس (بسخرية):

فَهِمْتُ!!
سليمى: لَقد غرّرتَ بي فامضِ لا تزِدْ
جَوًى لَوْعَتي،

ابن عبدوس: إنِّي شَفَيْتُ بها غُلِّي
(يخرج ساخراً)
* * *

سليمى (تغني بمرارة): لَسْتُ أدري أين بَدْري الآنَ يسرِي
لستُ أدري؟
أينَ صَحْبي أينَ حُبِّي أينَ قَلْبي

لستُ أدري؟
يا حَبيبي أَيْنَ أَمْسٌ مِنْ هَوانا؟
أَيْنَ أيَّامٌ مَضَتْ سَكْرى لِقَانا؟

غَشّني الواشونَ وافتنُّوا افتنانا
يا حَبيبي أَيْنَ أَمْسٌ مِنْ هَوَانا؟
لستُ أدري؟

طيَّ صدري برحُ هجري أينَ صَبرِي

لستُ أدري؟

ليسَ ذَنبي ذنبُ حُبِّي أينَ لُبِّي

لستُ أدري؟

يا حَبيبي سَكِرَ الكونُ وناما
وغَفَتْ يا ليلُ كاساتُ النَّدامى
غيرَ أقداحي وأقداحِ الهَيامى
مُقْسِماتِ بالهوى ألاَّ تَناما
يا حبيبي سكرَ الكون وناما
فَإلامَ السكرُ يا روحي إلاَمـا
لستُ أدري؟

(تخرج باكية)

(يدخل صبح وهو يردد «لست أدري أين بدري» ـ تدخل ليلى)

ليلى: «صبحُ»!
صبح: «ليلى» «ما أُحَيْلى ساعةً جَمعتنا»

ليلى: هاتِ مِنْ هذا الوَتَرْ
رَتّلِ الحبَّ وشَنِّفْ مَسْمَعِي
واتلُ من قرءانه كلَّ السُّوَرْ

صـبـح : فُـرصـةٌ واتَـتْ فـهـيّـا نَـحـتَـسـي

مـن كـؤوسِ الـحـبِّ مـا يَـشْـفـي الـوَطَـرْ

قـبـلـةٌ عَـطْـشـى إلـى هـذا الـلِّـقـا

وفـمٌ ظـمـآنُ مِـن طـولِ الـسَّـهَـرْ

(يقبلها طويلاً)

قـبـلـةٌ أسْـكـرتْ فـؤاديَ «لـيـلـى»

هِـيَ عـنـدي مَـن الـمَـسـرَّة أحْـلـى

لـيـلـى : وهْـيَ فـي مَـبـسَـمـي ألـذُّ وأغْـلـى

(يقبلها أيضاً)

سَرَقْنا الهَوى يا «صبحُ»،

صبح : هل جَدَّ طارئٌ؟

عَساه «سُليمى»!

لـيـلـى : هـل سـمـعـتَ لـهـا ذِكْـرا؟

صـبـح : أَجَـل إنـهـا كـانـتْ هُـنـا مـنـذُ لَـحـظـةٍ

تُـنـاجـي «ابـن زيـدونٍ» وتَـبْـكـي بـكـاً مُـرَّا

ليلى (بسخرية): أَتَبكي «سُليمى»!!

صبح : صَدِّقِي ما أقولُهُ

لـقـد نـدِمـتْ واسـتـمـطـرتْ أدمُـعـاً حُـمْـرا

وبـان لـهـا أنّ «ابْـن عَـبْـدوسَ» غَـشَّـهـا

فـتَـعْـسـاً لـهـا كـانـت ضَـحـيـتَـهُ الـكُـبْـرى

وسَـحْـقـاً لـهُ ضَـحَّـى بـهـا وبـشـاعـر

لـيـلـى : ومـولاتُـنـا أيـضـاً ضـحـيَّـتُـه الأُخْـرى

صبح: أَلَم تُخبريها عن «سُليمى» و «فارِهَا»[1]
وما بَيَّتا مِنْ فَتْكةٍ تَقْصِم الظَّهْرا

ليلى: وَجَدْتُ «سُليمى» و «ابن عبدوسَ» عندها
يدُسَّان حتى أوغَرا صدرَها البكْرا

صبح: فما الرأيُ يا «ليلى» وما خِفتُ واقعٌ
ليلى: سأُحْبِطُ يا روحي المؤامرةَ النَّكْرا

* * *

صبح: (يرى رباح حاجب ولاَّدَةَ قادماً):
«ليلى»: انظُري «رباحُ» آتْ

ليلى: الوقتُ لي غدا مُؤاتْ

صبح (وقد رأى ولاَّدَة): «ولاّدةُ» قادمةٌ، «ليلى»

ليلى: حظُّ قد كُنَّا ننتظرُهْ

(تدخل وَلاَّدَةُ)

أهلاً بالمجدِ وربَّتِهِ

ولاّدة: «ليلى والصُّبح»!

صبح: وها فَجْرُهْ

(تبتسم وَلاَّدَة)

---

(١) الفار: لقب يطلق على الوزير ابن عبدوس.

المشهد الرابع

ليلى: اِمنَحيني الكلامَ (تقف الحاشية بعيداً)

ولاّدة: أيَّ كلامٍ

ليلى: عَنْ «سُليمى» وعن دسائسَ كُثْرِ

ولاّدة: وهل من جديدٍ «هاتِ يا ليلَ واصدُقي»

ليلى (متأثرة): أَجْل أنتِ في شكٍّ لَعَمْرِيَ من أَمْرِي

ولاّدة: لعلّيَ لَمْ أَجْرَحْكِ بالقول فاسمحي

ليلى: فديتُكِ مَوْلاتي بمالي وبالعُمْرِ

(ليلى مستمرة)

بشاعرِ عصرنا افتَتنتْ «سُليمى»

وأَمستْ فيهِ والهةً غَراما

تُفدّيهِ بأَنْفَسِ ما لديها

ولاّدة: وشاعرُنا يُبادِلُها الهُياما

ليلى: يَميناً إنَّ شاعرَنا بريءٌ

لَئِنْ أنصفتِ قلتِ لقد تعامَى

ولمَّا أَخفقتْ عادَتْ لِدَسٍّ

لعلَّ الدسَّ يُبلغُها المَرَاما

ولاَّدة: فحاكتْ ما رويتِ قبيلَ ثوباً

وبُرداً من صنوفِ العارِ غَاما

ليلى: «وهل ضَرَّ السحابَ نباحُ كلبٍ»
أو المزنَ الهطولَ بُكا الأيامى
ولادة (للحاشية): اتركوني و «ليلى»
رباح: سمعاً وطاعهْ
ولادة: تَخِذْتُكِ موطنَ الأسرارِ «ليلى»
لأني منكِ واثقةٌ تماما
لَقَدْ آمنتُ أنَّ هُناك دسًّا
وطعناً ـ سامحَ اللَّهُ المُلامَا ـ
ولكنْ هل علمتِ هوًى جديداً
حمى عن عينِ شاعرِنا المَناما؟
«لذي النُّونِ» الأميرِ فتاةُ حُسْنٍ
بهذا الحسنِ شاعرُكِ استهاما
وأصبحَ شادياً في كلِّ نادٍ
وأمسى في الهوى يَشكو السَّقاما
ليلى: أتعنين «ابنَ زيدونٍ؟!»
ولادة: ولِمْ لاَ؟
ليلى: فديتُكِ إنَّهُ كَذِبٌ تَرَامَى
يشيِّعه «ابن عبدوسٍ» ليُطفِي
غليلاً شَفَّه أبداً ضِراما
ويَسْحقَ بعدَ ذا قلبين عاشا
خَدِينَيْ عِفَّةٍ خُلِقَا تُؤَاما
ولادة (بجد وألم): إنِ «ابن زيدونَ» أَضحى اليومَ مفتَتِناً
ببنتِ «ذي النونِ» هذا ليسَ يَعنيني
إنْ كان قلْبُ الذي أهواه مالَ إلى
قلبٍ سوايَ فهل إن نُحتُ مُدْنِيني؟!

مـا ضَـرَّنـي حـبُّـه أو بـغـضُـه أبـداً
بـل ضَـرَّنـي أنَّ حـبِّـي بـاتَ يُـشْـقِـيـنـي
لـئـن أَسِـفْـتُ عـلى شـيءٍ فـلـيسَ عـلى
حـبِّـي ولـكـن عـلـى غـشِّ «ابـن زيـدونِ»
أَحَـبَّـنـي رغـبـةً فـي نـفـسـهِ جَـمَـحَـتْ
فـأظـهـرَ الـودَّ والـحُـسـنـى لـيُـغْـرِيـنـي
والآنَ قَـلـبـي وقـد أعـطـيـتُـه ثـمـنـاً
يَـصـدُّ عـنـه ويَـغـزُو بـنـت «ذي الـنُّـونِ»
لـعـلَّـه بِـهَـوَاهـا يَـرْتَـجِـي شَـرَفـاً
نَـوَالُـه عِـنْـدَ مِـثْـلـي غَـيْـرُ مَـأْمُـونِ
لـو كـان حـيًّـا أبـي مـا نـالـنـي تـعـبٌ
ولا جـفـانـي «ابـنُ زيـدونٍ» عـلـى هُـونِ
(تبكي)

ليلى (منفعلة): أعُوذ باللّه من كيد «ابن عبدوسِ»
أعـوذ بـالـلَّـه مـن شـرِّ الأبـالـيـسِ
ومـن أحـاديـثِ مـجـنـونٍ ومـهـووسِ
ومـن «سُـلـيـمـى» وقـد جـاءتْ بـتـدلـيـسِ
بكِ «ابنُ زيدونَ» يغدو اليومَ مؤتَمِراً!!
كـلاَّ، ولـو تَـوَّجـوه مُـلْـكَ «بَـلْـقِـيـسِ»
لـو خُـيِّـرَ الـكـونَ والأَفـلاكَ مـمـلـكـةً
وجَـنَّـةَ الـخُـلـدِ أو حـورَ الـفَـرَادِيـسِ
مـا اخـتـارَ غـيـرَكِ مـعـبـوداً يُـمـجّـده
فـي هـدأةِ الـلَّـيْـلِ أو نَـجْـوى الأحَـاسـيـسِ

ولادة (هادئة آسفة):
كـلـتُ يـا لـيـلَ الـتُّـهَـمْ مـن تـبـاريـحِ الأَلَـمْ
لـجَّ بـي الـواشـون فـانْـهَـلْـتُ تَـقـريـعـاً وذَمْ

والـــــهــــوى إنْ جـــارَ لا يــعــرَفُ الــقــلــبُ الــنَّــدمْ

لــيــلــى: إنَّ مَــنْ تَــهــويــن مِــــــنْ أكـــرمِ الـــنـــاسِ شِـــيَـــمْ

«ابـــنُ زيــــدونَ» الـــذي لا يُـــجَـــارَى فـــي الـــهِـــمَـــمْ

ولاّدة (بتلهف وندم):

أين «ابن زيدونَ» يا «ليلى» هوَ الآنا؟

لــيــلــى: هــل زالَ مــا دسَّــه الــواشــونَ أعــدانــا؟

ولاّدة: قـد زالَ مـا كـانَ مـن شـكٍّ بـفـضـلِـكً فِـي

نَـفِـسي وحلَّ الـصَّـفـا، والـقـلـبُ قد لانـا

الـحـمـدُ لـلَّـه أَنْ كـنـتِ الـسـبـيـلَ إلـى

تـقـريـبِ قـلـبـيـنِ كـانـا لـلـنَّـوى الآنـا

(يدخل رباح)

ربـاح: انـتـظـمَ الـسـامـرُ مـولاتـي والـــكـــلُّ تـــشـــوَّفَ لِـــلـــذَّاتِ

* * *

ولاّدة: هـل «ابـن زيـدونَ» بـيـن الـقـوم يُـنـشـدهـم

مـن شـعـره الـعـبـقـريِّ الـصـنـع ألـوانَـا

فــمــن بــديــعِ بــألــفــاظِ مــنــمَّــقــةٍ

رقَّــتْ فــأرســلَــتِ الـتـعـبـيـرَ ألـحـانـا

ومِـنْ مـعـانـيـه بِـكْـرُ الـقـولِ نـادمـهـم

راحَ الـــبـــيـــان زُرَافَـــاتِ وَوُحْـــدانَـــا؟

ربـاح: لـيـسَ «ابـن زيـدونَ» مـولاتـي بـسـامِـرِنـا

يُـقـالُ سـافَـر صـوبَ الـشـرقِ غـضـبـانـا

لـيـلـى: لـقـد رأتْـه «سُـلـيـمـى» قـبـلَـنـا فَـرمَـت

مــن الأبــاطــيــلِ مــا شــاءتْ ومــا شَــانـا

وأَشْــهَــدَتْ أنــهــا فــي الـقـولِ صـادقـةٌ

و «بـابـن عـبـدوسَ» زادَ الـقـولُ بُـهـتـانـا

ولاّدة: الآنَ أدركتُ أني كنتُ مُسرفةً
في اللين حتى نَما الواشونَ أفنانا
فمن هَوَادةِ طَبْعي أخصبوا ورَعَوْا
وازدادَ كِذْبُهمُ بغياً وطُغيانا
سأقطعُ الدَسَّ بالحزمٍ الشديدِ فما
للمُفسِدين سواهُ ماحقاً كانا
وليعلَمِ الناسُ أنَّ الخيرَ رائدُنا
وأننا قد تخِذْنا العَدْلَ سُلطانا
(إلى الحاجب رباح)
«رباح»!
رباح: سيّدتي،
ولاّدة: هل شانَ مجلسَنا
وجهُ «ابن عبدوسَ»؟
رباح: كلاَّ، الليلَ ما جانا
ولاّدة: لَئِن أتى و «سُليمى» فامنَعَنَّهما
عنِ الدخولِ ونَفِّذ أمريَ الآنا
وقُل عهودُ الخَنا والدسِّ قد دَرَسَتْ
وذرَّ فجرُ الهنا والبِشرُ قد بانا
(يذهب رباح)
«ليلى» إليّ تعالَيْ نبكِ شاعِرَنا
لقد أَضعنا صديقاً كانَ يرعانا
(تبكي)
ليلى: لا تبكِ سيِّدتي إنّي سأطلُبه
في البحر إنْ سارَ أَوْ في البرِّ إنْ كانَا
(ستار)

الفصل الثاني

وفيه خمسة مشاهد

أشخاصه

ورد	ولاّدة
سعد	مسك
مالك	سليمى
بشر	ليلى
أحمد بن سراج	ابن زيدون
مُنى	صبح
رباح	الشادي

شادية، راقصون وراقصات

المشهد الأول

المكان:

قصر «ولاَّدة»، وقد انتظم السُمَّار في الندوة على الأرائك في صفوف متقابلة، وعلى المناضد فرادى وجماعات.

الزمان:

في الساعات الأولى من اللّيل وقد أنيرت الندوة بمصابيح أندلسية فخمة.

ورد: حديثُ الناسِ يا «سعدُ» هُراءٌ ما له حَدُّ
يقولون «ابن عبدوسٍ» بَرَاه العِشْقُ والوجدُ
وأمسى هائماً يشدو
سعد: ومَنْ ليلاه يا «وردُ»؟؟
ورد: «ولاّدةُ» زهرةُ وادينا (يبدو الاستغراب على سعد)
سعد: سَحقاً للماجنِ،
ورد: آمينا
مالك: أرى السَّامرَ يا «بشرُ» كساهُ الليلةَ البِشرُ
ففيهِ العلمُ مؤتَلِقٌ وفيه الشِّعْرُ والنثرُ

وســـــاداتٌ غَـــــطـــــارفـــــةٌ وأعــــــلامٌ لــــــهـــــم ذِكْـــــرُ
ونُـــدمـــانٌ هُـــمُ الـــخَـــمْـــرُ وحـــــورٌ أنــــجـــمٌ زُهْـــرُ

(يضحكان)

بشر: في صولةِ العزِّ لم تَشْهَدْ جَزيرتُنا
عهداً كهذا به للعِلم سلطانُ
ظِلالهُ الوارفاتُ اليومَ مُبْتَرَدٌ
وَوِردُهُ سائغٌ إِنْ رادَ ظَمْآنُ
مجالسُ العلم والآدابِ حافِلةٌ
لا «مصرُ» تبلُغها شأواً و «بَغْدانُ»
فهل بشرقِهِمُ نادٍ كنَدْوَتِنا
وسامِرٌ فيه نُظَّارٌ وَأعْيانُ
وفتيةٌ كنسيمِ الفجر رِقَّتُهُمْ
وشاعرونَ وقَيْناتٌ ونُدْمَانُ
تَزينهم رَبَّةُ المجدِ التليدِ ومَنْ
بذكرها قد حَدَتْ بيدٌ ورُكْبانُ

مالك: أخشى على عهدِها الميّاس مِنْ نَفَرٍ
ألحقُّ عندَهُمُ مَيْنٌ وبُهْتانُ
يُؤَرِّخُونَ لياليها كؤوسَ طِلى
وبَهْوَ مجلسِها للفسق مَيْدَانُ
تُدار فيه على السُّمَّار قُبْلَتُها
حَرَّى فيرْقُصُ كُلٌّ وهو نَشْوانُ
وَطُهرُ «ولاّدةَ» القدسيُّ منهتكٌ
مجرَّدٌ من ثياب الصَّون عُرْيانُ

أبو الحسين أحمد بن سراج (مداعباً الشاعرة الأديبة منى وقد كان يهواها):

أَيــن بِــكْــرُ الــروىِّ مــن أشــعــارِكْ
وعــيُــونُ الــكــلامِ مــن أقــوالِــكْ

أيـنَ أيـنَ الـمـجـنّـحـاتُ مـن الـنـثـر
وأيــن الــبــديــعُ مــن أمــثَــالِــكْ

هـاتِ فـالـعـمـرُ لـيـلـةٌ تَـتَـقـضَّـى
بــيــن كــأس ومِــزْهَــرٍ وجــمــالِــكْ

منى: ذاكَ عـهـدٌ شيَّـعـتُـهُ مِـن زَمـانـي
حــافــلاً بــالــعِــذَابِ مــن أيــامــي

نُـضْـرةُ الـعـمـرِ بـالـشَّـبـابِ تَـبَـاهَـتْ
ثُــمَّ ذابــتْ عــلــى أُوارِ غَــرَامــي

فــإذا الــعــمــرُ حُــلْــمُ لـيْـلـةِ أُنـسٍ
وإذا الــكــونُ مِــنْ كــؤوسِ مُــدامــي

الـمُـنـى قـد رَقَـصْـنَ فِـيـهِ نَـشَـاوى
ثــم أَغْــفَــيْــنَ فــي دُنــا أنْــغــامــي

مُـتْـعَـةٌ مِـنْ هَـوَى الـلَّـيـالـي الـعَـذَارى
لـفَّـهـا الـقَـلْـبُ فـي حُـلَـى أحـلاَمِـي

أبـو الـحـسـيـن: بـربِّـكِ ألْـبسـي لَـيْـلَـي جَـمـالاً
وهــاتــي يــا «مُــنــى» راحــاً حــلالا

وقُــولــي تــنــطــق الــدُّنــيــا نــشــيــداً
وســحــراً مــن فُــتُــونِــكِ قــد تَــلالا

وغَــنِّــي وابــعــثِــي الأَنْــغَــام وحــيــاً
ولــحــنــاً عــبــقــريًّــا قــد تَــعَــالــى

فــمــا الــدُّنــيــا ســوى ســاعــاتِ أُنْــسٍ
تُــســاقِــيــنــا وآجــالٍ تَــوَالَــى

(ثم يقترب من «منى» وقد سرت به النشوة فيقول)

شَعْشِعِ اللَّيلَ من بهاكِ ضياءً
وانشِرِ البشرَ في مَداهُ البعيدِ
ومُرِ اللَّيلَ أن يطولَ وقُولي
أَيُّها الفَجْرُ لا تَفِقْ من رُقُودِ
نحنُ عَطْشى إلى اللِّقا فاسْقِنيها
من حُميَّا اللَّمَا وَوَرْدِ الخُدودِ

سعد (إلى بشر): ما الذي أخّر مولاتي الأميرهْ؟
إنّ في الأمر باعثاً للحيره!؟

رباح: (يعلن قدوم ولاّدة بنت المستكفي باللَّه)
أميرةُ الوادي الخَصيبِ ورَبَّةُ المجدِ القَشيبِ

(ينهض الجميع. تدخل ولاّدة محاطة بوصيفاتها وأصدقائها)

المشهد الثاني

ولاّدة: سـلامٌ عـلـى الـمـلأ الـسـامـرِ سـلامٌ عـلـى الأدبِ الـزاهـرِ

الجميع: عليكِ السَّلامُ، عليكِ الثّناءُ، ومِنَّا الوَلاَءْ

ولاّدة: تَـفـضَّـلـوا واجـلـسـوا (يـجـلـسـون)

أهـــلاً بـــكـــم مَـــلأً

بـهـم نـفـاخـرُ أخـلاقـاً وآدابـا

بـشـر: حُـيّـيـتِ يـا ربـةَ الـوادي ونِـعْـمَـتَـهُ

ويـا ابـنـةَ الـصِّـيـدِ مِـنْ رَيَّـاكِ نَـفْـحَـتُـهُ

لـولا أمـيَّـةُ مـا كـنَّـا وكـانَ لـنـا

مـجـدٌ تُـطِـلُّ عـلـى الأَجـيـالِ رِفـعـتُـهُ

أبو الحسين (إلى مالك بن سليمان):

بـخٍ بـخٍ مـا يـقـولُ الـشـاعـرُ الـفَـطِـنُ

لـولا سـيـوفُـهـمُ مـا كـانـتِ الـعَـرَبُ

مـالـك: إنَّ الـسـيـوفَ أراهـا الـيـومَ نـائـمـةً

وحـامـلُـوهـا لـهُـمْ فـي لَـهْـوِهـمْ صَـخَـبُ

فـأرضُـهـمْ مُـزِّقَـتْ بـيـن الـطّـوائـفِ مِـنْ

أتـبـاعِـهـم وعـيـونُ «الـقُـوط» تَـرْتَـقِـبُ

هــذَا عــلــى جــارهِ إلــبٌ وذَكَ عــلــى
أخـيـه حـربٌ ضـروسٌ مـا لـهـا سَـبَـبُ
ومَـلـك «قَـشْـتـالـةٍ» يـجـتـزُّ أرضَـهـم
مـديـنـةً تِـلـوَ أخـرى بـئـسـمـا اطّـلـبـوا
أجـلْ سـيـأتـي زمـانٌ قـد تـقـامُ بـه
عـلـى مـعـابِـدِنـا الأجـراسُ والـصُّـلُـبُ
وسـوفَ نُـطْـرَدُ مـن هـذي الـبلادِ عـلـى
حــالٍ مــن الــذُّلِّ والأيــامُ تَــنْــقَــلِــبُ
بـشـر: هَـوّن أُخَـيَّ عـلـيـكَ فـالـدُّنـيـا لـنـا
تــلــكَ الــعــزائـمُ مـا تـزالُ بـنـا بـنـا
ولاّدة: «أبـا الـحـسـيـنِ» أدرْ راحَ الـحـديـثِ
أبـو الـحسـين: نـعـمْ، الـرّاحُ منكِ تُساقينا فتُنْشِينا
لـولاكِ لـم يَـشْـدُ غِـرِّيـدٌ بـسـامـرنـا
ولا تَــرَدَّدَ بــالأنــغــامِ نــاديــنــا
ولا تَــرَنَّــم بــالأشــعــارِ شــاعــرُنـا
ولا تَــحــدَّثَ بــالــنَّــعــمــاءِ واديــنــا

* * *

ولاّدة: لا فُــضَّ فــوكَ «أبــا ســراجٍ» إنــنــي
أبـغـي ازدهـارَ الـعـلـمِ فـي هـذا الـوطـنْ
أَحـبـبـتُـه مـنـذ الـصِّـبـا أَسـكـنْـتُـهُ
فـي مـهـجـتـي ووهـبـتُـه رُوحـي ثَـمَـنْ
فـالـلَّـه يَـشْـهَـدُ كـم شَـقِـيـتُ بـهِ وكَـمْ
فــارقــتُ فــي إسـعـادِهِ حُـلْـوَ الـوَسَــنْ

أبو الحسين: بالرُّوحِ مولاتي نُفَدِّي ذا الوَطَنْ

بعزائمٍ لا تَعْرِفُ اليومَ الوَهَنْ

شَبَّتْ على حُبِّ الجهاد كريمةً

إيمانُها باللَّهِ أَولَ والوَطَنْ

الجميع (وقد أخذهم الحماس):

إيمانُها باللَّه أَوَّلَ والوَطَنْ

ولاّدة: بورك اليوم للبلاد بشعبٍ

فيهِ من عَزْمَةِ الجُدود بَقِيَّه

سوف نبني كما بَنَوْا صَرْحَ مَجْدٍ

أُسُسُ العَدْلِ في بناهُ قويَّهْ

ورد (صارخاً): تحيا «ولاّدةُ».

الجميع (يهتفون): فَلْتَحْيا

للمجدِ المُشْرِقِ والعَلْيَا

ورد: تحيا «ولاّدةُ» فلتحيا

* * *

ولاّدة (لمنى): «منى لَعمري أراكِ الليلَ غارقةً

في بحر همٍّ من الأفكار يَصْطَخِبُ

أهاجَكِ الحُزْنُ للعهد الجميلِ؟

منى: أجل

عهدٌ زها العلمُ فيه وارتقى الأدبُ

لكنْ يُخَفَّفُ حُزْني يقظةٌ بدَرَتْ

على يديك وبعثٌ بات يُرْتَقَبُ

عاشتْ أَميرتُنا «ولاّدةٌ» قبساً

بنوره تَهْتَدِي في ليلِها العَرَبُ

ولاّدة (المنى): ما الذي أَعدَدْتِ

أبو الحسين (مدركاً ما جال بخاطر ولاّدة يصفق بيديه مقاطعاً):

يـــا بُـــشْـــرى لـــنـــا، (تـبـتـسـم ولاّدة)

ولاّدة: مـن جـمـيـلِ الـقـول مـن حُـلْـوِ الـنَّـغَـمْ

فـانْـشُـدي فـالـكـونُ يَـشْـدو بـالـمُـنـى

وابــعــثــي الألــحــانَ مــن عُــود وفَــم

(يؤتى لها بعود وتصدح الموسيقى من خلف الستار مصاحبة ثم تندفع منى مغنية)

الـغـنـاء: أيـهـا الـسَّـاقـي أَدِرْ كـأسَ الـنّـدامـى

واسـقِـنـا مـن ثـغـرِكَ الـحُـلـوِ الـمُـدَامـا

(أصوات استحسان)

نـحـنُ بـالـحبّ سُـكـارى، مـا أَفَـقْـنـا،

فـلـنـقـضّـي الـعـمـرَ يـا صـحـبي هَـيَـامـى

هـاتِ راحَ الـحـبّ أنـفـاسَ الـعـذارى

هـات نـفـحَ الـصـبـحِ مـن رَيَّـا الـخُـزَامـى

يـا نَـدامـى نـهـنـهـوا كـأسـي وغَـنُّـوا

وامـلأُوا الـدنـيـا نـشـيـداً يـا نَـدَامـى

(أصوات استحسان)

إنــمــا أعــمــارُنــا يــومٌ مــضــيءٌ

إنْ تـغـبْ شـمـسُ الـهـوى أَمْـسـتْ ظـلامـا

(تنتهي من غنائها بين عاصفة من التصفيق والاستحسان)

أبـو الـحـسـيـن: جـمـيـلٌ هُـوَ الـنَّـغَـمْ وفــنٌّ بــه ارتَـــســـمْ

سعد (إلى مالك): منى أَبْدعتْ.

مـالـك: مِـزمـارُ داودَ صـوتـهـا،

بـشـر: «وزريـاب»[1] لـحـنـاً

ورد: «وابـن زيـدونَ» فـي الـشـعـرِ

(تضطرب ولاّدة عند ذكر ابن زيدون)

ولاّدة (إلـى مـنـى): أشـعـرُكِ هـذا يـا «مـنـى»؟

مـنـى: لـيـسَ مـن شـعـري

ولاّدة (بـألـم): فـهـمـتُ (لـنـفـسـهـا)

أجـلْ يـا لـيـت أنِّـيَ لـم أدر

أبو الحسين: (وقد هاجه السامر وهزه طرباً. يقول مخاطباً ولاّدة).

مـولاتـي اعـتـادتْ تُـتـحـفـنـا مـن روض الأنـس فـتُـبـهـجُـنَـا

فـتـزيـنُ الـفـرحـةُ سـامـرَنـا وتـهـزُّ الـمـلـحـةُ مـجـلـسَـنَـا

مولاتي الطُّرفةَ مولاتي

الجميع: مولاتي الطُّرفةَ مولاتي

---

(١) من أشهر المغنيين في الأندلس.

المشهد الثالث

ولاّدة (تصفق فيأتي رباح):

هــل راقــصــاتُ «بـلـنـسـيَـه»

رباح (مقاطعاً من فرحه): بـــالـــبـــابِ يـــا مـــولاتـــيَـــهْ

ولاّدة : فــلــيــدخُــلــنَ وكــن عــلــى كَــثْــب لــتــســمــعَ أمــرِيَــهْ

(يذهب. ولاّدة تداعب أبا الحسين أحمد بن سراج)

هـل تَـرقـصـنَّ «أبـا الـحـسـيـن» وتـــنـــعـــمـــنّ بـــرقـــصـــهـــنَّ

أبو الحسين (مازحاً): لأُسبحنَّ بحمدهِنَّ وألـــهـــجـــنَّ بـــشـــكـــرِهـــنَّ

ولاّدة (تشير إلى منى وهي تعلم ما بينهما من مودة)

أمـا «مـنـى» (تـبـتـسـم ولاّدة)

أبـو الـحـسـيـن: فـسـتـغـفـرنَّ إذا دُفـــنـــتُ بـــقـــربـــهـــنَّ

(ضحك من السامرين)

منى: (بألم المجروح): أرجو لكَ السعدَ العظيمَ ومـــا تُـــحِـــبُّ بـــوصـــلـــهـــنَّ

أبو الحسين (مستدركاَ تماديه)

الـلَّـعـنـةُ الـكـبـرى عـلَـيّ إذا شُـــغِـــلْـــتُ بـــحُـــبِّـــهِـــنَّ

(ضحك من السمار وولاّدة)

عَـفْـواً مَـزَحْـتُ ولَـمْ يَـكُـنْ قَـصـدي أسـيـىءُ بـمـزحِـهـنَّ

(يدخل الراقصون والراقصات ويحيون بإحناء الرأس. تصدح الموسيقى الراقصة من خلف الستار. ويبدأ الرقص الأندلسي القديم. وبعد انتهائه يخرج من بينهم راقص يغني المقطوعة التالية وتعزف الموسيقى مصاحبة غناءه والراقصون والراقصات يتمايلون على نغم الإيقاع).

الراقص الشادي (يغني)

فـــي ضـــيـــاءِ الـــقـــمـــرْ　　فـــي هـــدوء الـــسّـــحَـــرْ
مـــا أُحـــيـــلَـــى الـــسَّـــهَـــرْ

وشـــعـــاعٌ مـــن عـــيـــونِـــكْ　　ودلالٌ مـــن فُـــتـــونِـــكْ
وحـــديـــثٌ مـــن فُـــنُـــونِـــكْ

فـــيـــه نـــفـــحُ الـــزَّهَـــرْ　　وابـــتـــســـامُ الـــخَـــفَـــرْ
مـــا ألـــذَّ الـــسَّـــمَـــرْ

يا حبيبي: يا حبيبي: يا حبيبي:

(استحسان من السمار)

يـــا نـــســـيـــمَ الـــسَّـــحَـــرْ　　يـــا حـــنـــيـــنَ الـــوَتَـــرْ
هـــل حـــبـــيـــبـــي غَـــدَرْ؟

يـــا طـــيـــورُ غـــرّدي　　يـــا ريـــاضُ رَدِّدِي
يـــا دمـــوعُ أيّـــدي

أيـــنَ أيـــنَ الـــمـــفـــرّ　　هـــل لِـــقـــلْـــبـــي مَـــقـــرّ
فـــي فَـــيـــافـــي الـــقَـــدَرْ

يا حبيبي: يا حبيبي: يا حبيبي:

(استحسان من السمار)

أنـــــــت بـــــــدرٌ بَـــــــدَرْ أنـــــت صـــــبـــــحٌ بَـــــهَـــــرْ
أنـــت دنـــيـــا الـــعِـــبَـــرْ

أنـــتَ سِـــرُّ حـــيـــاتـــي ضُـــمَّـــنـــي قَـــبْـــلَ وَفَـــاتِـــي
يـــا حـــيـــاتـــي ومَـــمـــاتـــي

هـــل يـــطـــولُ الـــسَّـــفَـــرْ فـــي طـــريـــقِ الـــكَـــدَرْ
أم هَـــنـــائـــي حَـــضَـــرْ

يا حبيبي: يا حبيبي: يا حبيبي:

(استحسان وتصفيق)

(وبعد أن ينتهي من غنائه. تخرج راقصة من الراقصات مجيبة عن هذه العواطف. تندفع مغنية والموسيقى مصاحبة والراقصات والراقصون أيضاً).

الراقصة الشادية (تغني):

أيُّـهـا الـحَـادي بِـصَـحْـراءِ الـهَـوَى
إنَّ فـي قَـلْـبـي بِـمـا تَـشْـدو هَـوَى
فَـجـرُهُ ذَرَّ عـلـيـنـا وسَـقَـى
طـلُّـهُ عـهـدَ صِـبـانـا وَروَى
لا تـقـلْ إنـي تَـنـاسـيـتُ الـهَـوَى
أيُّ صَـبٍّ بـالـهـوى مِـثْـلـي اكْـتَـوَى

(استحسان)

كـم شكـوتُ الـحـبَّ في سِرِّ الـدُّجـى
واحـتـسـيـتُ الـدَّمـعَ مـن حَـرِّ الـنَّـوَى

أنــتَ إنْ غَــرَّدْتَ بــالــحــبِّ شَــدَتْ
أمّـــةٌ بـــالـــحُـــبِّ والـــكـــونُ دَوى
أَنْــتَ إنْ نُــحْــتَ بَــكَــيْــنَــا حَــسْــرَةً
وبَــكــى الــطَّــيــرُ عــلــى عَــهــدِ الــهَــوَى
أيُّــهــا الــشَّــادي تــلــمَّــسْ حَــالَــتــي
واشــكُ مــن نــفــسِــك لا نَــفْــســي الــجَــوى
(استحسان)

(يقترب الشادي منها في حال تضرع. وما إن انتهت من غنائها حتى بدأ هو تصاحبه الموسيقى).

اصــفَــحــي يــا مُــنْــيَــتــي عــنِّــي فــقــد
غــشَّــنــي الــوَاشِــي فَــصــدَّقْــتُ الــلَّــوَى
غَــيْــرَةٌ جــارتْ عــلــى قَــلــبــي فــلــم
يَــقْــوَ يــا عــيــنــيَّ واســتَــعْــصــى الــدَّوَا

(يضع يده على كتفها ويأخذها إليه ثم يمشيان وهو يغني)

تــعــالَــيْ نُــشْــهِــدِ الــبــدرَ لِــقــانــا
تــعــالَــيْ نُــسْــمِــعِ الــنَّــجْــمَ هَــوَانــا
(أصوات استحسان)

نــداءُ الــحــبِّ لــلــحُــبِّ دَعــانــا
فــهــيَّــا نَــحْــتَــســي مِــنْــهُ هَــنَــانــا

(يغنيان معاً): في ضياءِ القَمَرْ في هُدُوءِ السَّحَرْ ما أُحيلى القُبَلْ
يا حبيبي: يا حبيبي: يا حبيبي:

(يقبلها على دويّ التصفيق واستحسان السامرين)

ولاّدة: «رباحُ»:

رباح: مَوْلاتي

ولاّدة: أمَـــرْنـــا بـــألـــفِ ديـــنـــارِ لَـــهـــنَّ

الشادية: شكراً لمولاتي الأَميرَهْ

الـــشـــادي: شـكـراً لـسـيِّـدةِ الـجـزيـرَهْ

سعد (باستغراب): ألفُ دينارٍ؟

بـــشـــر: أجَـــلْ

مـالـك (مـنـدهـشـاً): ألـفُ ديـنـار؟

ورد: نَـــعَـــمْ

أبو الحسين (إلى منى): ما أُحَيْلاَهُ غِنَا

مـــنـــى: مـا أُحَـيْـلاَهُ نَـغَـمْ

(يبدأ السامرون في الانفضاض)

أبو الحسين (إلى ولاّدة): بحفظِ اللَّهِ مَوْلاتي

مـنـى: وفـي لَـيْـلِ الـمَـسَـرَّاتِ

مـالـك: جَـعَـلَ الـلَّـهُ عَـهْـدَكِ الـفَـرْدَ عِـيـداً

بـشـر: ولَـيَـالِـيـكِ فـي الـزَّمـانِ فَـريـدَه

(ينصرف السمار ولا تبقى إلا ولاّدة وحدها)

ولاّدة (وقد هاج السامر ذكرياتها تقوم من مقعدها وتمشي في الصالة جيئة وذهاباً وهي تقول):

حُـبِّـي كَـحُـبِّ الـشـاديـهْ يـحـلـو لـهُ تَـعـذيـبـيَـهْ
هـجـرٌ وشـوقٌ فـي الـحـشـا أَوَّاهُ مَـن أَضْـنـانِـيَـهْ
يَدْري عظيمَ عَنَائِيْهْ

أَيـنَ يـا «لَـيـلـى» حـبـيـبـي؟ طـالَ بُـعـدِي ونَـحِـيـبـي
(تمسح دموعها)

مَـن لـقـلـبـي مِـنْ وَجِـيـبـي مَـنْ لِـجـسـمـي مـن شُـحُـوبـي
يا حبيبي: يا حبيبي:

هـل نَـلْـتَـقِـي يـا غَـانِـيَـهْ بـعـد الـقَـطِـيـعـةِ ثـانِـيَـهْ
والـقـلـبُ يَـهـتِـفُ عَـالـيـا إنَّ الـزمـان صَـفَـا لِـيَـهْ
وارتحتُ بعدَ شَقَائِيَهْ

إِيـهِ يـا «لـيـلـى» أَجـيـبـي بِـتُّ فـي هَـمٍّ عـصـيـبِ
مِـنْ هَـوىً يُـذكـي لـهـيـبـي يـا لَـبُـؤْسـي مِـنْ نَـصِـيـبـي
يا حبيبي: يا حبيبي

المشهد الرابع

(يدخل مسك مسترقاً خطاه)

مسك: مَوْلاتي:

ولاّدة: (وقد ساءها حضوره):

«مـــســـكُ» ومـــا تَـــبْـــغـــي؟

مـسـك: الـعـفـوَ الـعـفـوَ...

ولاّدة: وما الـذَّنْـبُ!

مسك: لا ذنبَ

ولاّدة: تكلَّمْ

مسك: مَوْلاتي الـعـفـوَ لِـمَـنْ يَـهْـوى الـقَـلْـبُ

ولاّدة (بحنق صارخ): «سليمى»،

مـــســـك: أجـــلْ

ولاّدة: تَـبًّـا لَـهـا «ولِـفَـارِهـا»

فـمـا أضْـمـرا إلاَّ الـوقَـيـعـةَ والـخَـتْـلاَ

أَأَعـفُـو عـنِ الـجُـرمِ الـفـظـيـعِ لَـبُـعْـدَمَـا

طَـلَـبـت؟

مســـــك: ولـكـنْ حِـلْـمُ سـيِّـدتـي

ولاّدة (بشدة): كـــلاًّ

مسك (مندفعاً اندفاع المحب):

إذا لـم تُـقِـيـلـي أَنْـتِ زَلَّـةَ عَـاثِـرٍ
فما الفَرْقُ بين العَبْدِ في العَفْوِ والمَوْلَى

* * *

ولاّدة (هادئة بعض الهدوء):

ولَـكِـنَّـهـا خـانـتْ حـنـانـاً غَـمَـرْتُـهـا
بِـنَـعْـمـائـه واسْـتَـهْـدَفَـتْ عَـمَـلاً نَـذْلاَ
فَـمِـن أجـل مَـنْ نَـمَّـتْ؟ أَلَـيْـسَ لِـغَـادرٍ
أطـاحَـتْ بِـبُـرْدِ الـعَـطْـفِ في لَـيْـلـةٍ لَـيْـلاَ

مـسـك: لَـقَـدْ نَـدِمـتْ والـحـزنُ سـادَ حـيَـاتـهَـا
وريـعـتْ بـهِ والـخـطْـبُ سـيِّـدتـي جَـلاًّ
فـإنْ تَـغْـفِـرِي فـالـصَّـفْـحُ فـيـكِ سَـجِـيَّـةٌ
ومَـنْ كَـسُـلِـيْـمـى مـنـكِ بـالـعـفْـوِ ذا أَوْلَـى

ولاّدة (بهدوء الحليم): عَفَوتُ عنها لأجْلِكْ

مسك (بفرح جنوني. يجثو عند قدميها): فديْتُ نَفْسي لنُبْلِكْ
لـرفْـعـةِ الـخُـلْـق وَأَصْـلـكْ

(ثم يقوم بعد أن تربت على كتفيه ويقول)

أَتأذَنينَ لها أَنْ تَدْخلَ الدَّارا؟

ولاّدة: (بابتسامة مريرة): أجــل أَذِنْــتُ لِـمَــنْ شَـبَّـتْ بـه الـنّـارا
وَفـرَّقـتْ بَـيْـنَـنـا مِـنْ غَـيـرِ مـا سَـبَـب
وخَـانَـتِ الـعـهـدَ والـمـعـروفَ والـجَـارا

مسك: لقدْ عَفوْتِ

ولاّدة: بَـلـى، فـاذْهَـبْ لـتُـبـلِـغَـهـا
فَـقـد طَـوى الـلّـيـلُ خِـلاَّنـاً وسُـمَّـارا

* * *

(يذهب. ولاّدة وحدها متألمة تمشي ذهاباً وإياباً)

ولاّدة: مـا بـالُ صـدريَ هـذَا الـلّـيـلَ مُـنْـقَـبِـضـاً
والـيـأسُ يَـزْحَـمُ آمـالاً وأَفْـكـارا
ولِـلـفَـجِـيـعـةِ تَـرديـدٌ وأحـسِـبُـنـي
سـأُنْـفِـقُ الـعُـمـرَ أَحـزانـاً وأكْـدارا
لا مُـلـكَ فـي ظـلـهِ ذُقـتُ الـنَّـعـيـم ولا
قـلْـبـي بِـمـن يَـبْـتـغـي قـد نـال أَوْطـارا
فَـقَـدْ أَبـى الْـقَـوْمُ إلاَّ فَـتْـكـةً بِـأَبـي
وَلِـي الـشَّـقـا والـخـنـا والـخـزيَ والـعـارا
سـيَـعْـلَـمـون بِـأَنّـي لـسـتُ نـائـمـةً
وأَنَّ مَـوْتُـورةً لـن تَـتْـرُكَ الـثَّـارا

* * *

(تدخل سليمى ومسك والأولى مطرقة رأسها ندماً وخجلاً)

ولاّدة: أقْبِلِي قد نسيتُ

سـلـيـمـى: رُحْـمَـاكِ عـفـواً
ولاّدة: قـد عَـفـونـا وقـد نَـسِـيـنـا الـذُّنـوبـا
هـلْ تَـرامـى عـنِ «ابـن زيـدونَ» عِـلـمٌ
بـعـد مـا صَـدَّقَ الـلـئـيـمَ الـكَـذُوبـا

أَيُّ أَرضٍ حَوَتْهُ أيُّ سَمَاءٍ
ظَلَّلَته وهل تَنَاءى دُرُوبا
لَجَّ بِي الشكُّ يا «سُلَيْمى» أَنيري
ظُلْمَةَ الشَّكِّ أَطلعِيني الغُيُوبا

سليمى: كلُّ شيءٍ علمتُه اليومَ عنه
أَنه أَزمَعَ الرحيلَ جنُوبا
هَجَرَ المنصِبَ الرَّفيعَ منَ الحز
ن وأَمسى من الفُراق كَئِيبا
هَدَّهُ الحُزنُ لا يُرى غيرَ باكٍ
ذارفاً دمعَهُ سَخِيناً صَبِيبا

ولاّدة (بتلهف وحزن):
أَيُّ مَلْكٍ من الطَّوائفِ وَلَّى
شَطَرَه يَبْتغي الجَنَابَ الرَّحيبا

سليمى: لستُ أَدري لأيِّهم سارَ، لكِنْ
رُبَّما أَجَّلَ الرَّحيلَ قَريبا

مسك: هلْ تجلَّت له الحقيقةُ

سليمى: كَلاَّ،
قد تلَقى العشيَّ أَمْراً عَجِيبَا

ولاَّدة (متلهفة): ما هُوَ الأَمْرُ يا «سُليمى» أَبِيني
إِنَّ في باطنِ الرَّمادِ لَهيبا

سليمى: قد دعاهُ «أَبو الوليد» إِلَيهِ[1]
إِنَّ في الأمْرِ...

---

(١) هو الوليد بن أبي الحزم بن جهور. ولي أمارة قرطبة بعد وفاة أبيه.

ولاّدة (منزعجة): قــد فَــهــمــتُ...

ســـلـــيـــمـــى: خُــطُــوبــا

ولاّدة: مـــؤامـــرةٌ تُـــدبَّـــرُ مـــن جَـــديـــدٍ

لِـــتُـــوديَ بـــا «بـــن زيـــدون» قَـــرِيـــبـــا

سَـيُـسْـجَـنُ لا مَـحَـالـةَ، إنَّ صَـدْري

أَراهُ الـــلَّـــيـــلَ مُـــنْـــقَـــبِـــضـــاً كـــئِـــيـــبـــا

سليمى: فديتُكِ هَوِّني،

ولاّدة: ما الخَطبُ سهلٌ

عَـلَـيَّ فـقـد بَـدَا خَـطْـبـاً عـصـيـبـا

(متأثرة): تَـكـاثـرتِ الـعُـدَاة عـلـى حَـبـيـبـي

وفَـوَّقَ كـلُّـهـمْ سـهـمـاً مُـصـيـبـا

سـلـيـمـى: حَـنـانَـكِ رَوِّحـي هَـمًّـا مُـنـيـخـاً

عَـسـى أنْ يَـفْـرِجَ الـلَّـهُ الـكُـرُوبـا

المشهد الخامس

(تدخل ليلى ويبدو عليها العبوس إذ تشاهد سليمى)

ولاّدة : (بفرح وتلهف):

«ليلى» : أَتيتِ وفي الهَزيع الآخِرِ
ما جدَّ قُولي نَفّسي عَنْ خاطِري

ليلى: هل تَأذنين بخَلْوَةٍ

(ينسحب مسك وسليمى)

ولاّدة (لهما): لا تُبْعِدا
عنّي فقد أَحْتاجُ عينَ الساهرِ

ليلى (منفعلة): أوَ تَعْطِفين على مُسَبِّبةٍ الأذى
أَوَ تُشفِقِينَ على الخليعِ السادِرِ

ولاّدة: قد جاء «مسكُ» بِشَأنِها مُسْتَسْمِحاً
فَعَفَوْتُ عنها

ليلى: يا لَقَلْبٍ طاهرِ

ولاّدة: والآنَ يا «ليلى» ونحنُ بِخَلْوَةٍ
هاتِ الحديثَ عن الحبيبِ الهاجِرِ

* * *

ليلى: طَفِقْتُ أَبحثُ في أحياءِ «قُرطَبةٍ»

عنهُ فَقيلَ نأى بل شطَّتِ الدارُ

وفارقَ الأهلَ والخِلاّنَ وانقطعتْ

أخبارُه وبكى مَغْناه سُمَّارُ

إلى الجنوبِ مشى في زَيٍّ مُغْتَرِبٍ

طَوتْهُ بيدٌ وكُثْبانٌ وأَمْصَارُ

وليسَ من مُخْبِرٍ أيَّ البلادِ أَتى

وأيَّ دارٍ بها أَلقاهُ تَسْيارُ

فرُحْتُ حَيْرى يكادُ الهمُّ يَعْصِفُ بي

واليأس محتدمٌ طوراً ومُنْهارُ

وإذْ «بصبحٍ» يناديني قِفي، فمعي

عن «ابن زيدونَ» يا ليلايَ أخبارُ

ليلى: فأشرقَ الأملُ المخنوقُ في رِيبَي

ولاّدة (مقاطعة): قُولي فكُلِّي أسماعٌ وأبصارُ

ليلى: قال «ابنُ زيدونَ» لم تفقِدْهُ «قُرطبةٌ»

(يبدو الارتياح على ولاّدة)

هيَّا إليه فإنَّ الليلَ سَتَّارُ

سِرْنا إليه فأَلْقيناهُ مُنْتَحِباً

والدَّمعُ من مُقلتيه ثَمَّ مِدْرَارُ

ولاّدة (تبكي): وارْحمتَاه لهُ:

ليلى: لا تَبكِ سيِّدتي

الحزنُ زالَ وزالتْ عنه أَكْدَارُ

ولاّدة: أين «ابنُ زيدونَ؟»

ليلى: خَلْفَ الباب مُنْتَظِرٌ
إذنَ الـدخـول

ولاّدة: لِـيَـدْخـلْ عِـنْـدِيَ الآنـا

(تفتح ليلى الباب فيدخل ابن زيدون فتتلقاه ولاّدة فيصافحها ويمشيان ويده في يدها. تذهب ليلى. تقول ولاّدة).

أهـلاً بـمـن فَـرَّ مِـنَّـا ثُـم خـلَّـفـنـا
نَـهْـبَ الـهـوى صبحُنا لـيـلٌ ومُـمْـسَـانـا
نُـكـابِـدُ الـشـوقَ والـهُـجْـرَانُ يَـلْـفَـحُـنَـا
أُوَارُهُ وسُـهـادُ الـلَّـيـلِ أَضْـنَـانَـا
أُنُـوءُ مـن حِـمْـلِ مـا أَلـقـى ومـن عَـجَـبٍ
قـلـبٌ يـذوبُ وقَـلـبٌ قـلـمَّـا (الْـتَـانـا)
أَبَـى هـوًى كُـلَّـمـا حـاولـتُ أَكْـتـمُـهُ
أَبـى الـتـكـتـمَ واسـتَـعْـصـى ومـا لاَنـا؟!

ابـن زيـدون: قَـسَـمـاً بـالـهـوى بِـسِـحْـرِ لِـحـاظٍ
بـخُـدُودٍ صَـبَـغـتُـهـا مـن جِـراحـي
مـا سَـلَـوتُ الـهـوى وحَـسْـبـي وفـاءً
إنْ صـحـا الـعـاشـقـونَ لَـسـتُ بِـصـاحِ

ولاّدة: هـل قُـلـتَ شعـراً جـديـداً بـعـد فـرقَـتِـنـا؟

ابن زيدون: بـلـى، لـقـدْ قـلـتُ أَشـكـو مـا أُعـانـيـهِ

ولاّدة: قُـلْـهُ بـربِّـك إنـي جِـدُّ مُـصـغـيـةٍ
فـشـعـرُكَ الـعـذبُ تَـسـبـيـنـي مَـعَـانـيـهِ

* * *

ابن زيدون: (ينشد وولاّدة مصغية ووجهها يعبر عن كل معنى في هذه القصيدة)

يـا نـائـحـاً وسَـوادُ الـلَّـيـلِ يُـخـفـيـهِ
وهـائـمـاً وبـيـاضُ الـصُّـبـح يُـفْـشـيـهِ
يَـسْـتـمـطِرُ الـدَّمْع من بَـرْحِ الـفـراقِ فلا
دمـعٌ يُـهَـدْهِـدُ آلامَ الـهـوى فِـيـهِ
حـيـرانُ فـي مَـهْـمَـهِ الأَقـدارِ تـقـذِفُـهُ
بـيـدٌ وبـيـدٌ مـن الأَشـجـانِ تَـطْـويـهِ
لـم تُـبْـقِ فـيـهِ تـبـاريـحُ الـنَّـوى رَمَـقـاً
إلاَّ شُـعـاعـاً مـن الـذِّكْـرى يُـنـاجـيـهِ
ذِكْـرى حـبـيـبٍ سَـقـاهُ الـكـأْسَ مُـتْـرعـةً
مـن خـالـص الـوُدِّ مُـنْـسـابـاً عـلـى فِـيـهِ
بـيـنَ الـخـمـائـلِ والأنـسـامُ تُـسِـكـرُهُ
بـيـنَ الـجـداولِ والأَمـواهُ تُـشْـجِـيـهِ
ووارفٍ مـن نـعـيـمِ الـوَصْـلِ لَـفَّـهـمـا
فـي غـفـوةِ الـدَهـرِ في أحـلـى مـجَـالـيـهِ
وزَوْرَقٍ عَـلَـويِّ الـصُّـنـعِ ضـمَّـهـمـا
الـحُـبُّ فـي ركـبـهِ والـمـوجُ حـاديـهِ
يَـنْـسَـابُ فـوقَ لُـجيْـنِ الـماءِ تُـرْقِـصُـهُ
أنـغـامُـهُ ونُـسَـيْـمـاتٌ تُـنـاغـيـهِ
في هـدأةِ اللَّيـلِ والـبدرُ الـرقـيبُ سَرَى
بـالـسِـرّ يَـفْـضَـحُ خـافـيـهِ وبـاديـهِ
دُنْـيـا مـن الأمـلِ الـمَـنْـشـود حـطَّـمَـهـا
صَـحْـوُ الـزّمـانِ وغـدرٌ مـن لَـيَـالِـيـهِ

يـا هـاجِـري لـفـتـةً أرسـلْـتـهـا فَـذكـتْ
عـهـداً تَـنـوَّرتِ الـدُّنـيـا بـمـاضـيـهِ
أَتُـرْجِـعُ الـلّـفـتـةُ الـبـيـضـاءُ مـا دَرَسَـتْ
أَيـدي الـزَّمـانِ ومـا كـادتْ حَـوَاشـيـه
أم أَنـهـا ظـلُّ أفـراحٍ يـمـرُّ عـلـى
عُـمْـري كـظـلِّ سـحـابٍ مَـرَّ بـالـتـيـهِ

(وما إن انتهى من غنائه حتى صفقت ولاّدة من فرحها وطربها وفي أثناء ذلك يسمعان طرقاً على الباب).

ولاّدة: أُدخل (تدخل ليلى وصبح مضطربين وما إن تراهما ولاّدة حتى تقول):

أ «صـبـحُ» و «لـيـلـى» مـا وراءكـمـا؟

صـبـح: رُسـلُ «ابـن جَـهْـورَ»

ولاّدة: أَغـيـارٌ وأَشْـرَارُ

(يقتحم رسل ابن جهور الباب ويدخلون فتبادرهم ولاّدة قائلة):

بـأيّ حـقٍّ دَخَـلْـتـم؟

أحـد الـرسـل: إنّـنـا رُسُـلٌ

مـن «ابـن جَـهْـوَرَ»

ولاّدة: غَـدَّارٌ ومَـكـارُ

ما تَبْتَغونَ؟

ابـن زيـدون: أَنـا، لا شَـكَّ مَـطْـلَـبُـهـمْ
هـيَّـا إلـيـهِ نَـسِـرْ والـلَّـهُ سَـتَّـارُ

ولاّدة: (تسرّ إلى صبح)

اِلْحَقْ بِهِ «صُبْحُ» عن بُعْدٍ لتُبْلِغَنِي
مَجْرى الأمورِ فعندَ القومِ أَسْرَارُ
فالشرُّ مُسْتَيْقِظٌ والدَّسُّ مُنْتَشِرُ
والظُّلْمُ شَاعَ وما في النَّاسِ أَخْيَارُ

(ثم تسرّ إلى ابن زيدون)

حَذَارِ مِنْ كَيْدِهِم

ابن زيدون: اللَّهُ يحفظُنا
مِنْ شَرِّهِم وَيقِينَاً عُصْبَةً جَارُوا

(يذهب ابن زيدون مع الرسل ويتبعه صبح وبعد ذهابهم تقول ليلى)

ليلى: خيراً فعلتِ

ولاّدة: إلهي نجِّهِ فلَقَدْ
حُمَّ القَضاءُ وسادَ الناسَ جَبّارُ

(تتهاوى على أحد المقاعد باكية وبينما هي كذلك وليلى مطرقة أسفاً وحزناً يسمعان آذان الصبح وما إن انتهى المؤذن من آذانه حتى دخل صبح فلما رأته خاطبته ولاّدة بلهفة):

ولاّدة: أَين «ابن زيدون»؟

صبح: مَوْلاتي.

ولاّدة: أَمِنْ خَبرٍ عنهُ؟
أَفي السِّجنِ؟ أم في سامرِ الصّيدِ؟

صبح (مضطرباً): عفواً

ولاّدة: تــكــلَّــمْ فــإنــي جــدُّ مــوقــنــةٍ
أنَّ «ابـن زيـدونَ» رَهـنُ الـسـجـنِ والـقَـيـدِ

(يغلبها البكاء)

صبح (بتأثر): هِيَ الحقيقةُ أُزجيها وَبِي أَسفٌ

ولاّدة (وقد ترنحت من هول الصدمة):
وَيْــلاهُ مِــنْ ظــالــمٍ قــاسٍ ومــرِّيــدِ

(يغمى عليها فتسقط فتتلقاها ليلى قبل سقوطها وتصرخ)

ليلى: إليَّ «صُبحُ: سُليمى: مسك» نُسْعفها
يـا وَيْـحـهـمْ رَوَّعـوا بـنْـتَ الـصَّـنـاديـد

(تدخل سليمى ومسك مسرعين)

سليمى: (وقد هالها وأحزنها هذا المنظر المؤلم الذي كانت هي سببه. تلتفت إلى النظارة وهي تقول):
ويـلِـي جَـنَـيْـتُ ولـكـنِّـي سـأُنـقـذُهُ
مـن ظُـلـمـةِ الـسـجـنِ مـن أيَّـامـهِ الـسُّـودِ
نَـحْـنُ الـنـسـاءَ مـتـى ثُـرنـا لـعِـزَّتِـنـا
نُـلْـقـي بـمـنْ يَـعـتَـدي بَـطـنَ الأخـاديـدِ
فـإنْ أردْنـا انـتـقـامـاً يـا لَـنِـقْـمـتِـنـا
وإنْ وَعَـدْنـا فـيـا حُـسـنَ الـمـواعـيـدِ

(ستار)

الفصل الثالث

وفيه خمسة مشاهد

أشخاصه

ولاّدة	الخطيب
سليمى	ابن زيدون
ليلى	صبح
مسك	الحارسان

وآخرون

المشهد الأول

المكان:

دار «سليمى». نرى «ولاّدة»، «ليلى»، «سليمى»، يتآمرن لإخراج «ابن زيدون» من السجن.

الزمان:

بعد العِشاء وقد أُنيرت الدار بنور خافت.

ولاّدة: «سُليمى»: ما الذي تَنوينَ فعلَهْ
بمجنونِ «ابن جَهْوَرَ» فهو أَبلَهْ
سليمى: أَتعنينَ «الخَطيبَ»؟
ولاّدة: نعم «سُليمى».
سليمى: فديتُكِ سوف أَشْفي منه غُلَّه
أُكَفِّرُ عن ذنوبٍ طيَّ صَدْري
لها وخزٌ لها ألمٌ وعِلَّهْ
ولاّدة: أَيَسْتطِيعُ الغبيُّ قضاءَ أمرٍ
بهِ خطرٌ لَعمري ليس أهلَهْ؟
ليلى: وإنَّ أباهُ مولاتي حريصٌ
خبيثٌ قد تلقَّن كلَّ حِيلَهْ

تَــفَــتَّــقَ عــن دهــاءٍ مــنــه ذُقْـنــا
فــواجــعَ حَــطَّــمَــتْ مَــلــكــاً ودَوْلَــهْ

(تتنهد ولاّدة)

سليمى (معتدة بنفسها):
«الـخـطـيـبُ ابـنُ جَـهْـورٍ» زِقُّ خـمـرٍ
عــبــدُ فُــحْــشٍ وزيــرُ غــيــدٍ وســامِــرْ
أكــــؤُسُ الــــرَّاحِ هـــمُّـــهُ

ولاّدة: بــــئــــس هـــمٌّ
يـجـعـلُ الـمـرءَ بـالـمـعـاصـي يُـجـاهِـرْ
سـلـيـمـى: أَنْ يَـطُـلْ شُـرْبُـه وكـم طـالَ لـيـلاً
فــادعُ لــلــرُّشــدِ قــدْ ثَــوَتْــه الــمَــقَــابِــرْ
عِـنـدهـا يـركـبُ الـمُـحـالَ ويـمـضـي
مـثـلَ سـيـلٍ عـلـى الـبـطـائـحِ جَـائِـرْ
أَوْ كَـطِـفْـلٍ تَـلَـمَّـسَ الـنـارَ لاَ يـدْ
ري وفـي الـجَـوفِ كـامـنـاتُ الـمـجـامِـرْ

* * *

ولاّدة: هــلِ الــتَــقَــيــتِ بــهِ مــن قــبــلُ؟

سليمى: سيِّدتي، قدِ اجْتمعتُ بهِ في الدارِ مرّاتِ
و «مسكُ» ما بيننا والكأس ثالثُنا
وَإنَّــهُ الــلــيــلَ مــولاتــي لــنــا آتِ
ولاّدة: وهـل تـحَـدَّثـتُـمـا فـي أمـرِ شـاعـرِنـا؟
سليمى: أَجـلْ لـقـد وعـدَ الـمـجـنـون مـولاتِـي

ولاّدة (بتلهف): وما هُو الوعدُ؟ إني جدُّ يائسةٍ
والـيـأسُ ضـاعـفَ أحْـزانـي وَوَيـلاتِـي
سُراةُ «قرطبةٍ» جاؤوا «ابنَ جهورَ» في
أمـرِ «ابـن زيـدونَ» مـا لـبَّى الـشـفـاعـاتِ
ولا استلان ولا استَحْيا وقد زحفتْ
لــهُ الــقــصــائــدُ آيــاتٍ فــآيــاتِ
سليمى: (محتدة): عفوُ «ابن جهورَ» لا نَبْغيه مولاتي
لا يُـرْتـجـى الـعـفـوُ مـن بـاغٍ ومِـنْ عـاتِ
الـمـالُ سـيِّـدتـي، الـمـالُ إنَّ بـهِ
سَـنَـشْـتـرِي مـتـولِّـي الـسـجـنِ بـالـذاتِ
والمُخْلِصُونَ لمولاتي وأُسرَتِها
ولاّدة (بألم وحزن): المخلِصُونَ!! طواهُم سِجنَ «صَرْوات»[1]
إذا «ابن جهورَ» لم يُطلقهُ، هل سُبُلٌ
أُخـــرى لـــديـــكِ؟
سـلـيـمـى: أجـلْ شَـتَّـى الـوسـيـلاتِ
يَفِرُّ من سِجْنه واللَّيْلُ معتكرٌ
إلــى «ابــن عــبَّــادَ»،
ليلى: (وقد واتتها الفكرة) يـا لَـلـرَّأيِ مـولاتـي
ولاّدة: (يائسة): كيفَ السبيلُ إلى الفِرا رِ وقـد غـدتْ فـيـه الـمـنـونْ
عينُ ابن جَهْورَ لا تنامُ وفـي الـسـجـون لـه عُـيـونْ
والـنـاسُ جَـفَّ وفـاؤُهـمْ إنـي بـهـم سِـئـتُ الـظـنـونْ

---

(١) اسم سجن في قرطبة.

سـلـيـمـى (مـواسـيـة): هـمٌّ يـزولُ إذا صَـبَـرْنـا والـخـطـوبُ غـداً تـهـونْ

ولاّدة (وقد واتتها فكرة طارئة):

رَأيٌ سـديـدٌ مـا رأيـتِ

سـلـيـمـى: ورأيُ مـولاتِـي الـرَّصِـيـنْ

مِـنـكِ اسـتَـقَـيْـتُ سَـدَادهُ

لـيـلـى: قُـولـي نُـطِـعْ مـا تَـأمُـرِيـن

ولاّدة (إلى سليمى): قُومِي بدورك «والخطيب»

سـلـيـمـى: وأنـتِ؟؟

ولاّدة: تـدبـيـرُ الـشـؤونْ

فـالـمُـخْـلـصـونَ سـيُـهـرَعُـون ويَـفْـتَـحـونَ لـنـا الـسُّـجـونْ

والـمـالُ مِـفْـتـاحُ الـقـلـو بِ ومُـخْـرجُ الـسـرِّ الـدَّفـيـنْ

(إلـى لـيـلـى): وقـتُ الـزيـارةِ قـد دنـا والـوقـتُ يـا «لـيـلـى» ثـمـيـنْ

هـيَّـا بِـنـا فـلـرَّبـمـا شفَّ «الـخطيـبَ» لـهـا الـحَنينْ

(يضحكان)

(يدخل مسك)

مسك (هازئاً): مجنونُ «سُليمى» بالبابِ!!

سليمى (لولاّدة): مولاتي! المَخْدعَ مولاتِي

(تذهب ولاّدة وليلى)

(إلى مسك): أَدْخِلْهُ وهَيىءْ خمرتَه ولْتَكُن السَّاقيَ بالذاتِ

مـــســـك : الـــلَّـــيــلـــةَ نـــســـقـــيـــه خـــمـــراً

سـلـيـمـى : والـلَّـيـلـةَ نَـقْـتُـلُـه سُـكْـرا

مسك (وهو ذاهب لفتح الباب)

لـــنْ يـــرجـــعَ بـــعـــدُ إلـــى داري

والـــســـرُّ ســـنَـــحْـــفَـــظُـــه سِـــرًّا

(ترتب سليمى الغرفة استعداداً لمجيء الضيف وتتطلع الفينة بعد الفينة إلى المخدع)

المشهد الثاني

(يدخل الخطيب بن جهور وهو شاب قبيح الصورة خليع الشكل والهيئة يحيي سليمى تحية الولهان ومسك يهز رأسه المليء بالفتك والغدر).

الخطيب: «سليمى» (يذهب مسك لإحضار الشراب)

سليمى: (متظاهرة بالحب) حبيبي:

الخطيب: جئتُ والشوقُ رائدي إليكِ وشوقُ العاشقين دليلُ

لقد خِفْتُ طولَ البُعد يُودي بمهجتي فأَسرعْتُ

سليمى: عِنْدي من هواكَ مَثيلُ

الخطيب: إذا زالَ شَكِّي

سليمى: (متظاهرة بالاهتمام):

أيُّ شكٍّ

الخطيب: بحبِّنا فما قلتِ مني الشكَّ سوف يُزيلُ

(يدخل مسك وبيده طبق عليه زجاجات الراح وتوابعه وعندما يرى الخطيب ذلك يسر ويقول مخاطباً سليمى):

أخـــمـــرٌ وســـاقٍ (يـرمقـه مسك شزراً)

أيـا فَـرْحـتـي،

وبـــدرٌ تـــأَلَّـــقَ فـــي كُـــوَّتـــي

حـديـثٌ وراحٌ هـمـا سَـلْـوتـي

فَـــلِـــمْ كـــلُّ ذلـــك يـــا مُـــنْـــيـــتَـــي

(يذهب مسك)

سـلـيـمـى: هـذهِ الـرّاحُ يـا حـبـيـبـي قُـبَـالَـكْ

فـاتـرعِ الـكـأسَ فـهـي شـاءَتْ وِصَـالَـكْ

والـملذّاتُ وقْتُها قد صفَا لكْ

(تصب الخمر في قدحه وتستعد لإسقائه)

الـخـطـيـب: هـاتِ دمعَ الـفـجـرِ أنـسـامَ الـسَّـحَـرْ

(تعطيه الكأس فيفرغها في جوفه)

هـــاتِ نـــفـــحَ الـــطِّـــيـــب أنـــفـــاسَ الـــزَّهَـــرْ

(تعطيه كأساً ثانية فيفرغها أيضاً)

هاتِ كأسَ الحبّ للصّبّ المعنَّى

(تملأ قدحاً وتعطيه إياه ويشمه ثم يلتفت إلى سليمى)

هـــاتِ حُـــلـــوَ الـــصّـــوتِ مـــن رقْـــصِ الـــوَتَـــرْ

سليمى (صارخة): هاتِ «يا مسكُ» (يدخل مسك)

الـخـطـيـب: وهَـذَا نَـخْـبُـه
إيـتِ بـالـعـودِ فـقـد طـابَ الـسَّـمَـرْ

(يذهب مسك لإحضار العود)

سليمى: سَمِعْنا أَطَعْنا

(تصب له قدحاً رابعاً يفرغه في جوفه ويقول)

الـخـطـيـب: شَـرِبْـنـا سَـكِـرْنـا
* * *

(تضحك سليمى وتظهر على الخطيب أمارات السكر. يدخل مسك والعود في يده يسلمه إلى سليمى ويصب للخطيب كأساً خامساً. ويأخذه الخطيب ويهزه ويقول).

الـخـطـيـب: غَـنِّـنـا لـحـنَ هـوانـا وانـشـدي عـهـدَ لِـقـانـا
إنَّـهُ الـحـبُّ دَعـانـا نَـحْـتَـسـي مـنـهُ مُـنـانـا
يا «سليمى»: يا «سليمى»

(تضحك سليمى ثم تندفع مغنية تصاحبها الأوركسترا من وراء الستار)
الغناء: سَقيتُ غرامي مِنْ دُموعي فما ارتَوى
وعـنَّـفْـتُ قَـلـبـيْ عـن هـواكَ فـمـا ارْعَـوَى
ومـا أنـا مِـمَّـنْ يَـدْمُـل الـهـجـرُ جُـرْحَـهُ
ويُـطـفـىءُ نُـورَ الـحُـبّ في نـفـسـهِ الـنَّـوَى

أُقِضّي اللَّيالي ساهراً داميَ الحشا
أقاسِي صُنوفَ البُؤْسِ والأينِ والجَوَى

الخطيب (وقد هاجه الطرب):

لِلَّهِ ما أعذبَ النَّغمْ والشَّاديَ الحلوَ الأَغَنْ

(يجرع كأساً)

الغناء: وحيداً طريداً لا سميرَ سوى الأسى
وقفرٍ من الآلامِ أطويهِ ما انْطَوَى
هو الحبُّ ما استَوْلى على قلبِ عاشقٍ
نَديِّ الهَوَى إلا بِهِ أوهَن القِوَى

(تنتهي من غنائها فيصفق الخطيب ويصرخ من شدة طربه وسكره)

الخطيب: آه مِنْ حبِّي ومِنْ وَيْلاَتِهِ
قَدْ سَقَاني المرَّ مِنْ كاسَاتِهِ
(يجرع كأساً)

سليمى: أَراكَ تَهْتِفُ جَذْلانَا

الخطيب (وقد أخذه السكر يتلوى في كلامه):
ونَشوانَا
وغارقاً في بحارٍ الحبِّ هَيْمانا
هَلاَّ مَنَنْتِ على الغَرْقان في لُجَج
بِقُبْلَةٍ يَحْتَسيها منك إحْسَانا

سليمى (وقد واتتها الفرصة):
إذا وفيتَ بوعدٍ كنتُ أرْقُبُهُ

(بإغراء وفتون)

أعـطـيـكَ مـا تَـشْـتَـهـي مـن ثَـغْـرِيَ الآنـا

وَإِنْ أَرَدْتَ (تتمادى في الإغراء)

فَـــصَــــدْرِي (تضرب عليه)

الخطيب: (يجن شهوة) ليتَ قبريَ في

رُمَّـانَـتَـيْـه ولـيَـتَ الـعُـمْـرَ مَـا كـانـا

(يقترب منها في حالة هياج بهيمي والكأس في يده)

إن شئتِ أطلقتُ ما في السْجنِ من بَشَرٍ

أو رُمْـتِ أَعْـدَمْـتُـهُـمْ جَـمْـعـاً وَوِحْـدَانـا

سليمى: أَنْتَ الـمُـوَكَّـــــلُ بالسُّجُونْ والآمـرُ الـنَّـاهـي الـمَـصُـونْ

وعــداً قَــطَـعْـتَ فـهـلْ تُـرى تُـوفِـيـهِ أَمْ تَـخْـشَـى الـعُـيُـونْ؟

الخطيب (وقد استفزه كلامها):

أَأَخْشَـى وَمَـنْ أَخْشَـى وَحُـبّكِ والـذي

أَمَـات وأَحْـيَـا لَـسْـتُ أَرْهَـبُ مَـاجِـدا

سَـيـأتـي «ابـنُ زَيْـدُونٍ»، ولـلـقـيـد رَنَّـةٌ

إلــيــكِ يَــجُــرُّ الــذُلَّ ثــوبــاً وشــاهِــداَ

سليمى: (تربت على كتفه فيأخذ يدها ويقبلها فلا تمانع)

سَـتَـشْـهَـدُ يـا حـبـيـبـي كـيـفَ أنـي

سَــأَثــأَرُ لـــلــكــرامــةِ مِــنْ خــؤونِ

سَيَشْهَدُ حُبَّنا لِيَمُوتَ غَيْظاً
وَيَصْعَقَ حَسْرَةً

الخطيب: يا لَلَّعِين

إلى بِقِرْطَاسٍ أُسَطِّرُ رُقْعَةً (تناوله طلبه)
إلى متولِّي السجنِ كَيْ يرسلَ الكلْبا

سليمى (بدلال مصطنع):
لِسانيَ يا روحي عنِ الشُّكْرِ عاجِزٌ
على أنَّ قلْبي يحفظُ الشُّكرَ والحبَّا

(وما إن فرغ من كتابة الرسالة حتى صفقت سليمى فدخل مسك وسلمه الخطيب الرسالة قائلاً).

الخطيب: إلى متولّي السجنِ سَلِّمْ رسالتي
وأَسْرِعْ كَلَمْحِ الطَّرْفِ أوْ عَاصِفٍ هَبَّا

(يذهب وتعطيه سليمى إشارة لها معناها)

(يلتفت الخطيب إلى سليمى)

وفيتُ بِوَعْدي أَوْفِ بوعْدِكِ مُنْيَتي (يجرع كأسه)

سليمى (متظاهرة بالعزم على الوفاء):
سَأُنْجِزُ وَعْدِى إنَّني أُشْهِدُ الرَّبَّا
الخطيب: إذْن غَنِّني لَحْنَ الخُلُودِ مُجَنَّحاً
لأُورِدَ نَفْسِي مِنْهُ مَنْهلَهَا العَذْبا

المشهد الثالث

الخطيب (يناول سليمى العود وقد كاد يقع من سكره فتأخذه منه):

غَـنِّ يـا سَـلْـمَـايَ غَـنّـي
إنَّ فـي الـعـود الأَغَـنِّ مُـنْـتَـهـى الـتـرْفِـيـهِ عَـنّـي
غَـنِّ يـا سَـلْـمَـايَ غَـنّـي

الغناء (يمليه عليها): تَعالي نَبُلّ الشَّوْقَ مِنَ خَمْرة اللَّمى
ونَـرْشُـفُ أَكْـوَابـاً مـن الـحُـبّ والـهَـنَـا
نَـضُـمُّ فُـؤَادَيْـنـا بِـنَـفْـحٍ مـن الـرِّضـا
ونَشْرَبُ نَخْبَ الصَّفْوِ من مَبْسَمِ المُنَى
وقُـومـي نُـهَـدْهِـدْ حُـبَّـنـا دُون نَـغْـمـةٍ
هـي الـقـبـلاتُ الـبِـكْـرُ مِـنْ فِـيـكِ تُـجْـتَـنـى
فَـيَـلْـتَـصِـقُ الـصَّـدْرَانِ مِـنْ رَعْـشَـةِ الـهَـوَى
وَيَـخْـفِـقُ قَـلْـبَـانـا بِـنُـعْـمَـى وِصَـالِـنـا

سليمى (معجبة بهذا الشعر):

الـلَّـهُ أَكْـبَـرُ هـذا الـشـعـرُ مـا طَـربَـتْ
أُذْنـي لأَجْـمـلَ مِـنْـه لاَ ولاَ سَـمِـعَـتْ

الخطيب (وقد سرت به النشوة):

غَـــنِّ يــا ســلــمــايَ غــنِّ　　　إنّ فـــي الـــعـــودِ الأَغَـــنِّ

مُـنْـتَـهـى الـتَّـرْفِـيـهِ عَـنّـي　　　غَـــنِّ يــا سَــلْــمَــايَ غَـــنِّ

(تندفع سليمى مغنية تصاحبها الأوركسترا من وراء الستار ولما انتهت من غنائها صفق لها الخطيب وكاد يقع من مقعده من شدة ما صفق).

مسك (يدخل) «ابنُ زَيْدُونٍ» حَضَرْ

الخطيب: أَدْخِلَنْهُ وَانْصَرِفْ

(يذهب مسك)

(يدخل ابن زيدون مكبلاً ومعه حارسان مدججان بالسلاح يشير الخطيب إلى سليمى قائلاً).

هَـــذا «ابـــنُ زيـــدونَ»

سليمى (متظاهرة بالانفعال): لا مَرْحى له فَلَكَمْ

أسـقـانـيَ الـذُّلَّ أشـكـالاً وأَلـوانَـا

ابـن زيـدون (بـحـنـق): والآن رُمـتِ انـتـقـامـاً بـي

سليمى (تتصنع الكبرياء): أَجلْ سَتَرى

مِنَ العَذَابِ صُنوفاً

ابن زيدون (غير مكترث): مَـــطْـــلَـــبٌ هَـــانَـــا

سليمى: أَلَسْتَ تَخْشَى الرَّدى

ابــن زيــدون : يــا مــرحــبــاً بِــرَدىً

أَلْــقــاهُ بَــيْــنَ يَــديــكِ الــلَّــيــلَ جَــذْلانــا

الخطيب (إلى سليمى) :

تَـعْـسـاً لـهُ مـا رأتْ عَـيـنـي ولاَ بَـصُـرُتْ

أشْــقــى وأَنــكَــدَ حــظًّــا مِــنْــهُ إنْــسَــانــاَ

ابن زيدون (متهكماً) :

ولا تَــصَــوَّرْتُ يــومــاً أَن أُســاقَ إلــى

مَـبَـاءَةٍ ضَـمَّـتِ الـسَّـكـرى (يـشـيـر إلـيـهـا)

وسَــكْــرَانْــا

(يشير إليه)

الخطيب (منفعلاً) : اُسْكُتْ

(يقوم من مقعده ليضربه وإذ يهم أن يفعل ذلك يهوى بالكف فلا يصيب ابن زيدون بل يقع أرضاً من سكره وهو يكرر كلمة «اسكت». ترفعه سليمى يساعدها الحارسان).

سـلـيـمـى : خَـسِـئـتَ فـمـا مثل «الـخـطـيـبِ» فتًى

خُـلْـقـاً وعِـلْـمـاً وأمـجـاداً وسُـلْـطـانـا

(يهز الخطيب رأسه مؤمناً على كلامها. تهمس في أذنه)

اِصــــرفِ الــــحــــراسَ عَــــنَّــــا

الخطيب (إلى الحارسين) : إذْهَبَا

الحارسان: أمراً أَطَعْنا (يذهبان)

الخطيب (لسيلمى): وفيتُ بِوَعْدي أينَ وعدُكِ إنَّني

لَــفِــي ظَــمــأٍ والــمــاءُ حَــوْلِــي جــارِي

سـلـيـمـى: سَـأُنْـجِـزُهُ هَـذا ابـنُ زيـدونَ حـاضـرٌ

لِــيَــشْــهــدَ يــا رُوحــي بــوادرَ ثَــارِي

(يهز ابن زيدون رأسه حنقاً)

فَدَعْني أُهَيّىءُ للوَقِيعةِ خِنْجَرِي

(تربت على خده بدلال)

وَلِـلـوَصْـلِ هِـنْـدَامـي ولِـلـحُـبّ أَوْتَـاري

(يقبل الخطيب يدها، تذهب)

المشهد الرابع

الــخــطــيــب: ابــنَ «زيــدونٍ» أجِــبــنــي   مــا الــذي يَــشْــغَــلُ بــالَــكْ
لــيــتَ «ولاّدة» مَــعْــنَــا   تَــشــهــدُ الــلَّــيْــلَــةَ حَــالَــكْ

ابن زيدون (محتداً):

لا تُــدَنِّــسْ أَيــهــا الــوغــدُ اســمَــهــا
لــيــتَــنِــي حــرٌّ لَــحَــطَّــمْــتُ فَــمَــكْ

الخطيب (باستهجان): أَنتَ!!

ابن زيدون: أِي واللَّهِ

الــخــطــيــب: قُــبِّــحْــتَ فَــتًــى
ســوفَ أَســقــي ذا الــثــرى الــلَّــيــلَ دَمَــكْ

ابــن زيــدون: لــســتَ تَــسْــطــيــعُ اقــتــرابــاً

الــخــطــيــب: سَــنَــرى
عِــنْــدمَــا تَــأْتِــي «سُــلــيْــمــى» نَــدَمَــكْ

ابــن زيــدون: أَيُّــنَــا يَــنْــدَمُ يــا غِــرّ!!

الــخــطــيــب: أَنــا؟

ابــن زيــدون: إِي نــعــمْ،

الخطيب (منفعلاً): وَيْــلاَهُ يــا مــا أظْــلَــمَــكْ

قَــدْكَ والــلَّــهِ لَــقَــدْ أغْــضَــبْــتَــنــي
خــانــنِــي الــصَّــبْــرُ

ابــــن زيــــدون: أَأَخــشــى قَــسَــمَــكْ

(يقوم الخطيب من مقعده يريد الوقيعة بابن زيدون, ومن شدة سكره يقع على المقعد مراراً قبل أن يتمكن من الوقوف وأخيراً يقف مترنحاً ذات اليمين وذات الشمال وهو يقول).

الخطيب: سَوْفَ تخْشى سوفَ تبكِي أسَفاً

ابن زيدون: لستُ بالآسِفِ
فاسكُبْ تُهَمَكْ

(يذهب الخطيب إلى مكان ابن زيدون وهو يترنح من سكره ويقول):

الـخـطـيـب: نِـقْـمَـتِـي حَـلَّـتْ،

ابــن زيــدون: تَــقَــدَّمْ إنَّــنِــي
جِــدُّ مُــشْــتَــاقٍ لألْــقَــى نِــقَــمَــكْ

* * *

(يهم الخطيب بلطم ابن زيدون فينطحه هذا فيقع الخطيب أرضاً وهو يصرخ).

الخطيب: أَتَنْطَحُني يا وغْدُ

ابــن زيــدون: يــا لــيــتَ أَنَّــنــي
طـلـيـقٌ لـكـنـتَ الـلـيـلَ فـي الـقَـبْـرِ ثـاوِيـا
لَـعَـلّـي أُرِيـحُ الـنَـاسَ مِـنْ ظُـلْـم بَـرْبَـرٍ
قُـــــسَـــــاةٍ غِـــــلاَظٍ،

الخطيب: (يحاول القيام وهو يقول): كـــالـــجـــبـــالِ رَوَاسِـــيـــا
سَتَلْقَى لَعَمْري مِنْ وَقَائعِ فَتْكِنَا
شَـدَائِـدَ أَلـوانـاً تَـشِـيـب الـنَّـواصِـيَـا

(يقف على قدميه ولا يزال يتمايل)

ابـن زيـدون: أَتُـوعـدنـي تـالـلَّـهِ مـا خـفـتُ غَـيْـرَه
ولــن أَشْــتــكــي إلاّ إلــى الــلَّــهِ حــالِــيــا
وَكـلـتُ لـه نَـفْـسي مَـصـيـري وقِـسْـمَـتي
فـــلـــنْ أرتَـــضـــي إلاَّهُ مَـــوْلًـــى ووالِـــيـــا

الخطيب: (وقد اهتاجه الكلام. يستل خنجره ويقترب من ابن زيدون):

لقد هِجتَني يا كلبُ والصبرُ خانَني
ولـم تُـبْـقِ فـي قـوس الـتـحـمُّـلِ بـاقـيَـا

ابـن زيـدون: أراك تـرومُ الـغَـدْرَ والـقَـيْـدُ مـانِـعي
بِــرَازَكَ حُــلَّ الــقــيــدَ إنْ كــنــتَ نَــاوِيــا

الـخـطـيـب: سـأَنـتـقـمـنَّ الآنَ مِـنْـكَ بِـطَـعْـنَـةٍ
تُــريــحُــكَ مِــنْ هــمّ الــحَــيــاةِ وَهَــمِّــيــا

(يتقدم ليطعنه. تظهر سليمى وخلفها ولاّدة وليلى وصبح ومسك وآخرون يشرن إلى ابن زيدون بالسكوت. تمسك سليمى الخطيب من يده خلفاً فيصرخ):

«سُلَيْمى» دَعِيني أَقْتُلُ الوَغْدَ إنَّه
أهاج حِفاظي واستباحَ دِمائِيا
وَأَفْقَدَني رُشْدِي وَوَعْيي وَهَيْبَتي

سليمى: وَتَقْتُلُه؟

(يهوى صبح بهراوة على رأسه ويتبعها مسك بأخرى فيسقط الخطيب فاقداً الرشد).

ولاّدة: قُبِّحْتَ نَذْلاً وجَانِيا

(تذهب ولاّدة وليلى وسليمى لفك قيد ابن زيدون وتبدأ ولاّدة في فك إساره).

ابن زيدون: (وقد راعه هذا الوفاء والإخلاص. يقول).

أَتَفُكِّينَ إساري وتُقيلينَ عِثارِي
وعيونُ القَوْمِ يَقْظى تَأخذينَ الليلَ ثَاري

ولاّدة: (وقد فكت قيد ابن زيدون ترمي بالقيد إلى سليمى وليلى ليقيدا الخطيب وهي تقول).

قيّدُوه واجعلُوا منه عظاتٍ
تَرْدَعُ الظُّلاَّمَ والقَوْمَ اللِّئاما

(إلى ابن زيدون): لا تَخَفْ إنَّا كفيناك الرَّزَايا

(تلتفت إلى سليمى) أَدْخِلُوا الحُرَّاسِ

(يدخل صبح ومسك وآخرون يحملون الحارسين وهما مغلولان مكمّمان فيرمون بهما أرضاً. تلتفت ولاّدة إلى ابن زيدون مبتسمة فتقول).

قد نِلْنا المَرَاما

(يحملون الحارسين والخطيب ويخرجون بهم ثم يعودون إلى ولاّدة).

المشهد الخامس

ولاّدة: (تخاطب المتآمرين وتلتفت إلى النظارة وقد أخذها الحماس).

بـنـتُ حَـرْبٍ[1] أقْـسَـمَـتْ ألاّ تَـنـامَـا
عَـنْ حـقـوقٍ تَـصْـرُخُ الـيـومَ أنْـتِـقـامـا
مِـنْ عُـدَاةٍ حَـطَّـمـوا مُـلـكـي ومَـلـكـي
واسـتـبـاحـوا الـمـالَ والـبـيـتَ الـحَـرَامـا
يـا دمَ الأجْـدَادِ حَـيَّـاكَ الـحَـيَـا
وسَـقَـى الـغـيـثُ رُفـاتـاً وعِـظـامـا
نـحـنُ آلـيـنـا عـلـى أَنْـفُـسِـنـا
أن نـغـذِّي الـطـيـرَ أَشْـلاءً وهَـامـا
صـرخـةُ الـثَّـأرِ تَـعَـالَـى صَـوْتُـهـا
مِـنْ قـلـوبٍ ثـاكـلاتٍ تَـتَـدَامَـى
مِـنْ رِجَـالٍ قُـتِـلُـوا أَوْ شُـرِّدُوا
مِـنْ عَـذَارَى رُحْـن سَـبْـيـاً وأيـامـى
يـا دَمَ الأجْـدادِ فـي دار الـبـقـا
طَـيَّـبَ الـلَّـه تُـرابـاً ومُـقَـامـا

---

(١) حرب بن أمية بن عبد شمس.

ابن زيدون: لبيكِ يا بنتَ الخلائفِ سا دةِ الدُّنيا أُمَيَّهْ

لبيكِ سيِّدةَ البلا دِ وربَّة الوادي الأبيّهْ

سِيرِي بنا فنُفُوسُنا وقلوبُنا استعرتْ حَمِيَّهْ

بالثأرِ يَصْرُخُ شِيُبنا وشَبابُنا ارتخصَ المَنِيَّهْ

من كل أروَعَ في النِّضَا لِ محنّكٍ يومَ الرَّزِيَّهْ

ثبْتِ الجَنانِ كأنَّه قد قُدَّ من صَخْرِ البَلِيَّهْ

ولاَدة: (تخاطب الحاضرين):

هيِّئوا أيها الرفاقُ ركابِي

آنَ وقتُ الرَّحيلِ يا أَصْحَابي

عَن بلادي مَقَرِّ مُلْكي وأهلي

وابتسامِ الصِّبا وفجرِ شَبابي

(يذهبون للاستعداد ولا تبقى إلا ولاّدة وابن زيدون)

(ولاّدة إلى النظارة)

هكذا شاء يا فؤاديَ حُبي

ووفائي لمن أُحِبُّ طَغَى بي

أيُّها الموطِنُ العزيزُ وداعاً

أيُها الحبُّ قد شَدَدْتُ رِكابي

لا أُبالي وشاعرُ الكون قُرْبي

لا أُبالي أطالَ لَيْلُ اغْتِرَابي

أيها العاشقونَ هذا كتَابي

أيها المُخْلِصون هذا خِطابي

ابـن زيـدون: أنـتِ فـرعـاً ومَـحْـتِـداً ومُـقـامـاً
في ذُرى الـمجـدِ في صَيَاصي الـقَبِيلَـهْ
أنـتِ فـي الـتَّـاجِ كـابـرٌ بَـعْـدَ كـابـرٍ
أنـتِ في الـصِّـيـد مـن قـريـشٍ سَـلِـيلَـهْ
أنـتِ لـلـنَّـاسِـكـيـنَ هَـدْيٌ ونـورٌ
أنـتِ لـلـبـائـسـيـنَ نُـعْـمَـى جَـزِيلَـهْ
أنـتِ لـلـشـاعـرِ الـمُـتَـيَّـمِ نَـجْـوَى
أنـتِ أنـتِ الَّـتـي تُـنـيـرُ سَـبِـيـلَـهْ
وتُـشـيـعـيـنَ فـي مَـجَـالِـيـهِ أُنْـسـا
صـاخـبـاً راقـصـاً يُـرَوِّي غَـلَـيـلَـهْ
والـمُـنـى تَـجْـعـلـيـنَ طـوعَ يـديـهِ
والـلـيـالـي كـألـفِ لَـيْـل ولَـيْـلـهْ
يـا لَـيَـالـيـكِ مـا أحـيـلاكِ فـيـهـا
والـلَّـيـالـي الـمِـلاحُ جِـدُّ قِـلـيـلَـهْ
إِذْ تُـديـريـنَ مِـنْ حَـديـثِـك راحـاً
وتَـجُـوديـنَ بـالـمـعَـانـي الـجَـلِـيـلَـهْ
وتَـقُـولـيـنَ والـقَـوافـي طِـواعٌ
وعُـيـونُ الـكـلاَمِ تَـأتـي ذَلِـيـلَـهْ
أنـا والـلَّـهِ لـلـجَـمَـالِ مِـثـالٌ
أَنـا «والـلَّـهِ فـي الـمـعـالِـي أَصـيـلـهْ»
وَإذا الـشـاعـرُونَ بـالـحـبّ غَـنَّـوْا
وأجـادُوا فَـمَـنْ سِـوَايَ الـوَسِـيـلـه
أنـتِ «ولاّدةُ ابـن زيـدون»،

ولاّدة (مقاطعة): أَعْظِمْ
بالحبيبينِ في المغاني الأثيلَهْ
* * *

(يقترب منها ويضع يده على كتفيها ثم يأخذها إليه ويندفع في قوله).

ابن زيدون: قَمَرَ «الزَّهراء» رَبِّي أطلَعَكْ
في سَمائي ما أُحيْلى مَطْلَعَكْ
أنتِ سرُّ الكونِ ما أعظَمَهُ
أيُّ سِحْرٍ بابِليٍّ أَوْدَعَكْ
كنتُ أَخْشَى المَوْتَ في سجني أسًى
وَفُؤَادي قَبْلَهُ ما وَدَّعَكْ
فإِذا الجُدُّ يُوَاتيني مسا
وإذا الدُّنيا ونُعْماهَا مَعَكْ
هل بَياني مُسْعِفي يومَ اللِّقا
لَيت شِعْري مُنْجِدي كيْ أُسمِعَكْ
«يا أخا البدرِ سَنَاءً وسنًى
حفظَ اللَّهُ زماناً أَطْلَعَكْ»
ولاّدة: جادَ بالوَصْلِ وقد ضَنَّتْ به
غِيَرُ الدَّهْرِ عَسى أَنْ تَخْدَعَكْ
ابن زيدون: سَنَوَاتٌ خَمْسُ في السِّجْنِ وَمَا
نَسِي القلبُ الهوَى أَوْ ضَيَّعَكْ
ولاّدة: يَا حَبِيبي ضُمَّنِي وَاهْتُفْ معي (يضمها)
«أَجْمَلُ الأَيَّام يَوْمٌ أَرْجَعَكْ»

ابن زيدون: (وقد هتفا معاً «أجمل الأيام يوم أرجعك» يقول).

يــا ظِـلالِـي الــمَــرِحَــاتِ ارتَــقــبــي
ثــورةً كُــبْــرى تَــدُكُّ الــظَــالِــمــيــنْ
تـــاجُ آبـــائـــكِ مَـــنْ أَوْلَـــى بـــه
أَهُـــمُ الـــبَــرْبَــرُ أَم هــذا الــجــبِــيــنْ؟
أُقْــسِـــمُ الـــيـــومَ بِـــحُـــبّـــي وَأَبـــي
وبـــآبـــائـــكِ والـــبـــيـــتِ الأَمِـــيـــنْ
ســوفَ أَسْــعَــى جَــاهِــداً حــتّــى أرى
تــاجَ حَــرْبٍ مَــفْــرَقــاً مِــنْــكِ يَــزِيــنْ
إنَّ لـــلـــظُّـــلْـــمِ وإنْ طَـــالَ الـــمَـــدَى
ســاعــةً والــحــقُّ يَــعْــلُــو وَيَــبِــيــنْ

(يسمعان حركة فيبتعدان. تدخل سليمى وليلى وصبح ومسك).

سليمى: إلى ابن عبَّادِ مولاتي،

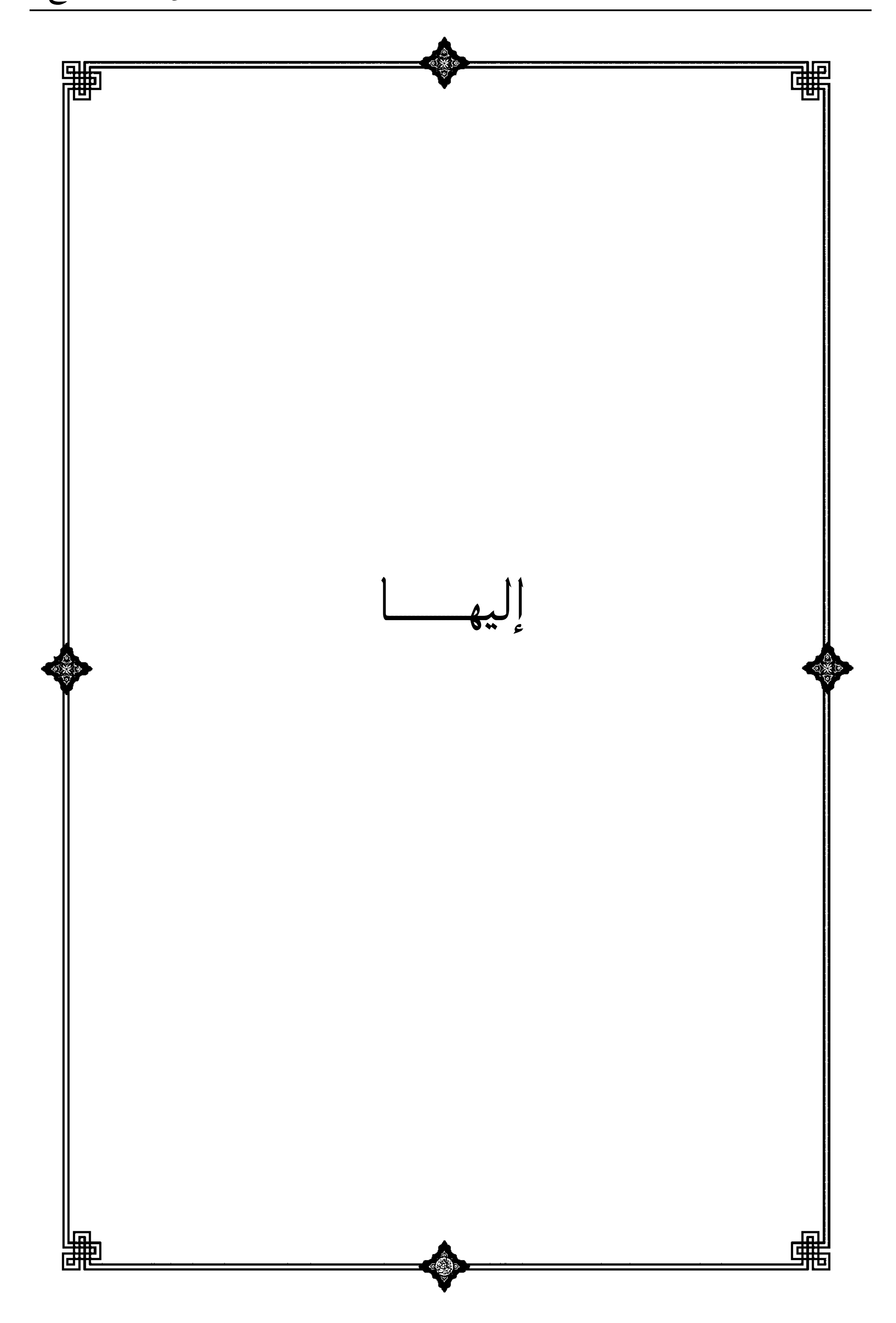
ليـــلى: إِلَيْهِ فَقَدْ

آنَ السُّرى

ولاّدة: فَلْنَسِرْ

(تلتفت إلى ابن زيدون) واللّـهُ يَرْعَانَـــــا

(تصدح موسيقى القافلة وتسير هذه الجماعة، ويسدل الستار تدريجاً على الفصل الثالث والأخير).



إليهـــــا

مقدمة

وأخيراً، وبعد صراع بين أمواج التردّد والقلق المتلاطمة، رست سَفينتي على شاطىء الأمان، فنزلت إلى البر وأقدمت ودفعت بهذا الديوان إلى دار تهامة العتيدة وأنا أعلم خطورة النشر، ولا سيما إذا كان شعراً، فعيون القراء النفاذة الثاقبة تترصد بشوق وتوق لكل ما تخرجه المطابع عَسَى أن تجد فيه مَا ترتاح إليه بصَائرها، وتطمئن إليه نفوسها، فقد أتخمت بالغث والسخف الذي كاد يودي بها إلى حافة اليأس من كل ما ينشر بلغتنا العَربيَة..

هذه حالي يا قارئي الكريم عندما ركبت مركب النشر الصعب فاتحاً صَدري برحابة لكل نقد نزيه وتوجيه هادف ـ سوف أستنير به في محاولاتي المستقبلة.

أما ديواني «إليها». حبّي الذي لا يفنى ولا يموت «فليس فيه من أبواب الشعر إلا باب واحد هو باب «الغزل» «فإليها» أغلقت في وجهي جميع الأبواب إلا بابها، فكنت كلما لاح بارق «وحي» للشعر، تمثلتها أمامي ولسان حالي يردد قول ابن الرومي.

عن يميني وعن شمالي وقدامي وخلفي فأين عنها أحيدُ

من قصيدته الرائعة في «وحيد» المغنية والتي مطلعها:

يا خليليَّ تيمتني وحيدُ ففؤادي بها معنّى عميدُ

وما مسرحياتي الشعرية «غرام ولاَّدة بنت المستكفي بالله» أو «الشوق إليكِ» إن حظيت باطلاعك يا قارئي الفاضل ـ إلاَّ من موحياتها ـ حتى القصائد التي تتراءى لك أنها قيلت في غيرها.

ولئن تطرقت فيما ندر إلى باب غير باب الغزل، فإنما هو انفعال هزتني مناسباته الرائعة فقلت فيه ما قلت..

وما نشر في هذا الديوان هو أقل بكثير مما نظمت.. ولولا تشجيع دار تهامة للنشر والمكتبات وسَعيها المشكور للتعريف بكتَّاب وأدباء وشعراء هذا البلد الطيب، ما أقدمت.. فجزاها الله عني خير الجزاء..

حسَين عبد الله سراج

إليهـــــا

يَـا وَادِيَ الـغِـيْـدِ حَـدِّثْـهُـم بِـمَـسْـرَانَـا
عَـلَـى ضِـفَـافِ الـهَـوَى وَالْـحُـبُّ نَـجْـوَانَـاْ
وَالـخُـرَّدُ الـعِـيْـنُ ضَـمَّـخْـنَ الـطَـرِيْـقَ هَـوًى
وَقَـــدْ خَـــرَجْـــنَ زُرَافَـــاتٍ وَوُحْـــدَانَـــاْ
هَـذِي بِـجِـيْـدِ اخْـتِـهَـا تُـحْـنِـيْـهِ مَـازِحَـةً
وَتِـلْـكَ تَـلْـهُـوْ بِـشَـمِّ الـوَرْدِ أَحْـيَـانَـاْ
وَتِـلْـكَ تَـخْـتَـاْلُ تِـيْـهـاً فِـي مُـلاَءَتِـهَـاْ
وَتِـلْـكَ تَـهْـتِـكُ وَجْـهَ الـبَـدْرِ إِنْ بَـانَـاْ
وَأخْـرَيَـاتٌ حَـجَـبْـنَ الْـوَجْـهَ لاَ وَرَعـاً
وَإِنَّـمَـاْ صَـيْـدَ مَـنْ أَلْـفَـيْـنَ وَلْـهَـانَـاْ
صَـرْعَـى الْـعُـيُـونِ وَقَـتْـلاَهَـاْ هُـنَـا وَهُـنَـاْ
يَـسْـتَـعْـذِبُـونَ الـرَّدَى شِـيْـبـاً وَشـبَّـانَـاْ
وَمَـوْكِـبٌ لِـلْـعَـذَارَى رَاقِـصٌ طَـرَبَـاً
عَـلَـى الـضَّـحَـايَـا فِـدًى لِـلْـحُـبِّ قَـتْـلاَنَـاْ

رِفْـقـاً بِـقَـلْـبِـي ظِـبَـا «عَـمَّـان» إِنَّ بِـهِ
جُـرْحـاً تَـذَوَّقَ طَـعْـمَ الـسُّـقْـمِ أَلْـوَانَـاْ
وَمَـا تَـذَكَّـرَ أَيَّـاْمَ الْـوِصَـالِ بَـكَـى
وَأَرْسَـلَ الْـدَّمْـعَ أَشْـعَـاراً وَأَلْـحَـاْنَـاْ

* * *

يَـا سَاكِنِي الـسَّـفْحَ مِـنْ «عَـمَّـانَ» إِنَّ لَـنَـاْ
فِـي حَـيِّـكُـمْ رَشَـأً نُـفْـدِيـهِ عَـمَّـاْنَـاْ
صَـفْـوَتُـهُ الـحُـبَّ أَخْـلَـصْـتُ الْـوِدَادَ لَـهُ
وَبِـعْـتُـهُ الـقَـلْـبَ مِـصْـدَاقـاً وَبُـرْهَـانَـاْ
تَـرَقْـرَقَ الْـدَّلُّ فِـي أَعْـطَـافِـهِ وَحَـلا
فِـي خَـدِّهِ الْـوَرْدُ عُـطْـرِيـاً وَرَّيَـانَـاْ
إِذَا تَـبَـسَّـمَ بَـاْنَ الْـدُّرُّ مُـنْـتَـضِـدَاً
أوفَـاهَ رَاْعَـكَ إِفْـصَـاحـاً وَتِـبْـيَـانَـاْ
وَرُحْـتَ مِـنْ رِقَّـةِ الأَلْـفَـاظِ نَـضْـوَ هَـوَىً
وَنَـغْـمَـةِ الـصَّـوْتِ مَـفْـتُـونَـاً وَنَـشْـوَانَـاْ

* * *

يَـا جِيْـرَةَ الـسَّـفْـحِ هَـلْ مِـنْ رَاْحِـمٍ لِـفَـتَـىً
مُـضْـنـىً يُـكَـابِـدُ أَشْـوَاقـاً وَهُـجْـرَانَـاْ
أَنُـوْءُ مِـنْ حِـمْـلِ مَـا أَلْـقَـى وَمِـنْ عَـجَـبٍ
قَـلْـبِـيْ يَـذُوْبُ وَمَـنْ أَهْـوَاهُ مَـا لانَـاْ

بَـكَـيْـتُ حَـتَّـى تَـدَاْمَـتْ مُـقْـلَـتِـيْ حَـزَنـاً
فَـهَـلْ دَرَى بِـالَّـذِي يَـجْـرِي وَمَـا كَـانَـاْ

أَبِـي هَـوًى كُـلَّـمَـا حَـاوَلْـتُ أكْـتُـمُـهُ
أَبَـى وَأَمْـعَـنَ إِصْـرَاْرَاً وَعِـصْـيَـانَـاْ

وإليهـــــــا

يَــا سَــارِيــاً وَسَــوادُ الــلَّــيْــلِ يُــخْــفِــيْــهِ
وَهَــائِــمــاً وَبَــيَــاضُ الــصُّــبْــحِ يُــبْــدِيْــهِ
يَسْتَمْطِرُ الدَّمْعَ مِنْ بَرْحِ الفُرَاقِ فَلاَ
دَمْــعٌ يُــهَــدْهِــدُ آلامَ الــهَــوَىَ فِــيْــهِ
حَــيْــرَانُ فِــي مَــهْــمَــهِ الأَقْــدَارِ تَــنْــشُــره
بِــيَــدٌ وَبِــيَــدٌ مِــنَ الأَشْــجَــانِ تَــطْــوَيْــه
لَــمْ تُــبْــقِ فِــيْــهِ تَــبَــارِيْــحُ الــنَّــوى رَمَــقَــاً
إلاَّ شُــعَــاعــاً مِــنَ الــذِّكْــرَى يُــنَــاجِــيْــهِ
ذِكْــرَى حَــبِــيْــبٍ سَــقَــاهُ الــكَــأْسَ مُــتْــرَعَــةً
مِــنْ خَــالِــصِ الــوُدِّ مُــنْــسَــابَــاً عَــلَــى فِــيْــه
بَــيْــنَ الْــخَــمَــائِــلِ وَالأنــسَــامُ تُــسْــكِــرُهُ
بَــيْــنَ الْــجَــدَاوِلِ وَالأمْــوَاهُ تُــشْــجِــيْــهِ
يُــمْــسِــي وَيُــصْــبِــحُ وَالأَوتَــاْرُ صَــاْدِحَــةٌ
يُــضْــحِــي وَيُــبْــكِــرُ وَالْــدُّنــيَــا تُــغَــنِّــيْــهِ

«لَـيْـلَـى» إِلَـى صَـدْرِهِ نَـشْـوَى تُـنَـادِمُـهُ
وَالْـخَـمْـرُ مِـنْ ثَـغْـرِهَـا وَالـشَّـوْقُ سَـاقِـيْـهِ
وَوَارِفٍ مِـنْ نَـعِـيْـمِ الْـوَصْـلِ لَـفَّـهُـمَـا
فِـي غَـفْـوةِ الـدَّهْـرِ فِـي أَحْـلَـى مَـجَـالِـيْـهِ
وَزَوْرَقٍ عَـبْـقَـرِيِّ الـصُّـنْـعِ ضَـمَّـهُـمّـا
الْـحُـبُّ فِـي رَكْـبِـهِ وَالْـمَـوْجُ حَـادِيْـهِ
يَـنْـسَـاْبُ فَـوْقَ لُـجَـيْـنِ الْـمَـاءِ تُـرْقِـصُـهُ
أَنْـغَـاْمُـهُ وَنُـسَـيْـمَـاتٌ تُـنَـاغِـيْـهِ
فِـي هَـدْأَةِ الـلَّـيْـلِ وَالْـبَـدْرُ الـرَّقِـيْـبُ سَـرَى
بِـالْـسِـرِّ يَـفْـضَـحُ مَـا نُـخْـفِـي وَيُـفْـشِـيْـهِ
دُنْـيَـا مِـنَ الأَمَـلِ الْـمَـنْـشُـودِ حَـطَّـمَـهَـاْ
صَـحْـوُ الْـزَّمَـانِ وَغَـدْرٌ مِـنْ لَـيَـالِـيْـهِ

* * *

يَـا هَـاجِـرِي لَـفْـتَـةً أَرْسَـلْـتَـهَـاْ فَـذَكَـتْ
عَـهْـداً تَـنَـوَّرَتِ الـدُّنـيَـاْ بِـمَـاضِـيْـهِ
أَتُـرجِـعُ الـلَّـفْـتَـةُ الْـبَـيْـضَـاءُ مَـا دَرَسَـتْ
أَيْـدِي الـزَّمَـانِ وَمَـا كَـادَتْ حَـوَاشِـيْـهِ
أَمْ أَنَّـهَـا ظِـلُّ أَفْـرَاحٍ يَـمُـرُّ عَـلَـى
عُـمْـرِي كَـظِـلِّ سَـحَـابٍ مَـرَّ بِـالْـتِـيْـهِ

هـــــي

هِـــيَ كَـــالْـــفَـــجْـــرِ بَـــسْـــمَـــةً وَرُوَاءً
هِـيَ كَـالْـزَّهْـرِ نُـضْـرَةً فِـي الْـخَـمِـيْـلَـهْ
قَـدْ تَـجَـلَّـى جَـمَـالُ «بَـلْـقِـيْـسَ» فِـيْـهَـاْ
وَإِذَا شِـئـتَ «كِـلْـيُـوبَـتْـرا» الـجَـمِـيْـلَـهْ
هِـيَ فِـي مَـبْـسَـمِ الـزَّمـانِ حَـدِيْـثٌ
مَـا رَوَى الْـذَّاكِـرُونَ قَـبْـلُ مَـثِـيْـلَـهْ
فِـيْـهِ مِـنْ عَـاْلَـمِ الْـقُـصـوُرِ أَحَـاسِـيْـسُ
وَنَـعْـمَـاءُ مُـورِقَـاتٌ ظَـلِـيْـلَـهْ
فِـيْـهِ مِـنْ سَـامِـرِ الـمُـحِـبَّـيـنَ عِـطْـرٌ
وَرَجَـاءٌ يُـحْـيـي الـنُّـفُـوْسَ الـعَـلِـيْـلَـهْ
رَقَّ كَـالْـنَّـسْـمَـةِ الـصَّـبُـوحِ وكـالـلَّـمْـحِ
تَـبَـدَّىَ مِـنَ الْـعُـيُـوْنِ الْـكَـحِـيْـلَـهْ

* * *

يَـشْـرَبُـونَ الْـطّـلاَ عَـلَـى ذِكْـرِ أَهْـلـيْـهِ
وَأَيَّـاْمِـهِ الْـعِـذَاْبِ الْـبَـلِـيْـلَـهْ

فَــتَــرَاهُــمْ وَقَــدْ سَــرَتْ بِــهِــمُ الــنَّــشْــوَةُ
كُــلٌّ يَــضُــمُّ صَــدْرَ الْــخَــلِــيْــلَــهْ
رَاقِــصَــاً لاَ يَــنِــي عَــلَــى نَــغَــمِ الــلَّــثْــمِ
وَهَــزٍّ مِــنَ الْــخُــصُــوْرِ الــنَّــحِــيْــلَــهْ
كُــلَّــمَــا خَــفَّــتِ الــصَّــبَــابَــةُ نَــاْراً
أَشْــعَــلُــوْهَــاْ مِــنَ الــخُــدُودِ الأَسِــيْــلَــهْ
شِــيَــعٌ فِــي مُــجُــوْنِــهِــمْ وَإِذَا قُــلْــتَ
زِحَــاْمٌ عَــلَــى انْــتِــهَــاكِ الْــفَــضِــيْــلَــهْ

* * *

مَــنْــبَــتــاً أَنْــتِ، مَــحْــتِــداً، وَمُــقَــامــاً
فِي ذُرَى الـمَـجْـدِ فِي صَيَاصِي الْقَبِيْلَهْ
أَنْــتِ فِــي الْــتَّــاجِ لِــلْــخَــلاَئِــقِ تَــاجٌ
أَنْـتِ فِـي الْـصِّـيْـدِ مِـنْ قُـرَيْـشٍ سَـلِـيْـلَـهْ
أَنْــتِ لِــلْــنَــاسِــكِــيــن هَــدْيٌ وَنُــوْرٌ
أَنْــتِ لِــلْــبَــائِــسِــيْــنَ نُــعْــمَــى جَــزِيْــلَــهْ
أَنْــتِ لِــلْــعَــاشِــقِ الْــمُــتَّــيَــم نَــجْــوَى
أَنْــتِ.. أَنْــتِ الَّــتِــي تُــنِــيــرُ سَــبِــيْــلَــهْ
وَتُــشِــيــعِــيْــنَ فِــي مَــجَــاْلِــيْــهِ أُنْــسَــاً
صَــاخِــبــاً، رَاقِــصــاً يُــرَوِّي غَــلِــيْــلَــهْ
وَالْــمُــنَــى تَــجْــعَــلِــيــنَ طَــوْعَ يَــدَيْــهِ
والــلَّــيَــاْلِــي كَــأَلْــفِ «لَــيْــلٍ وَلِــيْــلَــهْ»

* * *

يَـا لَـيَـاْلِـيـكِ مَـا أُحَـيْـلاَكِ فِـيْـهَـاْ

وَالـلَّـيَـاْلِـي الْـمِـلاَحُ جِـدُّ قَـلِـيْـلَـهْ

إِذْ تُـدِيْـرِيْـنَ مِـنْ حَـدِيْـثَـكِ رَاحـاً

وَتَـجُـوْدِيْـنَ بِـالْـمَـعَـاْنِـي الْـجَـلِـيْـلَـهْ

وَتَـقُـولِـيْـنَ وَالْـقَـوَافِـيْ طِـوَاعٌ

وَعُـيُـونُ الْـكَـلاَمِ تَـأْتِـي ذَلِـيْـلَـهْ

أَنَـا وَالـلًـهِ لِـلْـجَـمَـالِ مِـثَـالٌ

أَنَـا وَالـلَّـهِ فِـي الـمَـعَـالِـي أَصِـيْـلَـهْ

وَإِذَا الـشَّـاعَـرُونَ بِـالْـحُـبِّ غَـنَّـوْا

وَأَجَـادُوا فَـمَـنْ سِـوَاْيَ الْـوَسِـيْـلَـهْ

بحيرات العيون

سَــهِــدَ الــشَــاكِــي وَأَضْــنَــاهُ الــسَّــهَــرْ

وَمَــضَــى الــلَّــيْــلُ وَأَنْــضَــتَــهُ الْــفِــكَــرْ

مِــــنْ أَمَــــانِــــي ثَــــاْكِــــلاَتٍ وَرُؤىً

بَــــاكِــــيَــــاْتٍ وَمَــــعَــــاْنِــــي وَصُــــوَرْ

وَلْــــوَلَ الْــــبَــــرْحُ فَــــسَــــحَّــــتْ عَــــبْــــرَةٌ

هِــــيَ ذِكْــــرَى إِنَّ فِــــي الْــــذِكْــــرَى عِــــبَــــرْ

وَلَــقَــدْ تَــشْــكُــو وَمَــا يُــجْــدِي الْــبُــكَــاْ

وَلَــقَــدْ تَــشْــقَــى وَمَــا يُــغْــنِــي الــضَّــجَــرْ

أَيُــــهَــــاْ الــــسَّــــاْهِــــمُ فِــــي أُفــــقِ الــــهَــــوَى

حَــسْــبُــكَ الــشَّــكْــوَى إِلَــى قَــلْــبٍ حَــجَــرْ

يَــاْ زَمَــاْنَ الْــوَصْــلِ فِــي دَاْرِ الــصَّــفَــاْ

أَتُــــرَى عَــــوْدٌ لِــــمَــــاضٍ قَــــدْ عَــــبَــــرْ

يَــــوْمَ كُــــنَّــــا وَالــــهَــــوَى يَــــنْــــظِــــمُــــنَــــاْ

وَالأمَــاْنِــي فِــي الــلَّــيَــاْلِــي كَــالــدُّرَرْ

تَـرْقُـصُ الـدُّنـيَـا عَـلَـى أَفْـرَاحِـنَـاْ
وَيُـغَـنِّـي الـلَـيْـلُ وَالـصُّـبْـحُ وَتَـرْ
فَـكَـأَنَّ الـلَّـيْـلَ لاَ صُـبْـحَ لَـهُ
وَكَـأَنَّ الْـصُّـبْـحَ فِـي الـلَّـيْـلِ اسْـتَـتَـرْ
مَـطْـلَـعَـانِ امْـتَـزَجَـاْ فِـي نَـشْـوَةٍ
ضَـمَّـخَـتْ بِـالـعُـطْـرِ أَنْـدَاءَ الـسَّـحَـرْ
يَـا لَـعَـيْـنَـيْـهـا وَيَـاْلِـيَ مِـنْـهُـمَـاْ
وَبُـحَـيْـرَاتٌ تَـرَامَـتْ دونَ بَـرْ
يَـسْـبَـحُ الْـنُّـورُ عَـلَـى زُرْقَـتِـهَـاْ
فِـي مُـحَـيَّـاْ عَـنْ سَـنَـاْ الْـحُـسْـنِ سَـفَـرْ
قَـدْ شَـرِبْـنَـاْ مِـنْـهُـمَـاْ صَـفْـوَ الْـهَـوَى
وَرَكِـبْـنَـا فِـيْـهِـمَـا مَـتْـنَ الْـخَـطَـرْ
مَـرْكِـبٌ فِـي مَـرْكِـبٍ حَـطَّـمْـتُـهُ
وَعَـلَـى الأَشْـلاَءِ وَاصَـلْـتُ الْـسَّـفَـرْ

* * *

يَـا حَـبِـيْـبِـي شَـاْبَ دَمْـعِـي وَشَـكَـى
حَـاضِـرِي الْـمـكـلُـومُ لِـلـمَـاضِـي الأَغَـرْ
مِـنْ حَـنِـيْـنٍ وَأَنِـيْـنٍ وَنَـوًى
وَجَـوًى جَـرَّعَـنِـي مِـنْـهُ الأَمَـرْ
فَـإِذَاْ الْـدُّنْـيَـاْ ظَـلاَمٌ دَاْمِـسٌ
تَـتَـوَاْرَى فِـي دَيَـاْجِـيِـهِ الـذِّكَـرْ

وَإِذَا الْـــمَـــاضِــــي وَمَـــا فِــــي سِــــرِّهِ
حُـــلُـــمٌ قَــدْ مَــرَّ فِــي نَــوْمِ الْــقَــدَرْ
أَيُــهَــا الْـبَـاكِـي عَــلَـى رَسْــمِ الْـهَـوَى
عَــصَــفَــتْ بِــالــرَّسْــمِ رِيــحٌ فَــانْــدَثَــرْ

هكـــــذا الحب

أَيُّـهَـاْ الـشَّـادِي بِـأَلْـحَـاْنِ الْـهَـوَى إِنَّ قَـلْـبِـي بِـالَّـذِي تَـشْـدُوْ اكْـتَـوَى

وَحَـبِـيْـبَـي لَـيْـسَ يِـدْرَي بِـغَـرَاْمِـي

وَحَـنِـيْـنِـي وَأَنِـيْـنِـي وَسَـقَـامِـي

وَبُـكَـائِـي فِـي الـلَّـيَـالِـي وَهُـيَـامِـي

كُـلَّـمَـا رُحْـتُ إِلَـيْـهِ أَشْـتَـكِـي زَاْدَ فِي الْـهَـجْـرِ افْـتِـنَـانـاً وَالْـنَّـوَى

يَـا مَـلاَكَـاً «هِـمْـتُ فِـي رِقَّـتِـهِ»

وَرَأْيْـتُ الـلَّـيْـلَ فِـي غُـرَّتِـهِ

وَجَـبِـيْـنَ الْـصُّـبْـحِ فِـي طَـلْـعَـتِـهِ

وَإِذَا مَـا افْـتَـرَّ عَـنْ بَـسْـمَـتِـهِ

غَـمَـرَ الْـكَـوْنَ بِـأَفْـرَاحِ الـضّـيَـا وَهَـدَى الـسَّـارِيـنَ فِـي وَادِي الْـهَـوى

عَـذِّبِ الْـقَـلْـبَ بِـأَنْـوَاعِ الْـضَّـنَـى

وَاسْـقِـنِـي مَـا شِـئْـتَ مِـنْ مُـرِّ الْـعَـنَـاْ

هَـكَـذَا فِـي الْـحُـبِّ يَـا رُوحِـي أَنَـاْ

لَـيْـسَ لِـي عَـنْ حُـبِّـك الْـيَـوْمَ غِـنَـى

كَمْ سَفَحْتُ الدَّمْعَ فِي تِلْكَ الرُّبى   وَرَعَيْتُ الْنَّجْمَ فِي لَيْلِ الْجَوَى

شَفَّنِي الْيَأْسُ وَأَنْضَانِي الأَسَى
وَتَسَاْوَى الصُّبْحُ عِنْدِي وَالمَسَاْ
أَتُرَى قَلبُكِ «يَا لَيْلَى» قَسَاْ
بَيْنَ يَا لَيْتَ وَآهٍ وَعَسَى

وَسَرَابٌ مِنْ أَمَاْنٍ وَرُؤىَ   ذَهَبَ العُمْرُ هَبَاءً وانْطَوَى

لست أدري

لَـــــــــسْـــــــــتُ أَدْرِيْ
أَيْـــــــــنَ بَـــــــــدْرِيْ
الآنَ يَـــــــــسْـــــــــرِيْ
لَــسْـــتُ أَدْرِيْ؟

أَيْـــــنَ قَـــــلْـــــبِـــــيْ
أَيْـــــنَ حُـــــبِّـــــيْ
أَيْـــــنَ صَـــــحْـــــبِـــــيْ
لَــسْـــت أَدْرِيْ؟

* * *

يَــاْ حَــبِــيْــبِــي أَيْــنَ أَنْــتَ الآنَــاْ
أَيْــنَ أَيَّــامٌ مَــضَــتْ نَــشْــوَى لِـقَــانَــاْ
غَــشَّــنِــي الْــوَاشُــونَ وَافْــتَــنُّــواْ افْــتِــنَــاْنَــاْ
يَــا حَــبِــيْــبِــي أَيْــنَ أَنْــتَ الآنَــاْ
لَــسْـــتُ أَدْرِيْ؟

* * *

يَـا حَـبِـيْـبِـي هَـجَـعَ الْـكَـوْنُ وَنَـامَـاْ
وَغَـفَـتْ يَـا لَـيْـلُ آهَـاتُ الْـنَّـدَامَـى
غَـيْـرَ آهَـاْتِـي وَآهَـاْتِ الْـهَـيَـامَـى
مٌـقْـسِـمَـاتٍ «يَـا مُـنَـى» أَلاَّ تَـنَـامَـاْ
يَـا حَـبِـيْـبِـي هَـجَـعَ الْـكَـوْنُ وَنَـامَـاْ
فَـإِلاَمَ الـنَّـوْمُ يَـا روحِـي إِلَـى مَـاْ

لَـسْـتُ أَدْرِيْ؟

الحبيب العائد

غَـمَـرَتْ لَـيْـلِـيَ الْـجَـمِـيْـلَ طـيُـوفٌ

مِـنْ نَـحِـيْـبٍ يَـلُـوْحُ إِثْـرَ نَـحِـيْـبِ

وَهُـمُـوْمٍ تَـمُـرُّ صَـرْعَـى هُـمُـومٍ

وَوَجِـيْـبٍ يـجِـيـىءُ بَـعْـدَ وَجِـيْـبِ

أُتْـرِعُ الْـكَـأسَ مِـنْ دنَـانِ عَـذَابِـي

وَأُغَـنِّـي عَـلَـى أَنِـيْـنٍ رَتِـيْـبِ

أَمَـلٌ ضَـاْعَ فِـي مَـجَـاْهِـلِ أَمْـسِـي

وَهَـوَىً شَـاْبَ قَـبْـلَ يَـوْمِ مَـشِـيْـبِي

شَـيِّـعِ الـلَّـيْـلَ سَـاهِـداً يَـاْ فُـؤادِي

وَصِـلِ الْـصُّـبْـحَ بِـالـضُّـحَـى بِـالْـغُـرُوْبِ

شَـاكِـيـاً بَـاكِـيـاً غَـرَاْمـاً قَـدِيْـمـاً

وَالْـتِـيَـاعـاً يَـجِـدُّ فِـي الْـتَّـعْـذِيْـبِ

طَـوَّحَ الْـيَـأْسُ بِـالأَمَـاْنِـي وَوَلَّـتْ

أُمْـسِـيَـاتُ الْـهَـنَـا وَضَـلَّـتْ دُرُوبِـي

وَاعْــتَــرتْــنِــي مِــنَ الْــبُــعَــادِ ظُــنُــوْنٌ
وَظُــنُــوْنُ الْــمُــحِــبُّ سِــرُّ الْــشُّــحُــوْبِّ

* * *

هَــجَــعَ الــلَّــيْــلُ فِــي فِــرَاشِ الْــصَّــبَــاحِ
وَعَــلَــى لَــحْــنِ صَــادِحَــاْتٍ طَــرُوْبِ
وَمَــشَــى الْــفَــجْــرُ فِــي مَــطَــارِفِ تِــيْــهٍ
وَوِشَــاحٍ مِــنَ الْــزُّهُــوْرِ قَــشِــيْــبِ
يُــوقِــظُ الْــفِــتْــنَــةَ الْــنَّــؤومَ وَيُــزْجِــي
نَــفَــحَــاْتٍ مِــنَ الأَرِيْــجِ الــرَّطِــيْــبِ
فِــيْــهِ وَحْــيُ الــهَــوَى وَحُــلْــمُ الْــعَــذَارَى
وَالْــهَــيَــامَــى وَتَــمْــتَــمَــاتُ الْــحَــبِــيْــبِ
أَيُّــهَــا الْــبَــدْرُ يَــاْ نَــجِــيَّ الْــهَــيَــامَــى
ضَــاقَ صَــدْرِي مِــنَ الــبُــعَــاْدِ الــمُــرِيْــبِ
يَــزْحَــمُ الْــيَــأسُ خَــاْطِــرِي وَجَــنَــانِــي
فَــأَنَــاْ مِــنْــهُ فِــي عَــذَاْبٍ رَهِــيْــبِ
كُــلَّــمَــاْ زَحْــزَحَ اصْــطِــبَــارِي هُــمُــوْمــاً
قَــدْ أَنَــاْخَــتْ عَــلَــى فُــؤَادِي الــكَــئِــيْــبِ
دَاهَــمَــتْــهُ أَشَــدُّ مِــنْــهَــاْ بَــلاَءً
يَــا لَــقَــلْــبٍ مُــعَــذَّبٍ مَــكْــرُوبِ

* * *

صَـفَّـقَ الْـقَـلْـبُ حِـيـنَ آبَ حَـبِـيْـبِـي
بَـعْـدَ بَـرْحِ الْـنَّـوَى وَطُـولِ الـمَـغِـيْـبِ
قُـلْـتُ مِـنْ فَـرْحَـةٍ تَـشِـيْـعُ بِـنَـفْـسِـي
لَـيْـتَ مَـا كَـاْنَ لَـمْ يَـكُـنْ يَـاْ حَـبِـيْـبِـي

لــقـــاء

بِــرُوْحِــي يَــاْ مَــغَــانِــي الْــحُــبِّ أُفْــدِي
زَمَـــاْنـــاً بَـــيْـــنَ غَـــاْدَاْتِ الـــقُـــصُـــوْرِ
كُــسِــيْــنَ مِــنَ الْــجَــمَــالِ قَــشِــيــبَ ثَــوْبٍ
كَـــرَبَّـــاْتِ الْـــخَـــوَرْنَـــقِ «وَالْـــسَّـــدِيْـــرِ»[1]

* * *

وَأَطْــرَبُ فِــي الْــمَــسَــاْ وَالْــغِــيــدُ تَــغْــدُو
تَــتِــيــهُ مِــنَ الْــحُــلِــي فَــوْقَ الْــنُّــحُــوْرِ
فَـــوَاحِـــدَةٌ تَـــشُـــدُّ بِـــخَـــصْـــرِ أُخْـــرَى
وَتِــلْــكَ بِــجِــيْــدِهَــا الْــغَــضِّ الْــطَّــرِيْــرِ
وَحَــسْــبُــكَ نَــظْــرَةٌ مِــنْــهُــنَّ تُــمْــلِــي
عَــلَــيْــكَ مِــنَ الْــهَــوَى شَــتَّــى الأُمُــوْرِ

* * *

---

(١) من قصور الحيرة عاصمة المناذرة في العراق..

مِـنَ الَّــلائِـي أَصَـبْـنَ صَـمِـيْـم قَـلْـبِـي
فَـتَـاْةٌ مِـنْ ذَوِي الْـحَـسَـبِ الْـكَـبِـيْـرِ

تَـــدَفَّـــقَ وَجْـــهُـــهَـــاْ نُـــوْرَاً وَنَـــاراً
فَـــيَـــاْ وَيْـــلاَهُ مِـــنْ نَـــاْرٍ وَنُـــوْرِ

وَقَـــدٌّ إِنْ تَـــثَـــنَّـــتْ سَـــمْـــهَـــرِيٌّ
يَـقُـدُّ جَـوَاْنِـحَ الْـقَـلْـبِ الْـكَـسِـيْـرِ

وَإِنْ لاَحَـتْ تَـشَـبَّـعَـتِ الْـنَّـوْاحِـي
بِـرِيْـحِ الْـمِـسْـكِ مِـنْ نَـفْـحِ الْـعَـبِـيْـرِ

وَدُوْنَ مَـعِـيْـنِ عَـيْـنَـيْـهَـا ضِـفَـافٌ
لَـقِـيْـتُ عَـلَـى شَـوَاطِـئِـهَـاْ مَـصِـيْـرِي

أَفِـــيْـــىءُ بِـــزَوْرَقِـــي دَوْمـــاً إِلَـــيْـــهَـــاْ
فَـأَسْـتَـاْفُ الـرَّحِـيْـقَ مِـنَ الـثُّـغُـوْرِ

وَبَـيْـنَ الْـمَـفْـرِقَـيْـنِ سَـفَـحْـتُ عُـمْـرِي
فِـــدَاءً لِـــلْـــتَـــرائِـــبِ وَالْـــصُّـــدُوْرِ

مَـــرَرْتُ بِـــهَـــا عَـــشِـــيَّـــةَ ذَاتَ يَـــوْمٍ
بِـــجَـــانِـــبِ جَـــدْوَلٍ عَـــذْبِ الْـــخَـــرِيْـــرِ

وَقَـــدْ سَـــاْدَ الْـــسُّـــكُـــونُ خَـــلاَ حَـــفِـــيْـــفٍ
مِـــنَ الأَوْرَاقِ وَالـــشَّـــجَـــرِ الْـــمَـــزِيْـــرِ

وَكَـــاْدَ تَـــمَـــاْسُـــكُ الأَغْـــصَـــاْنِ يُـــوْقِـــي
فَـيَـحْـجُـبُ رُؤْيَـةَ الْـوَجْـهِ الْـمُـنِـيْـرِ

مَـشَـيْـتُ وَلِـلْـفُـؤَادِ وَجِـيْـبُ ثَـكْـلَـى
وَلِـــلأَقْـــدَامِ رَجْـــفٌ فِـــي مَـــسِـــيْـــرِي

مَسَاءُ الْخَيْرِ.. قُلْتُ لَهَا أَجَابَتْ..
مَسَاءُ الْخَيْرِ عَنْ خَجَلٍ مُثِيْرِ
فَقُلْتُ.. أَلاَ لِسَيِّدَتِي بِضَيْفٍ
يُنَادِمُهَا مُنَادَمَةَ السَّمِيْرِ
فَغَضَّتْ طَرْفَهَا خَجَلاً وَقَالَتْ..
نَعِمْتُ بِصُحْبَةِ الرَّجُلِ الْخَبِيْرِ

* * *

قَصَصْتُ عَلَى مَسَامِعِهَا حَدِيْثاً
عَنِ الأَشْجَارِ وَالْمَاءِ الْغَزِيْرِ
وَعَنْ هَذِي الْحَيَاةِ وَمَا يُلاَقِي
بِهَا الإِنْسَانُ مِنْ خَيْرٍ وَفِيْرِ
وَجِئْتُ بِهَا إِلَى ذِكْرَى التَّلاَقِي
وَنُبْلِ نِجَارِهَا الْعَالِي النَّضِيْرِ
وَكَيْفَ تَعَطَّفَتْ وَحَبَتْ مُحِباً
بِعَذْبِ حَدِيْثِهَا الْعَبِقِ الْكَثِيْرِ
وَهَلْ تَرْضَى فَتَشْمُلَنِي بِوُدًّ
يَزِيْدُ تَمَكُّناً أَمَدَ الدُّهُوْرِ
أَجَابَتْ.. وَالْعُيُوْنُ لَهَا نِدَاءٌ
وَقَدْ ضَمَّ الْهَوَى بَيْنَ الثُّغُوْرِ
فَرُحْنَا نَنْهَبُ اللَّذَاتِ نَهْباً
وَقَدْ شَاعَ الْهَوَى بَيْنَ السُّتُوْرِ

الشاطىء الموعود

لاْ.. وَرَبِّـــي الَّـــذِي حَـــبَـــاكِ بِـــحُـــسْـــنٍ
وَمَـــعَـــاْنٍ مِـــنَ الْـــجَـــمَـــالِ الْـــفَـــرِيْـــدِ
مَـــا أَنَـــاْ بِـــالَّـــذِي نَـــسِـــيْـــتُ وَحَـــسْـــبِـــي
أَنْ أَرَىَ مِـــنْـــكِ خَـــاْلِـــقِـــي وَوُجُـــودِي

* * *

كَـــاْنَ قَـــلْـــبِـــي مَـــجَـــاهِـــلاً وَصَـــحَـــارَى
وَسُـــدُوْداً تَـــدَاْخَـــلَـــتْ فِـــي سُـــدُوْدِ
فَـــإذا حُـــبُّـــكِ الْـــمُـــظَـــفَّـــرُ يَـــغْـــزو
وَيَـــدُكُّ الْـــحُـــدودَ تِـــلْـــوَ الْـــحُـــدودِ
وَإِذَا تِـــلْـــكُـــمُ الْـــقِـــفَـــارُ رِيَـــاضٌ
نَـــاْضِـــرَاْتٌ بِـــكُـــلِّ زَهْـــرٍ نَـــضِـــيْـــدِ

* * *

أَنْـــتِ.. مَـــا أَنْـــتِ؟ أَنْـــتِ وَحْـــيُ قَـــصِـــيْـــدٍ
رَائِـــعِ الْـــجَـــرْسِ عَـــبْـــقَـــرِيِّ الْـــنَّـــشِـــيْـــدِ

أَنْــتِ.. مَــا أَنْــتِ؟ أَنْــتِ نَــبْــعُ ضِــيَــاءٍ
قَــدْ هَــدَانِــي إِلَــى الــصِّــرَاطِ الْــحَــمِــيْــدِ
أَنْــتِ تَــرْنِــيْــمَــةُ الْــزَّمَــاْنِ وَلَــحْــنٌ
مِــن مَــعَــانِــيْــهِ صِــيــغَ لَــحْــنُ الْــخُــلُــودِ

* * *

يَــا رَبِــيْــعَ الْــحَــيَــاةِ يَــا أَمَــلِــي الْــعَــائِــدُ
يَــا حَــاْضِــرِي، أَجَــلْ، وَتَــلِــيْــدِي
أُغْــمُــرِيْــنِــي بِــوَاْطِــفٍ مِــنْ أَمَــاْنِــي
يَــاْنِــعَــاْتٍ بِــوَصْــلِــكِ الْــمَــمْــدُودِ
لَــسْــتُ أَدْرِي أَلِــلْــبُــعَــاْدِ مَــصِــيْــرِي
أَمْ أَنَــاْ قُــرْبَ شَــاْطِــئِــي الْــمَــوْعُــوْدِ

هُنا عُمْري؟

أتَـــــــــــدْرِي

يَـــــــا أَخَـــــــاْ الْـــــــبَـــــــدْرِ؟

أَتَـــــــــــدْرِي

بِـــــــالْـــــــهَـــــــوَى الْـــــــعُـــــــذْرِي

وَأَشْـــــوَاْقِـــــي إِذَا تَـــــسْـــــرِي؟

* * *

عَـــلَـــى الْـــزَّهْـــرِ

عَـلَـى الـصَّـخْـرِ

عَـــلَـــى الْـــوَادِي

عَـــلَـــى الـــنَّـــهْـــرِ

عَـلَـى الْـنَّـجْـمِ، عَـلَـى الْـبَـحْـرِ

تُـــسَـــاْبِـــقُ زَوْرَقَـــاً يَـــجْـــرِي

كَـــأَحْـــلاَمِ الْـــهَـــوَى الْـــبِـــكْـــرِ

وَأَيَـــامِ الْـــصِّـــبَـــاْ الْـــغُـــرِّ

إِلَـــى الـــنُّـــدْمَـــاْنِ فِـــي الْـــقَـــصْـــرِ

وَسَـــاْقٍ فِــــي سَـــــنَـــا الْــــبَـــدْرِ
إِلَـــى الــقَــيْــنـــاتِ فِـــي الْــخِــدْرِ
وَغِــــــيْــــــدٍ خُـــــرَّدٍ زُهْــــــرِ

* * *

إِلَـــى لَـــيْـــلٍ مِـــنَ الْـــسِّـــحْـــرِ
إِلَــــى دُرٍّ مِـــــنَ الْـــــشِّـــــعْـــــرِ
إِلَــــى نَـــــهْـــــدٍ
إِلَــــــى صَــــــدْرٍ
إِلَــــــى ضَـــــمٍّ
إِلَــــى هَـــــصْـــــرٍ
إِلَــــى رَاْحٍ مِــــنَ الــــثَّـــغْـــرِ
وَأَنْـــفَـــاْسٍ مِـــنَ الْـــعِـــطْـــرِ
تَـــرِفُّ كَـــنَـــسْـــمَـــةِ الْــفَــجْـــرِ
هُـــنَـــاْ أَمَـــلِـــي، هُـــنَـــاْ عُـــمْـــرِي

التجربــةُ المريــرةُ

يَــاْ سَــهَــارَى الْــنُّــجُــومِ أَيْــنَ حَــبِــيْــبِــي
أَيْـــنَ نَـــاْيِـــي؟ وَأَيْـــنَ دَفِّـــي وَعُـــوْدِي
يُــشْــفِــقُ الــلَّــيْــلُ مِــنْ وَجِــيْــعِ بُــكَــاْئِــي
وَالْــدَّرَارِي عَــلَــى الْــسُّــهَــادِ شُــهُــوْدِي
يَــسْــتَــقِــي الْــصُّــبْــحُ طَــلَّــهُ مِــنْ دُمُــوْعِــي
وَاحْــمِــرَارُ الــمــغِــيْــبِ فَــيْــضُ وَقُــودِي
أَصْــطَــلِــي نَــارَ وَحْــدَتِــي فِــي لَــيَــالٍ
قَــدْ كَــسَــاْهَــاْ الْــفُــرَاقُ ثَــوْبَ جَــلِــيْــدِ
سَــاْهِــمَ الــطَّــرْفِ أَسْــتَــعِــيــرُ دَلِــيْــلِــي
مِـــنْ غَـــرَامِـــي وَمِـــنْ رَنِـــيْـــنِ قُــيُــودِي
وَجِـــرَاحِـــي ألـــوكُـــهَـــا بِـــدِمُـــوعِـــي
وَهُـــمُـــوْمِـــي تُــشِــيْــبُ رَأْسَ الــوَلِــيْــدِ
فَــكَــأَنِــي خُــلِــقْــتُ نِــضْــوَ الــلَّــيَــاْلِــي
وَكَـــأَنِـــي أَسِـــيـــرُ عُـــودٍ وَخُـــودِ

وَكَــأَنِــي وُلِــدِتُ وَالْــحُــبُّ ظِــلِّــي
فِــي غُــدُوِّي وَصَــحْــوَتِــي وَهُــجُــودِي

* * *

قَــدْ تَــسَــاوَى لَــدَيَّ لَــيْــلِــي، نَــهَــارِي
وَأَنَــاْ بِــانْــتَــظَــارِ فَــجْــرٍ جَــدِيْــدِ
ذِكْــرَيَــاتُ مَــهَــرْنَ أَنْــضَــرَ عُــمْــرِي
يَــا لَــعُــمْــرٍ مُــضَــمَّــخٍ بِــالْــوُعُــودِ

* * *

قَــدْ سَــقَــاْنِــي الــزَّمَــاْنُ صَــابــاً وَشَــهْــداً
وَابْــتَــلاَنِــي بِــوَعْــدِهِ وَالْــوَعِــيْــدِ
وَدَهَــتْــنِــي الْــخُــطُــوبُ مِــنْ كُــلِّ صَــوْبٍ
وَرَمَــتْــنِــي بِــكُــلِّ رُزْءٍ شَــدِيْــدِ
عَــجَــمَــتْــنِــي فَــكُــنْــتُ أَصْــلَــبَ عُــوداً
وَأَنَــاْخَــتْ فــكُــنْــتُ رَحْــبَ الْــحُــدودِ
فَــوَجَــدْتُ الــصَّــدِيــقَ خِــبًّــا لَــدُوداً
وَوَجَــدْتُ الْــعَــدُوَّ خَــيْــرَ وَدُودِ
وَرَأَيْــتُ الْــوَفَــاْءَ قَــوْلاً هُــرَاءً
وَرَأَيْــتُ الْــخِــدَاْعَ مِــلءَ الْــوُجُــودِ

دمـــــعٌ ودم

حَـــمَـــلَ الـــشَّـــوْقَ إِلَـــيْـــكَ الْـــقَـــلَـــمُ
فَـــــإِذَاْ الأَسْـــــــطُـــــــرُ دَمْــــــعٌ وَدَمُ
وَإِذَاْ الْـــذِّكْـــرَى وَقَـــدْ هَـــاْجَـــتْ مُـــنًـــى
الْـــهَـــنَـــا فِـــيْـــهَـــاْ وَفِـــيْـــهَـــاْ الأَلَـــمُ
وَالـــنَّـــدَاْمَـــى حُـــفَّـــلٌ حَـــوْلِـــي وَقَـــدْ
دَاْرَتِ الْـــكَـــأسُ وَدَاْرَ الْـــنَّـــغَـــمُ
وَأَنَـــاْ أَنْـــتَ وَمَـــاْلِـــي أَمَـــلٌ
أَنْـــتَ آمـــاْلِـــي وَأَنْـــتَ الـــنِّـــعَـــمُ

* * *

أَلِـــوَصْـــلٍ عِـــنْـــدَ وَادِي الْـــنَـــرْجَـــسِ
وَلَـــيَـــاْلِـــي الأُنْـــسِ «بِـــالْـــمُـــقْـــتَـــبِـــسِ»
مِـــنْ شُـــعَـــاْعٍ يُـــرْتَـــجَـــى أَوْ قَـــبَـــسِ
أَلْـــذِكْـــرَى فِـــي مَـــغَـــاْنِـــي «الْـــطَّـــاْئِـــفِ»

وَلَــيَــاْلٍ فِـــي «مِــنَـــى» وَ «الْــزَّاهِـــرِ»
وَهَـــوَىً أَرْضَـــعْـــتُـــهُ فِـــي «عُـــرْوَةٍ»
عَــوْدَةٌ تَــحْــلُــو لِــعَــيْــنِ الْــسَّــاْهِــرِ؟

* * *

مَــا لِــقَــلْــبِــي كُــلَّــمَــاْ هَــبَّــتْ صَــبَــا
هَـــزَّهُ الْـــشَّـــوْقُ لأَيَّـــامِ الـــصِّـــبَـــا
وَتَــمَــنَّــى الْــعَــيْــشَ فِــي تِــلْــكَ الْــرُّبَــى
هَـــكَـــذَا الْـــدُّنْـــيَـــا وِصَـــالٌ وَجَــفَــا
وَنَـــعِـــيْـــمٌ مُـــتْـــرَفٌ أَوْ عَـــدَمُ

فرَحَةٌ.. نَشْوَةٌ.. دَمْعَةٌ

أَقْبَلَتْ كَالْرَّبِيْعِ، كَالْشَّفَقِ الْضَّاحِكِ
كَالْبَدْرِ.. كَانْبِلاَجِ الْصَّبَاْحِ
تَتَهَاْدَى وَلِلْدَّلاَلِ فُتُونٌ
كَفُتُوْنِ السُّرُوْرِ فِي الأَفْرَاحِ
وَأَرِيْجٍ يَفُوحُ عِطْراً وَمِسْكاً
كَأَرِيْجِ الْزُّهُورِ فِي الإِصْبَاحِ
وَقَوَامٍ مُهَنَّدٍ إِنْ تَثَنَّتْ
أَيْنَ مِنْ فَتْكِهِ عَوَالِي الرِّمَاحِ
يَبْعَثُ الْنَّشْوَةَ الْجَمُوحَ تَنَزَّى
فِي غُدُوٍّ وجَيْئَةٍ وَرَوَاْحِ
قَسَماً بِالَّذِي حَبَاْكِ بِلَحْظٍ
وَخُدُودٍ صَبَغْتُهَاْ مِنْ جِرَاحِي
مَاْ سَلَوْتُ الْهَوَى وَحَسْبِي وَفَاءً
إِنْ صَحَاْ العَاشِقُونَ لَسْتُ بِصَاْحِي

* * *

ظَـلِّـلِـيـنِـي بِـوَاْرِفٍ مِـنْ غَـرَاْمِـي
أَسْـعِـدِيْـنِـي بِـهَـمْـسَـةٍ مِـنْ هُـيَـامِـي
أَلْـصِـقِـي صَـدْرَكِ الْـحَـنُـونَ بِـصَـدْرِي
تُـطْـفِـئِـي لَـوْعَـةً بِـهِ مِـنْ سَـقَـاْمِـي
زَمِّـلِـيْـنِـي بِـشَـعْـرِكِ الأَشْـقَـرِ الْـنَّـامِـي
وَبِـالْـعَـطْـفِ هَـدْهِـدِي لِـي مَـنَـاْمِـي
فِـي ظِـلاَلٍ مِـنَ الـرُّؤَى مَـرِحَـاْتٍ
فِـي نَـعِـيْـمٍ مِـنَ الْـهَـوَى وَالْـغَـرَاْمِ
إِنَّـمَـاْ الْـعُـمْـرُ غَـفْـوَةٌ يَـا حَـيَـاْتِـي
بَـيْـنَ وِرْدِ الـلَّـمـى وَنَـيْـلِ الْـمُـرَاْمِ
الْـمُـنَـى قَـدْ رَقَـصْـنَ فِـيْـهِ نَـشَـاوَى
ثُـمَ أَغْـفَـيْـنَ فِـي بَـقَـاْيَـاْ ابْـتِـسَـامِـي

* * *

أَنْـتِ يَـا نَـبـعَـةَ الـضِّـيَـاْءِ أَنِـيْـرِي
وَاغْـمُـرِي بِـالـضِّـيَـا مَـجَـالِـي ظَـلاَمِـي
طَـالَ لَـيْـلِـي مِـنَ الْـبُـكَـاْءِ وَسُـهْـدِي
وَاصْـطِـبَـارِي عَـلَـى جَـوَىً مِـنْ ضِـرَاْم
بَـيْـنَ آهٍ مِـنَ الْـكُـلُـوْم وَآهٍ
مِـنْ أُوَاْرٍ مُـبَـرِّحٍ فِـي عِـظَـاْمِـي
ضَـلَّ فِـي مَـهْـمَـهِ الْـحَـيَـاْةِ مَـسِـيْـرِي
مُـنْـعِـمَـاً، مُـمْـعِـنـاً، عَـظِـيْـمـاً مَـرَاْمِـي

مُـتْـلِـفـاً فِـي مَـرَاْتِـعِ الـلَّـهْـوِ عُـمْـرِي

لَـذَّةُ الْـعَـيْـشِ مَـطْـلَـبِـي وَاهْـتِـمَـاْمِـي

* * *

آذَنَ الْـفَـجْـرُ لَـيْـلَـتِـي ثَـمَّ وَلَّـتْ

وَانْـطَـفَـى آخِـرُ الـضِّـيَـا مِـنْ شُـمُـوْعِـي

هَـكَـذَاْ نَـحْـنُ يَـدْفِـنُ الْـبَـعْـضُ بَـعْـضَـاً

فِـي خِـضَـمٍّ مِـنَ الـرِّثَـاْ وَالْـدُّمُـوْعِ

هَـجْـعَـةٌ مَـا عَـرَفْـتُ نُـعْـمَـى مَـدَاهَـاْ

هَـلْ لَـهَـاْ آخِـرٌ، وَهَـلْ مِـنْ رُجُـوعِ

والأَمَـاْنِـي أَتَـخْـتَـفِـي فِـي أَمَـانٍ

دَامِـيَـاْتٍ بَـمُـهْـجَـتِـي وَالـضُّـلُـوعِ

لَـسْـتُ أَدْرِي أَلِـلْـبُـكَـاْ قَـدْ خُـلِـقْـنَـاْ

لَـسْـتُ أَدْرِي أَلِـلْـشَّـقَـاْ وَالْـخُـنُـوعِ؟؟

ميــلادُ حــبّ

حَــدِّثِ الْــكَــوْنَ عَــنْ هَــوَايَ الْــوَلِــيْــدِ
يَــا لَــيَــاْلِــي وَبَــارِكِــي لِــي وَلِــيْــدِي
وَاضْــفِــرِ الْــزَّهَــرَ يَــا رَبِــيْــعُ عُــقُــوداً
لِــلْــحَــبِــيْــبِ الْــجَــمِــيْــلِ كُــلُّ الْــوُرُودِ
وَاشْــهَــدِي يَــا نُــجُــومُ نَــجْــوَى غَــرَاْمِــي
وَادِّكَــاْرِي عَــلَــى تَــرَنُّــمِ عُــودِي
وَالأَضَــاْحِــي وَأُمْــسِــيَــاْتٌ عَــذَاْرَى
ضَــمَّــخَــتْــهَــاْ الْــمُــنَــى بِــعِــطْــرِ الْــوعُــودِ
وَتَــهَــاْدَي مَــوَاكِــبَ الْــشِّــعْــرِ بِــشْــراً
وَتَــبَــارَيْ بِــكُــلِّ مَــعْــنــىً فَــرِيْــدِ
تَــتَــغَــنَّــى بِــهِ الْــلَّــيَــاْلَــي الْــبَــكَــاْرَى
وَالأَنَــاسِــي بِــحَــاْضِــرٍ وَبِــبِــيْــدِ
وَانْــظُــمِــي مِــنْ رَوَائِــعِ الْــقَــوْلِ دُراً
يَــتَــبَــاهَــى بِــحُــسْــنِــهِ كُــلُّ جِــيْــدِ

وَأَعِيْدِي إِلَى الْزَّمَانِ صِبَاهُ
وَأَهِلِّي هِلاَلَ فَجْرٍ جَدِيْدِ
وَاْغْمُرِ اللَّيْلَ وَالْنَّهَاْرَ سُرُوراً
وَاْجْعَلِيْنِي أَقُولُ لَيْلَةَ عِيْدِي
وُلِدَ الْحُبُّ يَا دُنَا فاسْمَعِينِي
رَائِعَ اللَّحْنِ عَبْقَرِيَّ الْقَصِيْدِ
والبِسِي الْسُّنْدَسَ القَشِيْبَ وَتِيهِي
يَا رَوَابِي وَهَلِّلِي لِلْوَلِيْدِ
وَأَشِيْدِي بِمَنْ هَوَيْتُ فَفِيْهِ
كُلُّ مَاْ شِئْتِ مِنْ جَمَالِ الْوجُودِ
«شَرْكَسِيٌّ» سِمَاْتُهُ وَعَلَيْهِ
مُسْحَةُ الْنُّورِ مِنْ دِيَاْرِ الْوعُودِ
يَمْرَحُ الْدَّلُ فِي الْخُصُورِ وَتَسْرِي
فِتْنَةُ الْسِّحْرِ فِي اهْتِزَاْزِ الْقُدُودِ
يَسْبَحُ الْعِطْرُ فِي جَدَاْوِلِ شَعْرِ
مِنْ حَرِيْرٍ مُمَوَّجٍ وَنَضِيْدِ
فَتَرَى الْصُّبْحَ فِي ابْتَسَامَةِ ثَغْرٍ
وَتَرَى النَّاْرَ فِي احْمِرَاْرِ الْخُدُودِ
قُلْتُ وَالْشَّوْقُ يَسْتَحِثُّ مَسِيْرِي
وَيَلُفُّ الْحَنِيْنُ كَلَّ الْحُدُودِ
هَوَّمَ اللَّيْلُ يَاْ حَبِيبَةُ قُومِي
نَفْنَ فِي لَذَّةِ الْغَرَاْمِ الْعَتِيْدِ

أَيْقِظِ الْفَرْحَةَ النَّؤومَ تُدَوِّي
فِي سَمَاْنَاْ بِكلِّ لَحْنٍ شَرُودِ

حَلَّقَ اللَّحْنُ فَالنُّجُومُ نَشَاوَى
رَاقِصَاْتٌ عَلَى انْسِيَاْبِ الْنَّشِيْدِ

شَعْشِعِ اللَّيْلَ مِنْ بَهَاْكِ ضِيَاْءً
وَانْشُرِ الْبِشْرَ فِي مَدَاْهُ الْبَعِيْدِ

وَمُرِي اللَّيْلَ أَنْ يَطُولَ وَقُولِي
أَيُّهَاْ الْصُّبْحُ لاَ تُفِقْ مِنْ رُقُودِ

نَحْنُ عَطْشَى إِلَى اللِّقَا فَاسْقِنِيْهَاْ
مِنْ حُمَيَّا اللَّمَى وَوَرْدِ الْخُدُودِ

لَيْتَ

لَيْتَ مَنْ أَهْوَى مَعِي فِي وَحْدَتِي
وَأَنَاْ أَرْعَى سَهَارَى الأَنْجُمِ
وَعُيُونُ اللَّيْلِ يَقْظَى وَأَنَاْ
أَتَلَوَّى فِي فِرَاْشِ السَّقَمِ
ضَجَّ لَيْلِي مِنْ بُكَائِي وَاشْتَكَى
وَصَحَاْ الْفَجْرُ عَلَى صَوْتِ الْبُكَا
وَجِرَاْحِي نَازِفَاتٌ دَمَهَا
وَحَبِيْبِي عَنْ جِرَاْحَاْتِي عَمِي
أَلَمٌ أُفْرِغُهُ فِي أَلَمٍ
رَبِّ صَبِّرْنِي وَزِدْ فِي أَلَمِي

الضَّلالُ البعيدُ

ضَـلَّ فِـي حَـمْـأَةِ الْـحَـيَـاْةِ شَـبَـاْبِـي
وَاسْـتَـطَـاْبَـتْ سُـرَى الْـضَّـلاَلِ رِكَـاْبِـي
وَلَـبِـسْـتُ الْـمُـجُـونَ بُـرْداً قَـشِـيْـباً
وَرَكِـبْـتُ الْـصِّـعَـابَ فَـوْقَ الْـصِّـعَـاْبِ
مِـنْ خُـدُودِ الْـمِـلاَحِ كَـانَـتْ وُرُودِي
مِـنْ حُـمَـيَّـا الـشِّـفَـاْهِ كَـاْنَ شَـرَاْبِـي

* * *

وَالـلَّـيَـاْلِـي وَمَـا أُحَـيْـلاَكِ فِـيْـهَـاْ
إِذْ تَـمِـيسِـينَ فـي الْـحَـلَـى وَالْـشَّـبَـاْبِ
وَعَـلَـيْـنَـاْ مِـنَ الْـسُّـرُورِ ظِـلاَلٌ
لـعِـبَـتْ فِـيْـهِ بِـالْـنُّـهَـى وَالـلُّـبَـاْبِ

* * *

مَـرَّ فِـي خَـاطِـرِ الْـزَّمَـانِ وَأَمْـسَـى
حُـلُـمـاً فِـي دَوَاْثِـرِ الأَحْـقَـاْبِ

وَمَضَتْ نَزْوَةُ الْشَّبَابِ سِرَاعاً
وَانْطَوَتْ صَفْحَةُ الْهَوَى مِنْ كِتَابِي
فَإِذَاْ الْعُمْرُ حُلْمُ لَيْلَةِ أُنْسٍ
فِي فِرَاْشٍ مِنَ الأَمَاْنِي الْعِذَاْبِ

* * *

ضَحِكَ الْطَلُّ فِي مَآقِي الْصَّبَاحِ
يَا لَهُ ضَاْحِكاً بِعَيْنِ اكْتِئَاْبِ
فَتَّحَ الْزَّهْرُ مِنْ نَدَاْكَ وَشَاْعَتْ
فِتْنَةُ الْخُلْدِ فِي بِسَاْطِ الْرَّوَاْبِي
أَنَاْ يَا طَلُّ وَاْجِدٌ مِنْ غَرَاْمِي
أَنَاْ يَاْ طَلُّ ضَاْحِكٌ مِنْ عَذَاْبِي
ظُلُمَاْتٌ مِنَ الْشَّقَاْءِ حَيَاتِي
وَسَرَاْبٌ رَأَيْتُهَا فِي سَرَاْبِ
وَخَيَاْلٌ مُقَنَّعٌ بِخَيَاْلِي
كُلَّمَاْ اشْتَقْتُ لِلْبُكَاءِ سَرَى بِي

* * *

قَدْ بَلَوْتُ الزَّمَاْنَ حُلْواً وَمُرَّاً
وَاحْتَمَلْتُ الْرَّدَى عَلَى أَهْدَاْبِي
وَعَلَى هَاْجِرِي نَحَرْتُ فُؤَادِي
ثُمَّ كَفَّنْتُهُ بِبُرْدِ شَبَاْبِي

غدير البنات[1]

عَـــلَـــى غَـــدِيْـــرِ الْـــبَـــنَـــاتْ   جَـــآذِرٌ فَـــاتِـــنَـــاْتْ
سَـــحَـــرْنَـــنِـــي غَـــادِيَـــاْتْ   قَـــتَـــلَـــنْـــنِـــي رَائِـــحَـــاْتْ
عَـــلَـــى غَـــدِيْـــرِ الْـــبَـــنَـــاْتْ
يَـــطُـــفْـــنَـــهُ عَـــاْبِـــثَـــاْتْ   وَبِـــالْـــهَـــوَى حَـــالِـــمَـــاتْ
وَبِـــالْـــصِّـــبَـــاْ مُـــشْـــرِقَـــاتْ   وَفِـــي الْـــحِـــلَـــى مَـــائِـــسَـــاتْ
عَـــلَـــى غَـــدِيْـــرِ الْـــبَـــنَـــاتْ

* * *

رَدِّدِي يَـــاْ جِـــبَـــاْلْ   يَـــا رَوَابِـــي يَـــاْ تِـــلاَلْ
وَاشْـــهَـــدِي يَـــاْ رِمَـــاْلْ   أَبْـــدَعَ الـــلَّـــهُ الْـــجَـــمَـــالْ
عَـــلَـــى غَـــدِيْـــرِ الْـــبَـــنَـــاتْ
أَهُـــنَّ نَـــاْرٌ وَنُـــورْ   أَهُـــنَّ يَـــاْ قَـــلْـــبُ حُـــورْ
يَـــمِـــسْـــنَ بَـــيْـــنَ الـــزُّهُـــورْ   فَـــدَيْـــتُ تِـــلْـــكَ الْـــبُـــدورْ
عَـــلَـــى غَـــدِيْـــرِ الْـــبَـــنَـــاتْ

---

(١) متنزَّه بجوار الطائف.

رَقَـــصْـــنَ رَقْـــصَ الْـــخَـــبِـــيْـــر   عَـــلَـــى هَـــزِيْـــجِ الْـــخَـــرِيْـــرْ
وَنَـــفْـــحَـــةٍ مِـــنْ عَـــبِـــيْـــر   تَـــفُـــوحُ فَـــوْقَ الأَثِـــيْـــرْ
عَـــلَـــى غَـــدِيْـــرِ الْـــبَـــنَـــاتْ

* * *

رَدِّدِي يَـــــا جِـــــبَـــــالْ   يَـــــا رَوَابِـــــي يَـــــاْ تِـــــلاَلْ
وَاشْـــــهَـــــدِي يَـــــاْ رِمَـــــالْ   أَبْـــدَعَ الـــلَّـــهُ الْـــجَـــمَـــالْ
عَـــلَـــى غَـــدِيْـــرِ الْـــبَـــنَـــاتْ

شاعِرٌ وشاعِرة

تَــضَــوَّعَ مِــنْ بَــيَــاْنِــكِ كُــلُّ نَــادِي
وَطَــرَّبَ مِــنْ قَــصِــيْــدِكِ كُــلُّ شَــادِي
وَغَــنَّــى مِــنْ رَوِيِّــكِ كُــلُّ حَــاْدِي
وَنَــضَّــرَ مِــنْ حَــدِيْــثِــكِ كُــلُّ وَاْدِي
حَــدِيْــثٌ رَاْحُــهُ شُــرْبٌ حَــلاَلٌ
بِــهِ انْــتَــشَــتِ الْــحَــوَاضِــرُ وَالْــبَــوَاْدِي
فَــلاَ عَــجَــبٌ تَــهَــافُــتُــنَــاْ عَــلَــيْــهِ
كَــذَاْكَ الْــوِرْدُ يَــجْــمَــعُ كُــلَّ صَــاْدِي

* * *

وَشِــعْــرُكِ فِــيْــهِ مِــنْ صَــفْــوِ الــلَّــيَــاْلِــي
أَرِيْــجٌ سَــاْبِــحٌ مِــنْ عِــطْــرِ «كَــاْدِي»[1]
عَــلَــى نَــغَــمَــاْتِــهِ انْــتَــظَــمَ الْــنَّــدَامَــى
عَــلَــى «الْــخَــرَّارِ»[2] أَوْ سَــفْــحِ «الْــسِّــدَادِ»[3]

---

(١) شجيرة معروفة بالحجاز زهرها له رائحة عطرية ذكية.
(٢) متنزَّه قريب من عرفات.
(٣) متنزَّه جنوبي الطائف.

عَـلَـى أَفْـيَـاءِ «عُـرْوَةَ»[١] و «الْـعَـقِـيْـقِ»[٢]
عَـــلَـــى بَـــطْـــحَـــاءِ مَـــكَّـــةَ وَالْـــوِهَـــادِ
وَلَـــحْـــنٌ حَـــاْلِـــمٌ يَـــنْـــسَـــابُ دِفْـــئَـــاً
وَسَـــاْقٍ رَائِـــحٌ فِـــيْـــهِـــمْ وَغَـــاْدِي
وَمِـــزْمَـــاْرٌ يُـــغَـــرِّدُ وَالْـــبَـــوَاْدِي
تُـــصَـــفِّـــقُ وَالْـــرِّمَـــالُ لَـــهَـــا أَيَـــاْدِي
وَنَـــايٌ يَـــغْـــمُـــرُ الْـــقِـــيْـــعَـــانَ أُنْـــسَـــاً
وَكُـــتْـــبَـــانٌ رَقَـــصْـــنَ مَـــعَ الْـــنِّـــجَـــادِ

* * *

أَثَـــرْتِ كَـــوَاْمِـــنَـــاً وَبَـــعَـــثْـــتِ ذِكْـــرَى
سَـــقَـــاْهَـــاْ الـــلَّـــهُ هَـــتَّـــاْنَ الْـــغَـــوَاْدِي
وَجُـــزْتِ بِـــيَ الْـــحُـــدُودَ إِلَـــى مَـــدَاْهَـــاْ
وَأَيـــقَـــظْـــتِ الـــشُّـــجُـــونَ مِـــنَ الـــرُّقَـــاْدِ
وَعُـــدْتُ أسَـــاْئِـــلُ الأَيَّـــاْمَ عَـــنْـــهُـــمْ
وَأَجْـــأَرُ شَـــاكِـــيَـــاً ظُـــلْـــمَ الْـــعَـــوَاْدِي

* * *

فَـــأَيْـــنَ مَـــهَـــا الـــرَّصَـــاْفَـــةِ أَيـــنَ (لَـــيْـــلَـــى)؟
وَقَـــيْـــسٌ وَالْـــهَـــوَى مِـــلءُ الْـــبَـــوَاْدِي

---

(١) متنزَّه بجوار المدينة المنورة.

(٢) مكان معروف بجوار المدينة المنورة وقد تغنى به الشعراء الأقدمون كثيراً.

وَأَيْــنَ (بِــجِــلَّــقٍ)[1] سَــمَــرٌ وَلَــهْــوٌ
وَلَــيْــلٌ فِــي رُبَــى (الــزَّهــرَاءِ)[2] نَــاْدِي
لَــيَــاْلٍ كَــمْ شَــرِبْــنَــاْ فَــي سَــنَــاْهَــا
رَحِــيــقــاً صُــبَّ مِــنْ دَنِّ الْــوِدَاْدِ

* * *

مَــوَاكِــبُ مِــنْ عُــيُــونِ الــشِّــعْــرِ تَــتْــرَى
تُــنِــيــرُ ظَــلاَمَ مَــاْضٍ فِــي فُــؤَادِي
أَرَى (وَلاَّدَةَ)[3] ارْتَــسَــمَــتْ عَــلَــيْــهِ
أَرَى لأْلاَءَ (بُــثْــنَــةَ)[4] وَ (اعْــتِــمَــادِ)[5]
أَرَى ابْــنَ «أَبِــي رَبِــيْــعَــةَ» فِــي الْــقَــوَاْفِــي
وَشِــعْــرُكِ مِــنْــهُ مَــشْــبُــوبُ الْــزِّنَــادِ
أَرَى فِــيْــهِ صَــيَــاْصِــي الْــمَــجْــدِ قِــدْمــاً
أَرَى الأَبْــطَــالَ فِــي يَــوْمِ الْــتَّــنَــاْدِي
أَرَى (وَاْدِي[6] الْــقُــرَى) وَرِيَــاْضَ شِــعْــرٍ
وَحُــبــاً فِــيْــهِ مُــنْــطَــلِــقُ الْــقِــيَــادِ

---

(١) دمشق.

(٢) مدينة بضواحي قرطبة بناها الخليفة عبد الرحمن الناصر الأندلسي.

(٣) حبيبة الشاعر ابن زيدون.

(٤) حبيبة الشاعر جميل بن معمر.

(٥) زوج المعتمد بن عباد صاحب اشبيليه وقد قال فيها غرر قصائده.

(٦) وادي العشاق العذريين وهو بجوار المدينة المنورة.

يَـــرَى فِـــي شِــعْـــرِكِ الـــنُّـــسَّـــاكُ نُـــوراً
وَلِـــلـــعُـــشَّـــاْقِ فِـــيْـــهِ خَـــيْـــرُ زَاْدِ

* * *

كَـــأَنَّ الْـــيَـــوْمَ مِـــنْ أَيَّـــاْمِ عَـــهْـــدٍ
بِـــمَـــكَّـــةَ، بِـــالْـــشَّـــآمِ، وَبِـــالْـــسَّـــوَادِ[1]

(١) العراق.

أَلــوهـــا[١]

«أَلُـــــــــوهَـــــــــاْ»!

قُـــلْـــتُ: يَـــا رُوحِـــي «أَلُــوهَـــا»

«هَـــــلُـــــــو»! مَـــــنْ أَنْــــــتِ؟

قَـــــالَــــتْ: مِـــــنْ هَـــــوَائِــــــي[٢]

بِـــــلادُكِ جَـــــنَّـــــةُ الـــــدُّنْـــــيَـــــاْ..

أَجَـاْبَـتْ: وَأَجْـمَـلُ جَـنَّـةٍ فِـيْـهَـا «كَـوَائِـي»[٣]

أَحَــقْــاً؟ لَــسْــتُ أَدْرِي؟ غَــيَــرَ أَنِّــي

أَرَاكِ هَــبَــطــتِ مِــنْ عَــلْــيَــا الْــسّــمَــاءِ

تُـشِـيْـعِـيــنَ الْـسَّـعَـادَةَ فِـي حَـيَـاْتِـي

وَيَـــغْـــمُـــرُهَـــاْ وجُـــودُكِ بِـــالْـــضِّـــيَـــاءِ

تُـــعِـــيْـــدِيـــنَ الْـــسُّـــرُورَ إِلَـــى فُـــؤَادٍ

بَـــرَاْهُ الْـــسُّـــهْـــدُ مِـــنْ طُـــولِ الْـــبُـــكَـــاءِ

---

(١) التحية عند أهالي جزر الهواي.

(٢) جزر الهواي في المحيط الباسفيكي (الهادي).

(٣) إحدى جزر الهواي الأربع ولعلها أجملهن.

فَقَدْ عَصَفَتْ بِهِ سُودُ اللَّيَالِي
وَطَالَ الْجُرْحُ.. هَلْ لِي مِنْ دَوَاْءِ؟
أَيَاْ عَسَلِيَّةَ الْعَيْنَيْنِ جُودِي
فَوَصْلُكِ بَلْسَمٌ مِنْ كُلِّ دَاءِ
جَمَالُكِ شَعْشَعَ الآفَاقَ نُوراً
وَعَطَّرَهَا بِأَنْدَاءِ الرَّجَاءِ
فَلَيْلُكِ كُلُّهُ مَرَحُ وَلَهْوٌ
وَيَوْمُكِ بِالرُّؤَى حُلْوُ السَّنَاءِ
تِلالُكِ سُنْدُسٌ خُضْرٌ وَزَهْرٌ
وَبَحْرُكِ سَاكِنٌ عَذْبُ الْهَوَاْءِ
«كَوَاْئِي» مَا أُحَيْلاَكِ كَوَاْئِي
لَقَدْ أَرْجَعْتِ عُمْرِي لِلْوَرَاءِ
شَبَاْبِي عَاْدَ يَنْتَظِمُ اللَّيَالِي
فَصُبْحِي قَدْ وَصَلْتُ مَعَ الْمَسَاْءِ
لَقَدْ أَنْسَيْتِنِي «لَيْلَى» وَ «سَلْمَى»
وَعَهْداً كَاْنَ شَفَّافَ الرُّوَاْءِ
وَفَجَّرْتِ الْقَرِيضَ سُيُولَ مَاْءٍ
جَرَتْ حُبًّا عَمِيْقاً فِي دِمَاْئِي
تَبَسَّمَتِ الْمَلِيْحَةُ عَنْ نَضِيْدٍ
لآلِىءُ فِي الصَّفَاءِ وَفِي النَّقَاْءِ

وَشَعْرٍ أَيْنَ مِنْهُ الْتِّبرُ حُسْناً
تَدَلَّى سَابِحاً فَوْقَ الْرِّدَاءِ
وَعِقْدٍ فَوْقَ جِيْدٍ عَسْجَدِيٍّ
كَمِصْبَاحٍ عَلَى عُنُقِ الظِّبَاْءِ
وَقَدٍّ إنْ تَثَنَّتْ سَيْفُ هِنْدٍ
يَقُدُّ الْصَّخْرَ مِنْ عَزْمِ الْمضَاءِ
كَأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْ مَثِيلاً
لَهَاْ فِي الأَرْضِ حَتَّى وَالسَّمَاءِ
كَأَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَهَاْ مَلاَكاً
لِتُسْعِدَ خَلْقَهُ بَعْدَ الْعَنَاءِ
فَلَوْلاَهَا لَمَا كَانَتْ هَوَاْئِي
وَلاَ كَانَتْ «كَوَاْئِي» مِنْ «هَوَائِي»
وَلَوْلاَ دَفْقُ إِيمَانٍ بِقَلْبِي
لَقُلْتُ الْخُلْدُ أَصْبَحَ فِي كَوَاْئِي
«هَوَاْئِي» لَيْتَ شِعْرِيَ يَاْ هَوَائِي
عَرَفْتُكِ وَالْصِّبَاْ مَلْءُ الْرِّدَاءِ

* * *

تَلَفَّتَتِ المَلِيْحَةُ وَهِيَ تَزْهُو
وَقَالَتْ: قَدْ أَطَلْتَ مِنَ الْثَّنَاءِ
فَمَنْ أَنَا يَاْ تُرَى؟ بِاللَّهِ قُلْ لِي
وَعَيْنَاْهَا تَشِعُّ مِنَ الْذَّكَاءِ

«أَرَابِـــي»[1] أَنْـــتَ؟ قُـــلْـــتُ أَجَـــلْ أَرَابِـــي
وَمِـــنْ بَـــلَـــدِ الْـــكَـــرَامَـــةِ وَالإِبَـــاءِ
بِـــــلاَدِي قِـــــبْـــــلَـــــةُ الإِسْـــــلاَمِ
أَدْرِي: وَرَأسُ الْـمَـالِ أَيْـضَـاً وَالْـعَـطَـاءِ
بِـــهَـــذَاْ الْـــمَـــالِ تَـــفْـــعَـــلُ مَـــا تَـــشَـــاْءُ
بِـــهَـــذَا الْـــمَـــالِ تَـــسْـــعَـــى لِـــلْـــبِـــنَـــاءِ
تُـــشِـــيـــدُ مَـــصَـــاْنِـــعـــاً، وَتُـــشِـــيـــدُ دُوراً
وَتَـــبْـــنِـــي لِـــلْـــهَـــوَى عُـــشَّ الْـــهَـــنَـــاءِ
أَراكِ عَـــلـــيـــمَـــةً بِـــالـــمـــالِ مِـــنّـــي
وَأَيْـــضَـــاً بِـــالـــفُـــنـــونِ مِـــنَ الـــغِـــنـــاءِ
أَرَاْكِ فَـــــرِيـــــدَةً فِـــــي كُـــــلِّ شَـــــيءٍ
أَرَاكِ مَـــلِـــيْـــكَـــةً بَـــيْـــنَ الْـــنِّـــسَـــاْءِ
وَلَـــكِـــنْ؟.. مَـــا الَـــذِي تَـــعْـــنَـــي بِـــلاَكِـــنْ
مَـــتَـــى تَـــبْـــنِـــيـــنَ عُـــشَّـــكِ فِـــي كَـــوَائِـــي
أَرَاكَ عَـــجِـــلْـــتَ فِـــي أَمْـــرِي قَـــلِـــيْـــلاً
لَـــعَـــمْـــرِي مَـــنْ يُـــشَـــارِكُـــنِـــي بِـــنَـــائِـــي
مَـــتَـــى أَجِـــدِ الْـــشَّـــرِيْـــكَ بَـــنَـــيْـــتُ عُـــشِّـــي
عَـــلَـــى أُسُـــسِ الـــمـــحَـــبَّـــةِ وَالْـــوَلاَءِ
أَلَـــــمْ تَـــــجِـــــدِيْـــــهِ حَـــــتَّـــــى الآنَ
قَـــالَـــتْ: أَرَاْنِـــي قَـــدْ قَـــرُبْـــتُ مِـــنَ الـــلِّـــقَـــاءِ

---

(١) عربي.

لَـقَـدْ أَحْـبَـبْـتُ حَـقًّـا غَـيْـرَ أَنِّـي
أَرَانِـي قَـدْ هَـوَيْـتُ بِـلاَ رَجَـاْءِ
فَـمَـنْ أَهْـوَى قَـرِيْـبٌ مِـنْ فُـؤَادِي
بَـعِـيْـدٌ عَـنْ بِـلاَدِي يَـا شَـقَـائِـي
صَـبَـرْتُ فَـلَـمْ يَـعُـدْ لِـلْـقَـلْـبِ صَـبْـرٌ
وَأَسْـبَـلَـتِ الْـدُّمُـوعَ سُـيُـولَ مَـاْءِ
إِلَـهِـي: مَـا الَّـذِي يُـبْـكِـيْـكِ؟.. قَـالَـتْ:
أَمَـاْ تَـدْرِي؟.. فَـقُـلْـتُ أَيَـاْ غَـبَـاْئِـي
أُحِـبُّـكِ لاَ «الْـمُـحِـيـطُ»[1] وَمَـاْ حَـوَاهُ
بِـأَعْـظَـمَ مِـنْ «هَـوَاْيَ» وَلاَ «هَـوَاْئِـي»
أُحِـبُّـكِ.. وَارْتَـمَـتْ جَـذْلَـى وَقَـالَـتْ:
سَـتَـبْـقَـى؟؟.. قُـلْـتُ طُـوبَـى لِـلْـبَـقَـاْءِ
تَـعَـاهَـدْنَـاْ وَأَشْـهَـدْنَـاْ الْـدَّرَاْرِي
عَـلَـى حَـبٍّ تَـرَعْـرَعَ فِـي «كَـوَاْئِـي»

---

(١) المحيط الهادي.

نــداءُ العيـــون

أَمْسَتْ لَيَالِي الْهَنَا حُلْماً تُنَاجِيْنَا
وَأَصْبَحَتْ ذِكْرَيَاتُ الْحُبِّ تُشْقِينَا

كُنَّا خَلِيْلَيْنِ فِي دُنْيَا الْغَرَامِ وَقَدْ
أَضْفَتْ عَلَيْنَا مِنَ النُّعْمَى أَفَانِيْنَا

نُسْقَى حُمَيَّا الْهَوَى فِي الْكَأْسِ مُتْرَعَةً
مَمْزُوجَةً بِحَنَانٍ كَانَ يُحْيِينَا

وَلِلْصِّبا فِي قَشِيْبِ الْبُرْدِ رَوْعَتُهُ
وَلِلْعيُونِ «نِدَاءٌ» كَادَ يُغْرِيْنَا

وَرِقَةٍ فِي دَلاَلٍ زَانَهُ خَفَرٌ
وَعِفَةٍ تَوَّجَتْ فَخراً لَيَالِيْنَا

نُمْسِي وَنُصْبِحُ وَالأَفْرَاحُ تَغْمُرُنَا
وَنَحْنُ فِي نَشْوَةٍ حَلَّتْ مَجَالِيْنَا

وَالْسَّامِرُونَ بِذكْرَانَا شَدَوْا طَرَباً
وَالْعَاشِقُونَ تَمَنَّوْا مِنْ أَمَانِينَا

وَلــلِــقــيَــانِ غِـــنَـــاءٌ هَـــزَّ سَـــاْمِـــرَنَـــا
وَلِــلْــنَــدَّامَــى حُــمَــيَّــاْ مِــنْ تَــصَــاْفِــيــنَــا
وَلِـــلْـــنَـــسَـــائِـــمِ أَنْـــفَـــاسٌ مُـــعَـــطَّـــرَةٌ
مِـنْ نَـفْـحِـكِ الْـطَّـيِـبُ كَـافُـوراً وَنِـسْـرِيـنَـا
وَالْـــمَـــاءُ يَـــنْـــسَـــابُ وَالأَشْـــجَـــارُ رَاقِـــصَـــةٌ
وَالــطَّــيْــرُ تَــسْــجَــعُ وَالْــدُّنِــيَــا تُــهَــنِّــيْــنَــا

أَيُّهـــا السَّاقي

أَيُّهَا السَّاقِي أَدِرْ كَأْسَ النَّدَامَى
وَاسْقِنَا مِنْ ثَغْرِكَ الْحُلْوِ الْمُدَامَا
نَحْنُ بِالْحُبِّ سُكَارَى مَا أَفَقْنَا
فَلْنُقَضِّ الْعُمْرَ يَا صَحِبْي هَيَامَا
هَاتِ رَاحَ الْحُبِّ أَنْفَاسَ الْعَذَارَى
هَاتِ نَفْحَ الصُّبْحِ مِنْ رَيَّا الْخُزَامَى
يَا نَدَامَى أَتْرِعُوْا كَأْسِي وَغَنُّوْا
وَامْلأوا الدُّنْيَا نَشِيْداً يَا نَدَامَى
إِنَّمَا أَعْمَارُنَا يَوْمٌ مُضِيءٌ
إِنْ تَغِبْ شَمْسُ الْهَوَى يُمْسِ ظَلامَا

ذِكْـــــرى

مَــاضِــيَ الْــذِّكْــرَى!

إِلَــــــــيَّـــــا

إِنَّ فِــــي جَــــنْـــــبِـــــيَّ شَــــيَّــــا

مِـــــنْــــكِ يَـــا ذِكْـــــرَى

إِنْ تَـــــدَرَّعْـــــتُ بِـــــصَـــــبْـــرِي ضَـــاْقَ ذَرْعـــاً مِـــنْـــهُ صَـــدْرِي

يـــا لَـــفِــكْــرٍ سَـــارْحٍ يَـــسْـــرِ تَـــائِــهـــاً فِـــي مَـــهْـــمَـــهٍ قَـــفْـــرِ

وَاسِـــــعَ الأَرْجَـــاءِ أَعْـــشَـــــى الأُفُـــقِ

لَــيْــسَ يَــدْرِي مَـــاْ يَــعِــي أَوْ يَــتَّــقِــي

مِـــــنْــــكِ يَـــاْ ذِكْـــــرَى

* * *

فِــيْــكَ يَــاْ قَــلْــبِــي أَنِــيــنٌ لاَ يَــبِــيــنْ

وَالْــهَــوَى الْــعِــرْبِــيْــدُ فِــيْــهِ مُــسْــتَــكِــيــنْ

مِــــنْ جِــــرَاْحِ الْــــقَــــدَرْ مِــــنْ دُمُــــوعِ الْــــسَّــــهَــــرْ

مِـــــنْــــكِ يَـــاْ ذِكْـــــرَى

* * *

وَسَـــــرَى مَـــــا قَـــــدْ سَــــرَى أَنَّ قَـــلْــــبِــــي انْـــــتَــــحَــــرَا

أَنَّــنِـي أُقْـصِـيـتُ عَــنْ دُنْـيَـا الْـنَّـدَاْمَـى

وَالْـــــهَـــــيَـــــامَـــــى

وَعَــشِــيَّـــاتِ الْــمــجُــونْ

* * *

إِنَّـــــمَـــــا دُنْـــــيَـــــاي لُــــهْــــوٌ وَمُـــجُــــونْ

وَلَـــــيَـــــالٍ «وَلَــــيَـــــالــــي» وَفُــــتُــــونْ

عَــــرْبَــــدَ الــلَّــيْــلُ وَلِــلَّــيْــلِ جُــنُــونْ

فَـــاسْـــقِـــيـــنَـــهَـــا قُـــبُـــلاَتٍ وَشُـــؤونْ

مُــــتْــــرَعَــــاتٍ بِــــلَــــذَاْذَاْتِ الْــــوِصَــــالْ

رَدَّدَ الـــــلَّـــــيْـــــلُ صَـــــدَاْهَـــــا

كَـــــلَّـــــلَ الْــــــفَــــــجْــــــرَ نَــــــدَاْهَـــــا

بِــأَزَاْهِــيْــرِ الأَمَــانِــي وَالْــجَــمَــالْ

مِـــــنْـــــكِ يَـــــاْ ذِكْـــــرَى

رَنَّـــحَ الـــلَّـــيْـــلَ سُـــهَـــادُ الأَمَـــلِ

وَرَتِـــيْـــبٌ مِـــنْ بُـــكَـــاءٍ وَأَنِـــيـــنْ

وَاسْــتَــبَــتْــهُ تَــمْــتَــمَــاْتُ الْــقُــبَــلِ

وَهْــيَ نَــشْــوَى فِــي شِــفَــاْهِ الْــعَــاشِــقِــيــنْ

فِـــيْـــكَ يَـــا لَـــيْـــلُ سُـــفُـــورٌ
لِـــلْـــفُـــجُـــورْ
فِـــيْـــكَ يَـــا لَـــيْـــلُ ظُـــهُـــورٌ
لِـــلْـــبُـــدُورْ
فِـــيْـــكَ نَـــجْـــوَى وَحَـــنِـــيْـــنْ
مِـــنْـــكِ يَـــاْ ذِكْـــرَى

بَـــزَغَ الْـــفَـــجْـــرُ وَلَـــيْـــلِـــي انْـــسَـــحَـــبَـــا
مُـــغْـــضَـــبَـــا
وَطُـــيُـــورُ الْـــرَّوْضِ تَـــشْـــدُو مَـــرْحَـــبَـــا
مَـــرْحَـــبَـــا
بِـــالْـــضِّـــيَـــا بِـــاْلـــبِـــشْـــرِ فِـــي هَـــذَاْ الْـــصَّـــبَـــاحْ
وَزُهُـــورُ الْـــحَـــقْـــلِ يَـــعْـــلُـــوهَـــا الْـــبَـــهَـــاءْ
وَاخْـــضِـــرَاْرٌ نَـــاضِـــرٌ فِـــيْـــهِ رُوَاءْ
وَأَرِيْـــجٌ مِـــنْ لَـــيَـــالِـــيْـــهَـــا الْـــمِـــلاَحْ
مِـــنْـــكِ يـــا ذِكْـــرَى

يَـــا رَسِـــيْـــسَ الْـــحُـــبِّ
ذِكْـــــــــــــرَى
أَمَـــلٍ لاَقَـــى الْـــمَـــنُـــونَـــا
صُـــنْـــتُـــهُ الْـــعُـــمْـــرَ بِـــقَـــلْـــبِـــي
وَتَـــحَـــمَّـــلْـــتُ الْـــظُّـــنُـــونَـــا

وَلَـــيَـــالٍ بِـــتُّ أَشْـــكُـــوهَـــا غَـــرَاْمِـــي
خِـــلْـــتُ لِـــلَّـــيْـــلِ سَـــمَـــاعـــاً وَعُـــيُـــونـــاً
وَجَـــــــنَـــــــانَـــــــا
مِـــــنْـــــكِ يَـــــاْ ذِكْـــــرَى

* * *

مَـــنْ مُـــجِـــيْـــرِي فِـــي لَـــيَـــاْلِـــيَّ الْـــيَـــبَـــابْ
مَـــنْ لِـــقَـــلْـــبِـــي مِـــنْ أَفَـــانِـــيـــنِ الْـــعَـــذَابْ
إِنَّ لِـــــلْـــــهَـــــجْـــــرِ بِـــــهِ زَمْـــــزَمَـــــةً
وَأَمَـــــاْنِـــــيْـــــهِ سَـــــرَاْبٌ فِـــــي سَـــــرَابْ
مِـــــنْـــــكِ يَـــــاْ ذِكْـــــرَى
أَنْـــتِ يَـــا ذِكْـــرَى حُـــمَـــيَّـــا لَـــيْـــلَـــتِـــي		أَنْـــتِ تُـــدْنِـــيـــنَ بَـــعِـــيـــدِي وَالْـــقَـــرِيـــبْ

الحــــب الموْءودُ

رَقَّ لَــيْــلِــي وَرَاْقَ شَــدْوُ قِــيَــاْنِــي
«وَدَعَــاْنِــي إِلَــى الْــهَــوَى مَــاْ دَعَــانِــي»
فَـاسْـتَـجَـاْبَـتْ إِلَـيْـهِ نَـفْـسِـي وَرُوحِـي
وَانْــتَــشَــتْ مِــنْــهُ صَــادِيَــاتُ الأَمَــانِــي
قَــهْــقَــهَ الْــدَّهْــرُ مِــنْ ضَــلاَلِ مَــسِــيْــرِي
وَانْــطِــلاَقِــي وَرَاْءَ أَهْــلِ الْــمــغَــانِــي
سَــاْدِرَ الْــخَــطْــوِ مُــمْــعِــنــاً لاَ أُبَــالِــي
كُــلُّ شَــيءٍ يَــهُــونُ دُونَ الْــحِــسَــانِ
بَــيْــنَ نَــايٍ وَبَــيْــنَ دَفٍّ، وَعُــودٍ
بَــيْــنَ هَــذِي وَبَــيْــنَ تِــلْــكَ تَــرَاْنِــي
عَـجِـبَ الْـنَّـاسُ مِـنْ تَـخَـصُّـصِ شِـعْـرِي
فِــي الْــغَــوَاْنِــي وَمــا دَرَوْا مَــا الْــغَــوَاْنِــي
رُبَّ لَــيْــلٍ وَصَــلْــتُــهُ بِــنَــهَــارٍ
وَنَــهَــارٍ بَــلَــوْتُــهُ أَبْــلاَنِــي

ظُـلْـمَـةٌ مِـنْ هُـمُـومِ بُـؤْسِـي وَيَـأْسِـي
وَسُــرَىً فِــي مَــجَــاهِــلِ الْــحِــرْمَــانِ

* * *

أَنَــا يَــا لَــيْــلُ نَــايُ حُــزْنٍ عَــمِــيْــقٍ
رَنَّ إِيــقَــاعُــهُ بِــكُــلِّ مَــكَــانِ
أَيُّــهَــا الــلاَّبِــسُ الْــسَّــوَادَ دَوَامــاً
إِنَّــنِــي أَنْــتَ فِــي الأَسَــى صِــنْــوَانِ
قَــدْ وَأَدْنَــا غَــرَامَــنَــا وَهُــوَ طِــفْــلٌ
يــا لَــعُــظْــمِ الْــمُــصَــابِ وَالْــخُــسْــرَانِ

خُدا حافِظ

«خُـــدَا حَـــافِـــظ».. «خُـــدَا حَـــافِـــظ»[١]

لِـقَـلْـبِـي مِـنْ فُـتُـونِـكِ وَالـلَّـوَاْحِـظْ

أَتَـــخْـــشَـــى مِـــنْ لِـــحَـــاْظِـــي..؟

قُـــلْـــتُ: لِـــمْ لاَ؟؟

وَهُـــنَّ أَشَـــدُّ مِـــنْ وَقْـــعِ الْـــنِّـــبَـــالِ

أَرَى..

مَـــاذَاْ تَـــرَى؟ بِـــالـــلَّـــهِ قُـــلْ لِـــي..

وَأَقْـــصِـــرْ فِـــي الإِجَـــابَـــةِ عَـــنْ سُـــؤَالِـــي

أَرَى يَـــا مُـــنْـــيَـــتِـــي نُـــوراً وَنَـــاراً

وَكَـــوْنـــاً لاَ يُـــحَـــدُّ مِـــنَ الْـــجَـــمَـــالِ

أَرَى.. إِيـــوَانَ كِـــسْـــرَى فِـــي عُـــلاَهُ

وَحَـــشْـــداً فِـــي الْـــسِّـــلاَحِ مِـــنَ الْـــرِّجَـــالِ

وَسَـــدَّ الْـــصِّـــيْـــنِ «كُـــوروشُ» قـــد بَـــنَـــاهُ

وَأَرْسَـــاهُ عَـــلَـــى قِـــمَـــمِ الْـــجِـــبَـــالِ

---

(١) بحفظ الله.. أو مَع السَّلامة..

أَرَى.. أَجْـراً، وَتَـاجَ مَـحَـلَّ عِـنْـدِي
وَحُـبًّـا مِـنْ أَقَـاصِـيْـصِ الْـخَـيَـالِ
أَضَـاْءَ عَـلَـى الْـدُّنَـا شَـرْقـاً وَغَـرْبـاً
وَنَـدَّى عِـطْـرُهُ هَـامَ الْـتِّـلاَلِ
بِـهِ الْـسُّـمَّـارُ فِـي الْـنَّـدَوَاْتِ غَـنَّـوْا
وَرَدَّدَهُ الْـحُـدَاْةُ عَـلَـى الْـجِـمَـالِ
أَرَى الأَصْـبَـاحَ مِـنْـكِ فِـي سَـنَـاهُ
مِـنِّـي.. أَنْـاْ.. لاَ.. لاَ . .
فَـذَاْكَ مِـنَ الْـمُـحَـالِ
لَـعَـمْـرِي أَنْـتَ تَـسْـخَـرُ..
لاَ وَرَبِّـي
وَرَبُّـكِ ذُو الْـمَـهَـابَـةِ وَالْـجَـلاَلِ
لَـقَـدْ لَـوَّنْـتِ هَـذَا الـلَّـيْـلَ حَـتَّـى
ظَـنَـنْـتُ الـلَّـيْـلَ شَـعْـرَكِ قَـدْ بَـدَاْ لِـي
لأَنْـتِ الْـنَّـجْـمَـةُ الْـكُـبْـرَى أَمَـدَّتْ
نُـجُـومَ الْـكَـوْنِ نُـوراً كَـالَّـلآلِـي
لَـقْـدَ أَغْـرَقْـتَ فِـي مَـدْحِـي وَوَصْـفِـي
بِـمَـعْـسُـولٍ مِـنَ الْـسِّـحْـرِ الْـحَـلاَلِ
كَـأَنَّـكَ مَـا عَـرَفْـتَ سِـوَاْيَ قَـبْـلاً
كَـأَنَّ الْـحُـبَّ قَـلْـبُـكَ مِـنْـهُ خَـالِ

* * *

فُـــــؤَاْدِي أَنْـــــتَ أَوَّلُ مَــــــنْ غَـــــزَاهُ
فَــأَسْــلَــمَــك الْــزِّمَــامَ بــلاَ نَــضَــالِ
أَتَــبْــتَــسِــمِــيْــنَ..؟
هَـــــلْ أَبْـــــكِـــــي؟ أَتَـــــرْضَـــــى؟
فَـــــدَيْــــــتُـــــــكِ.. لاْ..
إِذاً... رِفْــقــاً بِــحَــاْلِــي
أَوَصْــلاً تَــبْــتَــغِــي؟ هَــيْــهَــاتَ أَمْــرٌ
لَــعَــمْــرِي إِنَّــهُ صَــعْــبُ الْــمَــنَــالِ
يَــهُــونُ عَــلَــيْــكِ تَــعْــذِيــبِــي وَسُــهْــدِي
أَنَـــــــــاْ..؟
بَـــــلْ أَنْـــــتِ.. يَـــــا ذَاْتَ الْـــــدَّلاَلِ
لِــحَــاظُــكِ.. كُــلُّ هَــذَاْ مِــنْ لِــحَــاْظِــي!!
فَــمَــاْ ذَنْــبِــي إِذاً.. بَــلْ لِــمْ أُبَــاْلِــي
نَــصَــبْــتَ شِــرَاْكَ حُــبِّــكَ حَــوْلَ قَــلْــبِــي
فَــكُــنْــتَ الْــصَّــيْــدَ يَــرْقُــصُ فِــي حِــبَــالِــي
تَــرَكْــتُــكَ سَــاْبِــحــاً فِــي بَــحْــرِ وَهْــمٍ
وَأَحْـــلاَمٍ مُـــجَـــنَّـــحَـــةِ الْـــخَـــيَـــالِ
لِـــكُـــلِّ خَـــرِيْـــدَةٍ ثَـــمَـــنٌ وَهَـــذَاْ
جَـــزَاْؤُكَ إِنَّـــهُ يَـــاْ صَـــاْحِ غَـــاْلِـــي
سَــأَرْحَــلُ عَــنْ قَــرِيْــبٍ.. يَــاْ لَــبُــؤْسِــي
سَــتَــسْــلُــوَنِــي عَــلَــى مَــرِّ الــلَّــيَــالِــي

أَأَسْــلُــو؟ كَـيْـفَ أَسْـلُـو.. يَـا حَـيَـاتِـي
فَــدَيْــتُــكِ مَــا أَنَــاْ وَالــلَّــهِ سَــالِــي

* * *

أَحَــقًّــا أَنْــتَ تَــهْــوَاْنِــي بِــصِــدْقٍ
أَمَ انَّــكَ طَــامِــعٌ فِــي بَــعْــضِ مَــالِــي
أَمَ انَّــكَ حَــافِــظٌ شِــعْــرَ الْــهَــيَــامَــى
تَــصُــوغُ الْــقَــوْلَ مَــاءً كَــالْــزُّلاَلِ
لِـتَـخْـدَعَـنِـي.. فَـأَسْـقُـطَ. ثُـمَّ تَـمْـشِـي
عَــلَــى أَشْــلاَءِ طُــهْــرِيَ بِــالْــنِّــعَــالِ
فَـلاَ الْـصَّـرَخَـاتُ تُـرْجِـعُ لِـي عَـفَـافِـي
وَقَــدْ مَــرَّغْــتَــهُ فَــوْقَ الــرِّمَــالِ

* * *

يَـمِـيْـنـاً لَـسْـتُ مِـنْـهُـمْ صَـدِّقِـيْـنِـي
فَــمَــا أَحَــدٌ سِــوَاكِ غَــدَا بِــبَــالِــي
لَـئِـنْ سَـبَّـحْـتُ كُـنْـتِ دُعَـاءَ قَـلْـبِـي
وَإِنْ صَـلَّـيْـتُ كُـنْـتِ صَـدَى ابْـتِـهَـالِـي
أَسِـيـرُ عَـلَـى ضِـيَـائِـكِ فِـي طَـرِيـقِـي
وَفِــي الأَسْــحَــاْرِ أَنْــتِ رُؤى خَــيَــالِــي
سَـأَبْـقَـى ـ مَـاْ حَـيِـيـتُ - أَسِـيـرَ حُـبٍّ
يُــنِــيــرُ دُجَــى لَــيَــالِــيَّ الْــطِّــوَالِ

«خُـــــدَاْ حَـــــافِــــظْ» . . .

إِلَــى أَيَّــاْنَ تَــمْــضِــي؟

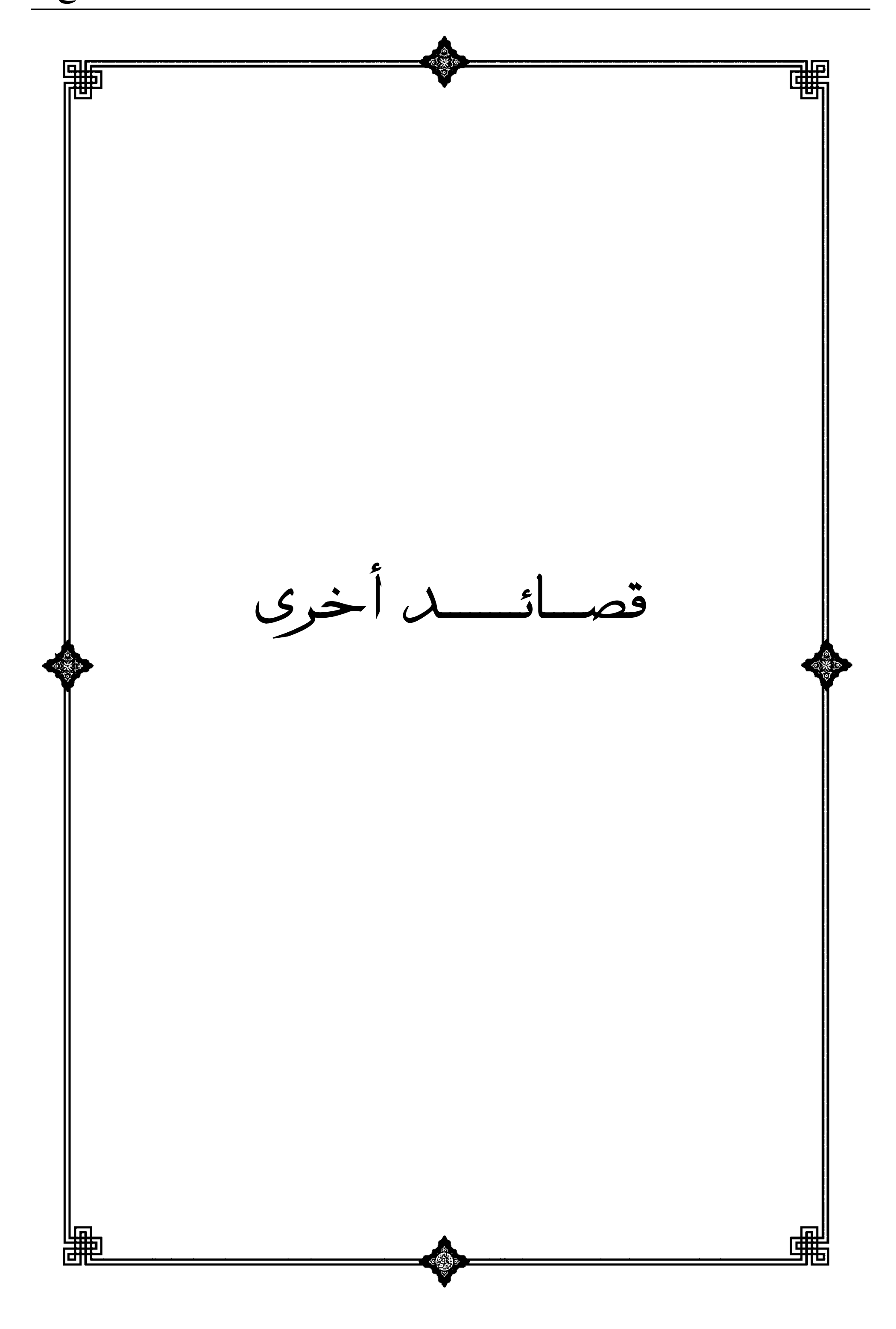
بِــلاَدُ الــلَّــهِ وَاسِــعَــةُ الْــمَــجَــالِ

وَتَــتْــرُكُــنِــي.. تَــعَــالَ.. إِلَــيَّ.. هَــيَّــا

مَــعــاً نَــشْــتَــارُ مِــنْ شَــهْــدِ الْــوِصَــالِ

استغاثـــة

إِلــهــي! ضَــاْقَــتِ الْــدُّنْــيَــا بِــوَجْــهِــي
وَسَــدَّ الْــهَــمُّ تَــفْــكِــيــرِي وَحِــسِّــي
تُــقَــلِّــبُــنِــي الْــظُّــنُــونُ عَــلَــى أَكُــفٍّ
فَــمِــنْ يَــأْسٍ يُــطَــوِّحُ بِــي لِــيَــأْسِ
غَــيَــاْهِــبُ مَــا لَــهَــا صَــحْــوٌ وَعُــمْــرٌ
بُــكَــاءٌ أَمْــسُــهُ فَــمَــتَــى الْــتَّــأَسِّــي
فَــرَاغٌ قَــاْتِــلٌ، وَدُجَــىً طَــوِيْــلٌ
وَصُــبْــحٌ فِــيْــه مَــا قَــدْ كَــاْنَ أَمْــسِــي
أَكَــاْدُ أُجَــنُّ لاَ فَــرَقــاً، وَلَــكِــنْ
ضَــجِــيْــجٌ فِــيْــهِ وَمْــضَــاتُ لِــمَــسِّ
وَحَــوْلِــي الــمُــغْــرِيَــاْتُ تُــبِــيْــدُ صَــبْــرِي
وَتَــدْفَــعُــنِــي إِلَــى حَــمَــقٍ وَرِجْــسِ
لَــقَــدْ مَــلَّ الْــفِــرَاشُ طَــوِيْــلَ نَــوْمِــي
وَضَــجَّ الــلَّــيْــلُ مِــنْ هَــمِّــي وَبُــؤْسِــي
فَــأَدْرِكْــنِــي إِلَــهِــي إِنَّ نَــفْــسِــي
تَــخَــاْفُ الْــيَــوْمَ مِــنْ وَيْــلاَتِ نَــفْــسِــي



قصـــائـــــد أخرى

هكذا أنا

اللَّيالى شَغَلْنني واللَّيالَى ... وفؤادي يقولُ عِشْ لا تبالِي

بَينَ يُسْرٍ وبينَ عُسْرٍ تَراني ... لا صباحٌ ولا مساءٌ ببالي

كُلُّ همٍّ وإنْ يَطُلْ يا صديقي ... بعد حينٍ مصيرُهُ للزَوالِ

فاترِعِ الكْأسَ من رحيقِ العَذارى ... وترحَّمْ على العهودِ الخوالي

فاللَّيالي تَمَرُّ دوماً سراعاً ... فاغْتنِمْ صَفو هَذي اللَّيالي

رُبَّ يومٍ مضى وآخرُ آتٍ ... وفؤادي من الهوى جِدُّ خالي

ما تغيَّرتُ لو تَغَيَّرتِ الدّنيا ودالتْ ... ثمَّ زَالتْ بما عَلَتْ من جبالِ

فَزماني أعيشُهُ كيفَما كان زَما ... ني رضياً به على كلِّ حالِ

كمْ تَجرَّعتُ من جحودِ صِحابي ... أكؤساً إنْ عَددتُها لمْ أُغالي

كمْ عراقيلَ في الطَّريق تخطَّيتُ ... وكَمْ من سُرى في دياجي اللَّيالي

ودعاياتٍ تناثرتْ في دُروبي ... لَيَرَوْني مُصفَّدَ الأغلاّلِ

وجَبيني مُعفَّرٌ بالخَطَايا ... وخُطايا تسوقُني للْوبَالِ

أَملاً أنْ تلين منيَ قناةٌ ... وعلى بابهمْ أُنيخ رحالي

* * *

صُعِقوا حينما صَمَدْتُ بعزمٍ لِلرَّزايا أدوسَها بالنعّالِ
ورَأوا رحمةَ الإلهِ ملاذي من أحابيلِ كيدِهمْ والفِعالِ
قُلْ لِمنْ يحسدونيَ موتوا فأنا ما تَرون في خير حالِ
قلتُ الحمد ما حييتَ كَفاني شَرُّ هذي الدُّنْيا وذُلُّ السُّؤالِ

«أم السَّلَم»

حَمائمُ لاقيتُ في أمّ السَّلَمْ   أصَبْنَني من حيثُ لا أدري بسَهْم

خَرجْنَ يمْرَحُنَ بأكْنافِ الحمَى   وبين أزهار ونايٍ ونَغَمْ

قد جئتُ من بعد أُداوي عِلتي   وإذ بداءِ الحبّ في القلبِ أَلَمْ

أَقدرٌ سرتُ إليهِ طائعاَ   مشياً على رأْسيَ من قبلِ القَدَمْ

وددْتُ لوْ أنَّ ما كنتُ أَشكْو   منه ما زالَ وإنّي لمْ أنَمْ

ما أصْعبَ الدَّاءينِ مذْ حلاًّ على   جسْميَ المُضْنى بأنواعِ السَّقَمْ

أَتُراني صِرتُ للْحبّ أخاً   قدْ رضعنا من أَبٍ قَرْمٍ وأُمْ

أَمْ أنا أصبحْتُ في شرع الهوَى   لكأنيّ قيسُ ليلاهُ أمُّ السَّلَمْ

واحروزنباه[1]

بـنـي وطـنـي إلـى الـشـيـشـان هُـبُّـوا لـنـدفـع عـنـهـمـو شـرَّ الـبَـلايـا
مـذابـح مـا لـهـا عَـدٌ وحـصـرٌ ألا عـونٌ أيـا ربَّ الـبـرايـا
تـدمـر «يـلـتـسـيـن» وجـيـش روسـيـا بـريـحٍ صـرصـرٍ فـيـهـا الـمـنـايـا
لـيـالٍ سـبـعٌ ثـمَّ الـثـمـانـي «كـعـادٍ» لا تـذر مـنـهـمْ بـقـايـا

* * *

أجـل حـقَّ الـجـهـاد فـأيـن قـومـي أأيـقـاظ هـمـو أم هـمْ سـبـايـا
أهـم صـمٌ، أهـم عـمـيٌ وبـكـمٌ ألـم يـصـحـوا عـلـى هـتـك الـصَّـبـايـا
أمِ الـعـرقـوبُ مَـنّـاهُـمْ فـراحـوا سـكـارى بـيـن أحْـضَـانِ الـبَـغَـايـا
أمِ اسْـتَـشـرى الـخـلافُ عـلـى أمـورٍ مـن الـسُّـخـف الـبـغـيـضِ لـهـا مـزايـا

* * *

إلـى الـشـيـشـانِ فـلـنـمـضِ سِـراعـاً إلـى بـلـدِ الأشـاوسِ والـضَّـحـايـا
فـلـو عـاد الـشَّـبـاب إلـيَّ يـومـاً لـكـنـتُ وفـي مـقـدمـة الـسَـرَّايـا

---

(١) عاصمة الشيشيان.

حفل تكريم الأستاذ عبد الله عبد الجبار

يــا زمــانــاً كــانَ مــا كــانَ مــا   أحـيـلاهُ قـضـيـنـاه فـي ديـارِ الـكِـنـانـه

وعـلـيـنـا مـن الـسـرور فـيـه ظـلالٌ   يـعـجـزُ الـشـعـرُ وصـفـه وبـيـانَـه

والـمـغـانـي وسـامـرُوهَـا وصـحـبٌ   صـفـوة مـحـتـداً بـهـم مـزدانـه

والـلَّـيـالـي كـمـا تـريـد أيـاديـنـا   نـديـرهـا مـثـلـمـا نـديـرُ اسـطـوانَـه

ونـهـلـنـا مـن الـعـلـومِ أنـقـى الـفـواغـي   ومـن الـفـكـرِ مـا بـه سـبـقـنـا مـيـدانـه

فـكـأنـي أرى عـكـاظ تـبـدَّى   وبـاثـنـيـنـيـة الـسـعـيـد عـاد زمـانـه

* * *

أيها الحاضرون جئتم تحيُّون عبدالله   الـمـربـي الـعـظـيـم كـي يـرى بـنـيـانـه

والـغـراس الـذي تـعـهـدّهُ بـالأمـس   أثـمـر الـيـوم واسـتـطـالـت أغـصـانـه

هـا هـم الـلَّـيـل جاؤوا يـؤدُّون الـشُّـكـرَ   يـنـثـرون الـورود تـكـريـمـاً . . . . .

* * *

عـشـتَ عـبـد الـلـه عـمـراً مـديـداً   مـنـعـمـاً صـحـةً عـظـيـمـاً مـكـانـه

وإلــى كــلّ مــن أراد خــلــوداً   فـبـعـبـد الـلـه يـقـتـدى يـكـن صـنـوانـه

في أندونيسيا

سلَوا الحضارةَ عنَّا نحنُ بانوها   ونحنُ أولُ من أرسى رواسيها

الديّنَ شرعتها والعدلُ رائدها   والخُلقُ قائدُها والله راعيها

تَأْريخنُا حافلٌ، أعمْالنا غررٌ   الدَّهرُ يحفظها والناسُ ترويها

قُولوا لِمنْ ظنَّ أنَّا أمَّةٌ هَرمتْ   نحنُ الشَبابَ نُقوّيها ونَحميها

بالدين بالعلمْ، بالأَخلاقِ نحرسُها   ما أحسنَ الديّن والدُّنيا وما فيها

على سَواعِدِكمْ نَبنْي مَفَاخرَنا   ومنكِمو يَستمدُّ العزمَ بانيها

آآنَ للشّعرِ بالفرائدِ يحدُو   وفمُ الدَّهرِ بالمفاخرِ يَشْدُو

والمعَاني مواكبٌ تَتَوانى   وعيونُ الكلامِ للشِّعرِ جُنْدُ

واللَّيالي تَقولُ صِفْني قصيداً   تتغنَّى بهِ سُلَيْمى وهندُ

كيفَ لا يسعفُ الكلامُ قصيدي   وهو من هذه الرُّبى يسْتَمِدُ

بلدٌ كلُّهُ مضاءٌ وعزمٌ   بلدُ كلُّهُ كِفاحٌ ومَجدُ

«أَندْنُوسيَّة» العزيزة فينا   أنتِ للدّين والمحجَّة قَصْدُ

أَنتِ للديّنِ مَعْقلٌ ومنارٌ   أَنت ردءٌ وأنتِ برٌّ ورِفدُ

الرّواياتُ عن جهادِكِ تُروى   والبطولاتُ إن نَقُلُ لا تُعدُّ

والميامينُ إنْ دهتنا الرَّزايا   والرجّالُ الكرامُ إن قيلَ عدُّوا

بسماتٌ على الوجوهِ تَلالاَ   وقلوبٌ تَفَتَّحتْ وهيَ وُدٌّ

* * *

أيُّها المسلمون في كُل فجّ   إن قرآننا يقول أعدوا

داهمتنا الخطوبُ من كُل صوبٍ   واستخفَّ العدوَّ وهن وَوَكدُ

بذرَ الخُلفَ بيننا فَغَدونا   في شقاقِ هو العدوُّ الأَلدُّ

يَمْرحُ الشَّكُ بيننا فترانا   خَبْطَ عشواءَ أمرُنا والمردُّ

نُظهرُ الوُدَّ والعداءَ نَداري   إنَّ هذا هُوَ البلاءُ الأشدُّ

هكذا نحن يالبؤسي وحُزني   هكذا نحن قِلَّة وهيَ عدُّ

أيُّها الوافدونَ من كلِّ قطْرٍ   وحِّدوا الصّفَّ فالعدَوُّ يجدُّ

إِجمعوا أمركم على خيرِ هَدْيٍ   ومن الدّين عزمكمْ مستمدُّ

وابعثوا وحَدْةَ الصفوفِ تُدَوّي   لا يفلُّ الحديدَ إلاَّ الأحدُّ

حقَّق اللهُ ما اجتمعنا عليهِ   إنَّه القصدُ والرجا والمرَدُّ

«انجي»

انجي يا حلوة يا انجي

هل لي يا روحي من مُنْجِ

من سحرِ عيونك والغنجِ

انجي يا حلوة يا انجي

أرجعتِ اليومَ الكهلَ فتىً

فعسى يلقاك ترى ومتى؟

ويقول السعدُ وَفَى وأتَى

انجي يا حلوة يا انجي

الليلُ تلوّنَ من شعرِك

والصبحُ تنفسَ من نورك

والزهرُ تضوعَ من عطرك

انجي يا حلوة يا انجي

---

(١) هذا الموشح بدأ بنظمه في أوائل شهر أغسطس ١٩٩١ في باريس وكان الفراغ منه في ١٢/١/١٤١٢ هـ ـ ٣١/٨/١٩٩١م بمصيف كاب داجد (Cap d’Agode).

البِيد أَنَخْتُ بها العِيسَا

والغيل تركت به قَيْسا

وركبتُ الجو لباريسا

ومغاني «السين»[1] وغاليسا

«والشانزليزيه»[2] لأرى الناسا

والأيفل[3] والمنبر ناسا

«لتوال» يسامر جلاسا

وظبا شَيّبْنَ لي الرأسا

فِيهُنّ لقيتُك يا انجي

قالت من أنتَ؟

أنا ضيف

قد جاءَ إليك به الصيفُ

ومعي كم ومعي كيف

أيشوبك بعد ترى خوف

والفتك بعينيك الدعج

لا ضيفَ هنا يا مسيو. . . هنا

---

(١) نهر السين في فرنسا.
(٢) شارع الشانزليزيه بباريس.
(٣) برج ايفل.

للصيفِ نعم إن شئت. . .

أنا!!

«وِي»[1] مسيو أتبغي؟

قلت مني

يا ليتَ الصيفَ يطولُ بنا

وَافَرْحَةُ قلبي بالفرجِ

ودبيبُ الحبِّ بَدَا يجري

جريانَ الماءِ على الصخرِ

أترى سلّمْتُ لها أمري

يا قلبُ تَذَرّعْ بالصبرِ

فالحبُ سيسكنُ في المُهَجِ

قل لي يا قلبي يا غالي

أَسَرَتْكَ إذاً ذاتُ الخالِ

لا عمَّ فأشكو أحوالي

لا خالَ يلبِّي تِسْآلي

وأنا أتلظَّى في الحَرجِ

(١) «نعم» بالفرنسية.

ومضى يومٌ وأتى يومُ

وأنا سهرانُ ولا نومُ

ألمٌ لا مِثْلَ له ألمُ

دفقٌ في الحب له زخمُ

أفكارٌ شتى في بالِي

وطوَاني يأسٌ وبَرَانِي

وشجاني تَوْقٌ بجِناني

وأماني تسبق تَحْنَانِي

وأحاولُ علّ تراني

فعساها تَرْأَفُ بالحالِ

لا مسيو تقول ولا (بونجور)[1]

لا مستر لي مَثَلا أو (سنيور)

أدلالٌ تقصد منه التأثير

وغرورٌ فيه ترى التغرير

أصحيحٌ حقاً يا أنجي

وتمر كأنْ لَمْ تعرفنا

---

(١) صباح الخير.

والشوقُ إليها يفضحنا

إغراءٌ هزَّ مشاعرنا

لسنا حَجَرا لسْنا طينا

حتى نَتَعَامَى يا انجي

وجرؤتُ فسِرْتُ لمكتبها

تتعثرُ قدمي في مِشيتها

(بونجور) تواكب بسمتها

و«سِتْ داون» مسيو قالتها

ما أرْوَعها ما أرْوَعها!

ماذا تبغي قل يا مسيو!!

فأنا أسمع قُلْ ما تشكو

لِعَشَاء أنتِ به يحلو

أأنا من تدعوني؟

أرجو

ما أحْلاَها ما أحْلاَها!

شكراً للدعوةِ أعذرني

فصديقي قبْلَك واعدِني

حظي إن قصر لكني

قد أطمعُ في وعدٍ. . . .

مني؟؟

كلا أعني لا يمكنني

ويلي يا حلوة يا ويلي

لا تِرسُ لديّ ولا خَيْلي

لن أنسى صفعتها ميلي

والصاع يرد لها كيلي

والباديُ أظلمُ يا انجي

وبيوليو اشتدتْ أزمات

هرجٌ مرجٌ وهتافات

وكُمَاةٌ يُبتدرون عتاة

دكوا «الباستيل»[1] فلا حجرات

بدمائهمو خضبتْ طُرقات

وعَلَتْ للحق الرايات

حدثٌ فيه عِبَرٌ وعظات

قتلاكِ «لمادلين» مئات

ضُرِبت بضحاياكِ المَثُلات

---

(١) سجن في عهد ملك فرنسا لويس السادس عشر.

«لوتريك»[١] «بمولانروج»[٢] غد

فرد لا قبل ولا بعدُ

«مونمرتر»[٣] ليس له نِدٌّ

عشاقُ الفنِ له جندُ

يستقطبهم أنّى وُجِدوا

وفرنسا تزهو بحضارتها

وتراثُ الكون بلوفرها

«باستير»[٤] طليعة منبتِها

جان دارك نماذجُ صولتها

والطبُ سما بنوابغها

و «الأيفل» شاهدُ قوّتِها

هيجو، موليير، ولافونتينْ

فولتير ومونبسان السينْ

زولا، بلزاك هما ومئينْ

الشعر زها بهمو لسنينْ

بروائعَ ترويها الملايينْ

---

(١) مقهى

(٢) ساحة الطاحونة الهوائية الحمراء بباريس.

(٣) ميدان.

(٤) لويس باستير مكتشف الجراثيم.

الحي اللاتيني جميلْ

والجوُ بسان ميشيل عليلْ

وشوارعُه بالغِيد تسِيلْ

وعناقٌ يحلو ثَمّ طويلْ

وأنا بالمنظر ثَمّتَ مذهولْ

الفكرُ يضيقُ به صدري

والصبرُ أمرَّ من الصبرِ

أبسان ميشيل ترى قدري

أقدارٌ تفتك بالعمرِ

لا أدري بل وبما يجرِي

وصراخٌ مصحوب بعويل

لا يبعد عنا غير قليلِ

اصوات تنذر بالويلِ

أسرعت وجدت ويا للهولِ

انجي والدم كالسيل

وفتى ينهالُ بلطمات

أجهزتُ أنا باللكمات

فترنحَ فوقَ البصطات

والناسُ تحيّ ضرباتي

والعاتي سيل اللعنات

إسعافٌ جاء بنرساتِ

نقلت انجي والعاتي

سحبَ البوليس هوياتي

وسئلتُ أنا عن غاياتي

لم كِلْتُ له باللكماتِ

نادتْني انجي بالذاتِ

أنقذني. . .

قلت أنا آت

الذئبُ انقضَ على الشاةِ

وأتتْ انجي ومحاميها

والخوف يضيء بعينيها

وإذا البوليس يشيرُ إليها

لا جنح «إلي» يا حاميها

فخرجتُ يدي بأياديها

انجي يا حلوةُ يا انجي

وقفة على الكوت دوزير

(الشاطىء اللازوردي)

بَيْن «نيس» وبين «كان» جنانُ　　　وبساطٌ من الزهور وبحرُ
والغواني وفَدْنَ مِنْ كلِّ فجٍّ　　　مهرجانٌ له جمالٌ وسحرُ
وعلى الشاطىء اللازوردي كانت　　　وضياء من البهاء وبشرُ
أمِن الخُلْدِ يا ترى اليوم جاءتْ　　　بل من «السين» أهلٌ وذكرُ

الهُيَامى من الشباب وشيب　　　يتتبَعْنَها لَعَمْري كُثْرُ
همساتٌ تجيبُها زفراتٌ　　　وحديثٌ صداهُ حلوٌ ومرُ
وهي تختالُ والرُّبى مرحاتٌ　　　وأريجٌ من الورودِ وعطرُ
والحيا غَالبَ الخطو فيها　　　هي شمسٌ وفي الليالي َبدرُ

وتبعت الجموع خلف «روجينا»　　　أمَنَ الحب ما فعلت وأمر
ومشت صوب «مونت كارلو روجينا»　　　وأنا خلفها كلّيَ فكر
وإلى ملعب الرياضة سارت　　　وجموع هناك بيض وسمر

قــوبــلــت بــالــغــنــاء ثَــمَّ ورقــص ودويُّ الأكـــــفّ مـــــدٌ وجـــــزرُ
وتــذكــرت هــاهــنــا يــا لــذكــري مــن بـقـايـا «جـريـس»[1] فـن وزَهـر
ورجعت القهقرى ولليأس صدع فـي فـؤادي ولـيـس ثـمـة جـبـر
وإذا ثــلــة الــصّــحــاب أمــامــي أهــمــو شــامــتــون أم ثــمَّ ســر
قـلـت أهـلاً ومـرحـبـاً يـا رفـاقـي فـأجـابـوا لـك الـثـنـاء وشـكـر
هـذه دعـوة مـن «الـمـونـت كـارلـو» لاحـتـفـالٍ بـه «روجـيـنـا» وزُهَّـرُ
دعـــوةٌ لـــي . . تـــقـــول . . ؟
حـــقـــاً وربـــي حـفـل رقـص بـه غـوانـي شُـقْـر

وتـسـاءلـت هـل إلـيـهـا سـبـيـل أم تـرى دونـه طـريـقـي وعـر
ضحك الصَّحب من جنوني وقالوا لا بـنـان تـفـوز مـنـهـا وظـفـر
سـوف أمـضـي ولـو فـيـه حـتـفـي فـهـوى الـغـانـيـات خـمـر وجـمـر
وتـراءى وفـي طـريـقـي إلـيـهـا قـدَرَ حـمَّ لـيـس عـنـه مـفـرّ
يـا إلـهـي عـلـى هـواهـا أعـنّـى يـا إلـهـي ومـنـك عـون وصـبـر

الكوت دازور في ٢٣/ ٥/ ١٩٩٥

(١) جريس كيلي زوجة أمير موناكو.

«اللقاء»

أيها الساكنونَ سفحَ «سهيل» ... باكر الغيث ربعكم وأهلاًّ

شفَّني الشوق والحنين إليكم ... وسقاني جواه علاًّ ونهلا

فركبتُ الصعابَ جواً وبراً ... وقطعتُ الطريقَ حزناً وسهلا

لأرى عندكم مراح «ماريَّا» ... قيل سارت إلى حمى فِنْخوربلا

ما سمعتم بها؟! يا إلهي ... أين أزمعت يا «ماريا» الرحيلا

أين يا قلب أي أرض حوتها ... أي صقع تود فيه النزولا

«أبميحاسَ» والهواء عليل ... أم ترى قررت مقاماً «سهيلا»

ولعلي نسيتُ بينَ المدينا ... ومكاناً تبلُّ فيه الغليلا

لست أدري! بلى، ولكن سأدري ... وأرى قلبيَ المعنَّى الرسولا

واعترتني الظنون من كل صوب ... فظنون المحب تعمي السبيلا

غير أني تعوذت يا رب منها ... وتدرَّعت باليقين وكيلا

* * *

وطويت البلاد طياً ونشرا ... وإذا الصبر من مسيري عيلا

«لأبميحْاس» أو «بيين المدينا» ... أثر أقتفيه يعطي الدليلا

وإذا اليأس يتشفى ... كاد والله أن يكون عذولا

* * *

عدت أرجو «بفنخوربلا» معينا ... دون ما أبتغي عدمت المعيلا

وإذا بالجموع من كل فج ... فتيات وفتية من مانيلا

والرعابيب من بنات بلادي ... وظبا حمير وريم المكلاَّ

ولفيف من القيان وعينٌ ... من بني القوط من غراس «أتلاّ»

والصبايا وقد خرجن عرايا ... يتهادين بكرة وأصيلا

قرب «لندا» رأيت «هنداً» و «دعداً» ... كنت أرجو بأن أرى سندريلا

يتمايلن في الطريق بغنج ... وعناق يدوم وقتاً طويلا

يتساقين أكؤَسَ الراح صرفا ... قد خلعن العذار إلا قليلا

وسحاب من العطور يغطي ... أينما سرن كان ظلاً ظليلا

وبنات الخليج دعج عيون ... كدت من سحرهن أغدو قتيلا

قلت يا ليت من شغاف فؤادي ... فشبابي انطوى وما أثار فتيلا

وكأني نسيت كلا وربي ... لا أرى عنك يا «مريا» بديلا

مهرجان من الشباب وغيد ... وهيامي تبتلوا تبتيلا

* * *

سرت في زحمة الغواني ومرد ... في امتداد يرد طرفي كليلا

وتساءلت والطريق طويل ... أين نمضي؟ فقلن نبغي «سهيلا»

أترى أنت؟ قلت إيه وربي ... إنني أرتجي إليه الوصولا

نحن جئنا هنا نحي رجالا ... عقدوا العزم أن يعيدوا «سهيلا»

فبنوا مركزاً يجدد عهداً ... لسهيل يضيء جيلاً فجيلا

* * *

وتلاقت جموعنا بجموع ... وفدت تشكر الصنيع الجميلا

وعلى رأسهن كانت «ماريا» قلت أنت التي تقود الفصيلا

أنا من نسل من أتيتم طواعا وأشدْتُم له المقام الجليلا

حيِّ يا شعرُ عنِّي رجالا صنعوا ما بدا لنا مستحيلا

نذروا العمر للإله ودين فجزاهم عليه خيراً جزيلا

٧/ ١٢/ ١٤٠٨هـ

إلى «ماربيَّا»[1]

وأيَّام بها لا تنسى

هــوايَ بــأَهــل «آيــبــريــا» قــديــم فــهــم حُــبِّــي وإنْ طــال الــمــطــالُ
لــنَـا فـتَـحـوا صـدورهـمُـو مـقـامـا نِـعـمّـا مـنـهـمـو تـلـك الـخـصـالُ
وقــد وقــفُــوا ومــا زَالُــوا بــصــدقٍ تـجـاهَ الـحـقِّ رغـمَ مِـنْ اسْـتَـمَـالُـوا
هـتَـفْـنَـا شـاكـريـنَ لـهـم وقـلـنـا إلــيــك تــشــدُّ «آيــبــريــا» الــرّحــالُ
وسـرنـا مـسـرعـيـنَ ونـحـن شـوقٌ وشــوقُ الــعــاشــقــيــنَ لــه انــفــعــالُ
وقــالــوا إنّ فــي «مــاربــيَّــا» بــحــراً وجــواً لا يــضــارعــه جــمــال
شَــدْنَــا صَــوْبَــهــا جــوًّا وبــراً فـكـانـتْ مـثـلـمـا وصـفُـوا وقـالـوا

في: «ماربيَّا»

أ «مــاربــيَّــا» أقــولُ ولــســتُ أدري أجــنــاتٍ أرى أم ذا خــيــالُ
فـفـيـك الـمـسـجـد الـعـالـي بـنـاه أمــيــرٌ لــلــتُّــقَــى دومــاً مــثــالُ
هـو الـمـقـدامُ «سـلـمـان»[2] لـعـمـري بــه كــرمــت بــه عــزّت فِــعــالُ

---

(١) مدينة في إسبانيا مشهورة بجمال موقعها وروعة مناظرها.

(٢) صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض.

يُسبّح في مصلاه[1] أناسٌ ... بحمد الله جلَّ هو الجلالُ
وآياتٌ من القرآن تُتْلى ... وعفوَ الله كانَ هو السؤالُ
وصوتٌ للآذانِ بهِ تعالى ... تردّدُ رجعهُ تلكَ التلالُ

* * *

حباكِ الله «ماربيَّا» جمالاً ... تتيهُ به الرَّوابي والجبالُ
مفاتنٌ أينما يممتُ وَجهي ... وسحرٌ إنَّه السحرُ الحلالُ
ضَمَمْتِ الدّين والدُّنيا فّطوبى ... فَفيكِ تجمَّعتْ أسرٌ وآلُ
وصحبٌ كاد يطويهمْ بُعادٌ ... فلا خِلٌّ يُرى منهمْ وخالُ

* * *

أ «ماربيَّا» لقد سمَّاكِ صبٌّ ... بهِ مَرَّ الأحبةُ حين مالُوا
مشى خلفَ الرّكابِ إلى «استبونا»[2] ... إلى حيثُ اسْتبوهُ ثمَّ زالوا
تَذكَّر حين عاد فراح يبكي ... زماناً فيه كانوا ثم دالُوا

* * *

شواطىء «ماربيّا»

على شُطئآنكِ انتشرَ الصَّبايا ... جمالٌ زُلزلتْ منهُ الرّجالُ
وحوْرٌ خلتُهنَّ خرجنَ تواً ... وهذا البحرُ كانَ هو الظّلالُ
أَحوريات «ماربيَّا» فداءٌ ... لكنَّ البحرُ طولاً والرّمالُ
لقد جئتُ الغداةَ وفيَّ صبرٌ ... وإنّي عائدٌ صبري محالُ

---

(١) مكان الصلاة بالمسجد والضمير في الأبيات التي تليه يعود للمسجد.

(٢) بلدة جميلة تبعد بضعة أميال إلى الشرق من ماربيا.

أَرى هــذا الــجَــمــالَ ولا ســبــيــلٌ   إلــيــهِ. . لا الــوصــولُ ولا الــوصــالُ

* * *

ورحــتُ أجــوبُ شَــطــئــانــاً لــعــلّــي   أرى فــيــهــا يُــتــاحْ لِــيَ الــمَــجــالُ

فــلا «لَــيــلــى» لــقــيــتُ ولا «سُــلــيــمــى»   ولا ظــعــنٌ لــحــقــتُ ولا رِحــالُ

فَــبــتُّ أُســامــرُ الأشــجــانَ وَحــدي   ولا صــبــرٌ لــديَّ ولا احْــتــمــالُ

* * *

وكــادَ الــيــأسُ يَــغــلِــبُــنــي وإذْ بِــي   أَراهــا قــلْــتُ مــنْ؟ قــالــتْ: مــاريَّــا

مــاريَّــا يــا حــبــيــبــةُ مــا دَهــاكِ   إلــيَّ إلــيَّ يــا روحــي إلــيَّــا

أَتــســأل يــا تُــرى عــمَّــا جــرى لِــي   وأنــتَ بــهِ الــعــلــيــم أجــلْ وبــيَّــا

فــديــتُــكِ لا تــقــلْ وَضْــحَ الــفِــداءُ   لــقــد جــرَّبــتــهُ زمــنــاً مــلــيَّــا

ولــكــنْ لــمْ أُطِــقْ صــبــراً فــحــبّــي   أُهَــدْهِــدُهُ وأبــكــيــهِ الــعَــشــيَّــا

فــصــرتُ أُســائِــلُ الــرُّكــبــانَ عَــمَّــنْ   بَــلانــي وابْــتَــلــى قــلــبــاً فَــتــيَّــا

فــلا «قــيــسٌ» ولا «لَــيــلــى» و «لُــبــنــى»   بَــلَــغْــنَ مــن الــهَــوى شــيــئــاً وشَــيَّــا

وكــيــفَ عَــرَفــتِ أيــنَ أنــا يَــقِــيــنــي   تــعــيــشُ هــوىً رَضِــعــنــاهُ سَــويَّــا

بُــرُغــمْ أسَــاكِ قــولــي يــا «مــاريَّــا»   لــقــدْ ذقــت الــعــذابَ بــهِ صِــلــيَّــا

بُــرْغــمِ أَســايَ عُــدْتُ إلــيــكَ عَــلّــي   أكَــفّــر هــلْ تــرى تَــرضــى عــلــيَّــا؟

أَأَرضــى كــيــف لا أَرضَــى وقَــلْــبــي   لَــعــمــرِي مــاســلا أبــداً «مــاريَّــا»

* * *

أَ «مــاربــيَّــا» أَعــدتِ ألــيَّ قَــلــبــي   فــلا هَــجــرٌ يــعــودُ ولا ارتــحــالُ

* * *

«بشيرُ»[1] فلا القَريضُ ولا يَراعي   بِكافٍ شُكْرَ ما تُسديهِ ليَّا

لقدْ أَكرمتنا كرماً سخيَّا   وكنتَ ابْناً بِنَا بَرَّا رَضيَّا

نَداكَ تحدَّثتْ «ماربيَّا» عنهُ   وأخلاقٌ سَمَتْ فوقَ الثُّريَّا

لَقِينا اليومَ في «ماربيَّا» صَحْباً   كِراماً جددُوا عهداً قَصِيَّا

كأنَّ اليومَ يا «ماربيَّا» أَمسٌ   «بشيرٌ» فيهِ كانَ بنا حَفيَّا

* * *

أ «ماربيَّا» تُرى أَأَعودُ يوما   مَعي أهلِي ويهدأ فيكِ بالُ

---

(١) القنصل العام للملكة العربية السعودية في ملقه بإسبانيا.

ما هو الحب؟؟

سأَلتِنِي لِم هذا الحب تنظمه		قصائداً تتوالى فِيَّ تنحصِرُ
أرى الخلائقَ من بَدْوٍ ومِنْ حَضَرٍ		بها شدوا وبها السُمّارُ قد سَمِرُوا
أحُظوة ترتجي عندي وتطلبُ		أم رغبةٌ في ثراءٍ فيك تستَتِرُ
أم أنَّ سِراً وراءَ الغيبِ تكتُمهُ		أمْ من وراء مديحي سوفَ تُشتَهرُ

* * *

كلاً وربيّ لقد أتهمتني شَطَطاً		فما فؤادي بحُبّ المالِ يستعِرُ
الحبُ لا يُشْتَرَى لو شِئت بالثَّمنِ		لأنتِ ما أنتِ أنتِ الشمسُ والقمرُ
لأنتِ ما أنتِ، أنتِ السّمعُ والبَصَرُ		لأنتِ ما أبتغي لا المالُ والدُّررُ
عَشِقتُ فيكِ خِصالاً لا مثيلَ لها		لَوْ قدّر الناسُ ما فيها لما قَدِرُوا

مساجلات شعرية

تخميس ارتجالي

كان معالي الشيخ محمد سرور الصبان يرحمه الله قد دعا الشاعر السعودي الكبير الشيخ أحمد بن إبراهيم الغزاوي إلى حفل عشاء ساهر أقامه في منى وكنت معهم وبينما نحن هناك وقد طاب الحديث، ارتجل الشيخ الغزاوي فجأة الأبيات المشار إليها بين قوسين، فالتفت إلي معالي الشيخ الصبان ودعاني إلى تخميسها ارتجالاً أيضاً فقلت في حينه:

ومعانٍ من الحسان الغوالي   في ليالٍ تسربلتْ بالجمال

بالميامين من عيون الرجال   «ما رأينا كمثلها من ليالي

ذات صفوٍ وبهجةٍ وسرور»

* * *

قد سَقَاها الغمامُ يُمْناً ويُسْرا   وكسَاها الربيعُ ورداً وزهرا

فنظمنا بها القصايدَ تَتْرى   «يتهادى بها «الخيفُ» بِشْرا

وبها البدرُ مشرقٌ من ثبير»

* * *

أيــن عــهــدٌ مــن الــصــبــابــةِ ولَّــى   وهــوى مــرَّ مــا أمــرَّ وأحْــلَــى
كنت أَلْقَى على «المَحصّب» ليلى   «لـيـلـة الـنّـصـفِ إنـهـا تـتَـجـلَّـى
كالضّحى المستفيضِ مِنْ
دَيْجُورْ»

* * *

يـا ربـوعَ الـصّـبـا ومـغـنَـى الـهـيَـامَـى   يـا سـفـوحـاً تَـضَـمّـخَـتْ بـالـخـزامَـى
كـرّمـتْ مَـنْـبـتـاً وعَـزّت مـقَـامَـا   «طـابَ فـيـهـا الـلـقـاءُ بـيـن الـنّـدَامـى
يتساقونَ كأسَهم في حبورِ»

* * *

يــا بــلاداً فــدتْ بــســعــي حــثــيــثٍ   لِـعُـلـى الـسَّـابـقـيـنَ خـيـرَ ورَيـثِ
جــمَــعــتْ عــزّ تــالــدٍ وحــديــثٍ   «زانَـهـا الـسـامـرونَ بـيـنَ حـديـثِ
هو كالطلّ غِبَّ يومٍ مطيرِ»

* * *

ضــمــنَّـا فـي (مـنـى) وثـيـقُ ارتـبـاطٍ   كــان فــيــهِ «الــسُّــرورُ» خــيــرَ رِبــاطِ
ســامــرٌ حــافــلّ بـحـلـوِ الـتَّـعـاطِـي   «كـان فـيـهِ «مـحـمـدٌ» فـي اغـتْـبـاطِ
فرحاً قد حكاه نفحُ الزهورِ»

* * *

دِيـرتـي أشـرقَ «الـسُّـرورُ» عـلـيـهـا   ومـشـى الـمـجـدُ فـي الـرّكـابِ إلـيـهـا
والـنّـدى مـنـهُ فـي الـرُّبـى وبُـنـيـهـا   «إنّـه لـلـقـلـوبِ فـيـهـا وفـيـهـا
رمزُ حبٍ وأيّ حبّ أَثيرِ»

* * *

سر العنكبوت

ضـمِّـدِ الـجـرحَ فـالـكـرامـةُ عـادتْ　　بـعـدَمَـا ذلَّـهـا الـعـدوُّ الألَـدُّ
فـيكَ شَـهْـرُ الـهدى تـجـمَّـعتِ الـعـر　　ب ولـبَّـى الـنّـداءَ شِـيـبٌ ومَـرْدُ
مـن ضِـفـافِ الـخـليـجِ وافـوا سِـراعـاً　　مِـنْ أقـاصِـي «الـربـاط» مَـدٌّ وحَـشْـدُ
فـوقَ أرضِ الـقـنـالِ سـاروا خِـفـافـاً　　وثِـقـالاً ومـدُّهـم لا يُـحَـدُّ
وعـلـى هـضـبـة «الـجـولانِ» رجـالٌ　　صـدقـوا الـعـهـدَ والـسّـلاحَ أعـدُّوا
ذكَّـرَتـنـي جـمُـوعُـهـمْ يـومَ «بـدرِ»　　وعـديـدٌ مـن الـمـلائـكِ جُـنـدُ
فَـكـأنّـي أرى مـحـمـدَ يـمـشـي　　وكـأنَّ الـمـسـيـحَ عَـوْنٌ ورِفْـدُ
أيُّـهـا الـمـرخِـصُـونَ رُوحـاً فـداءً　　الـكـرامـاتُ بـالـدِّمَـا تُـسـتَـرَدُّ
يـشـهـدُ الـلـه أنـكُـمْ لـم تـمـوتـوا　　فَـلـكُـمْ عـنـدهُ لـعَـمْـري الـمـرَدُّ
قـد غَـسـلْـتُـمْ شـنـارَ خـمـسِ حـزيـرا　　ن فـطُـوبـى لـكُـمْ فـخـارٌ وَمَـجـدُ
ومَـحَـوتُـمْ أسْـطـورةً روَّجـوهـا　　أنَّ صـهـيـونَ فـارسٌ لا يَـصُـدُّ
فـإذا خـطَّ (بـارلـيـف) خـيـطٌ　　نـسـجـتـهُ عـنـاكـبٌ فَـهْـوَ سَـدُّ

بمناسبة انتصار الجيش المصري على إسرائيل وتدمير (خط بارليف) في قنال السويس/أكتوبر ١٩٧٣م.

حَـطَّـمـتـهُ بـسـتِّ سـاعـاتِ أيـدٍ   عَـزْمُـهـا مـن جـراحِـهـا مُـسْـتـمـدُّ

وَيـقـيـنٍ بـنـصـرِ ربٍّ وقَـولٍ   ذكـرُهُ فـي الـكـتـابِ حـقٌ ووعـدُ

لـقّـنـوهُـمْ بـسـاحـةِ الـمـجـدِ درسـاً   لا يـفـلُّ الـحـديـدَ إلاَّ الأَحَـدُّ

* * *

التهاني بالأعياد الدينية

يـا خـادمَ الـحـرمـيـنِ الـلـهُ وفَّـقـكُـمْ   بـصـوم شـهـرٍ بـهِ الإحـسـانُ يـشـتـهـرُ

سَحَّتْ يداكَ بشتَّى البذلِ فارتفعتْ   أيـدٍ لـكُـم بـالـدَّعـا كـالـغـيـثِ يـنـهـمـرُ

مـراكـبُ الـغَـوثِ يـا مـولايَ تَـبـعـثُـهـا   بـراً وبـحـراً وبـالـخـيـراتِ تَـبـتـدِرُ

فـاسـلـم مـلـيـكـي لـنـا عـزاً يـظـلـلّـنـا   ولـلـعُـروبـةِ درعٌ إنْ دهـا الـخـطَـرُ

فـالـلـهُ يـنـصـرُ دومـاً مـن يُـنـاصِـرُهُ   وأنـت أوَّل مَـن لـلـه يـنـتـصِـرُ

لَـكَ الـتَّـهـانـي بـعـيـدِ الـفـطـرِ أَرفَـعـهـا   مـعَ الـولاءِ لـكـمْ مـا امْـتـدَّ بـي عُـمُـرُ

حَسبي رضاكم فَهْل أحظى بهِ أبداً   فـقـدْ يـعـيـدُ شـبـابـاً غـالَـهُ الـكِـبَـرُ

* * *

الـعـيـد أسـفـر بـالـسُّـرورِ صـبـاحُـهُ   وبـهِ الـجـمـيـعُ تـهـلَّـلْـوا واسـتـبـشـروا

فـلـكَ الـتَّـهـانـي يـا مـلـيـكـي إنَّـهُ   عـيـدٌ بـهِ الـخـيـر الـعـمـيـمُ يـبـشّـرُ

قَـدَّمـت مـا قـدَّمـت مـن بـرّ ومِـنْ   مـالٍ بـهِ الأجـواء كـانـتَ تـمـخـرُ

لا تـبـتـغـي إلاَّ الـرَّضـا مـن خـالـقٍ   فـالـشَّـعـبُ يـحـمـدُ مـا فعلتَ ويشكُرُ

* * *

مَـولايَ عـهـدُكَ عـهـدُ الـسَّـعـدِ طـالـعُـهُ   وسـلـسـبـيـلٌ بـه الـخـيـراتُ تَـنـهـمـرُ

فـالـعَـدلُ والأمـنُ مـمـدودٌ رواِقُـهـمـا   عـلـى الـبـلادِ فـلا خـوفٌ ولا حَـذرُ

والمنجزات حديثُ الشَّعبِ أَجمعِهُ ... بها شذا وبها السُّمارُ قد سمرُوا
للمسلمينَ بعثتَ العَونَ متّصلاً ... جواً وبحراً وبالغيماتِ تَدَّخِرُ
والعربُ كُنتَ وما زلتَ النَّصيرَ لهمْ ... على البُغاةِ ومن كَادوا ومن غَدروا
فِعالكَ الغرُّ لا تحصى لئنْ ذكرتْ ... بها نُباهي بها نَزهو ونفتخرُ
«الاختيارُ» اعترافٌ بالجهودِ وما ... بذلتُموهُ فكانَ الشُّكْر ما ابتدرُوا
الله يكلأُكُم اللَّه يحفظكمْ ... لأَنتَ دوماً لدينِ الله تنتصرُ

الفرحة العظيمة

هَـلَّـلَ الـشَّـعـبُ يـا مـلـيـكـي سـروراً   ودعــــاءٌ لـــكـــمْ جـــهـــاراً وســـرَّا
يــحــمــدون الإلــه عــدتَ بــخــيــرٍ   بـعـد فَـحـصٍ سـجـدتُ لـلـه شـكْـرا
والـقَـوافـي تَـزاحـمـتْ فـي فـؤادي   تـنـظـم الـفـرحـةَ الـعـظـيـمـةَ شِـعْـرا
دمـتَ لـلـشَّـعـب يـا مـلـيـكـي مـنـاراً   بـكَ نـزهـو عـلـى الـمـمـالـكِ طُـرَّا

تحيَّـــــــة

ولاءٍ وإخلاص

هــبــةٌ إنْ نــظــمــتُ غُــرَّ الــقــصــيــدِ لا يفَي الشكُّرَ ما حوَى من معاني

جئتُ سعياً لو اسْتطعتُ على رأسي طــويــتُ الــرُّؤى طــويــتُ الــثــوانــي

فــعــســانــي أنــالُ تــقــبــيــل أيــدٍ غــمــرتْــنــي بــفــضــلــهــا الــمُــتَــدانــي

لَــكَ أدعــو الإلَــه دومــاً بــعــهــدِ زاهــرٍ حــافــلٍ بــكــل الأمــانــي

تحيَّـــــة

إلى مهرجان الجنادريّة

صَبا نجدٍ سرى من أرض نجدٍ ... يُضمِّخ عِطرُه يمناً وشَاما
شَمْمتُ أريجهُ بأجاً «وسَلْمى» ... فزدْتُ بهِ التعلُّقَ والغَراما
وَدَدْتُ لو أنَّ لي سكناً وريَّا ... وربّي لاتَّخذتكِ لي مقاما

* * *

تَغزَّل فيك من قَبلي أُناسٌ ... وإنّي بعدهمْ أشكو السَّقاما
كأَنّي قد خُلِقتُ أسيرَ حبٍ ... بهِ أَشْقى بهِ أَلقى المَلاما
وجئْتُ إلى «الرّياض» وكُنتُ قبلاً ... أخافُ البيدَ فيها والرَّغاما
فَما أدري وجنَّاتٌ أمامي ... بها تاهَ الخيالُ بها تَسَامى
حدائقُ مالها عدٌ وحصرٌ ... تَكادُ الدُّورُ تَنْتطحُ الغَماما
شَوارعُ زانتِ الأشجار فيها ... وفي أفيائها انْتظَمَ النَّدامى
وصَالتْ دولةٌ للشّعر فيها ... وبين نخيلها انْتثر الهَيامى
مَعاهدُ للهُدى والعلم شيدتْ ... أرى الروَّاد بل وأرى الزّحاما
وهذا المُلْكُ من أعلى بناهُ ... وهَذا الازدهارُ متى ترامَى؟

وهـذي الـوَحـدةُ الـكـبـرى أقـيـمـت بـهـا الـدّيـن الـحـنـيـفُ قـدِ اسـتـقـامـا؟
إذا الـدُّنـيـا تـقـولُ بـمـلءِ فـيـهـا أجـلْ «عـبـد الـعـزيـز» لـهـا أقـامـا
وجـمَّـعَ مـا تـبـعـثـرَ مـن تـراثٍ وذادَ عـن الـعـروبـةِ أن تُـضـامـا

* * *

أَلا يـا خـادم الـحـرمـيـن أزْجـي لـكـم حـبِّـي وإخـلاصـي دَوامـا
«جَـنَـادْرِيَّـةُ» انـبـعـثـت وقـامـت وحَـقَّـق مـا صَـنـعـتَ لـهـا الـمـرامـا
ودَعْـمٌ مـن «ولـي الـعـهـد» دومـاً وتَـوْجـيـهٌ بـهِ قُـدنـا الـزِّمـامـا
وهـذا الـمِـهـرجـانُ غـدا مـنـاراً بـهِ نُـهـدي إلـى الـدُّنـيـا الـسَّـلامـا

المنجزات

أنت يا «فهد» سعد آل سعود ... سطر الدهر ما فعلت ومجد

* * *

حلمٌ ما أراه أَمْ هوَ وهمٌ ... أَم هيَ المنجزاتُ بالحقّ تشهدْ

أَمْ هوَ الخيرُ يا «مليكي» وافى ... وبهِ عهدُكَ السعيدُ تَفرَّدْ

فبِلادي غدتْ حديثَ البرايا ... أَمنُهْا ذائعٌ قويٌّ موطدْ

وإذا تِلكُمُ الصحَّاري جنانٌ ... مُدنٌ عُمّرت وعزٌ وسُؤدَدْ

* * *

يا مَليكي ومَنْ سواكَ مليكٌ ...ساندَ العربَ في الخطوبِ وأنجدْ

تبذلْ النَّفسَ والنفيسَ فداءً ... لا تُبالي ولا . . ولنْ تَتَردَّدْ

تَنْصرُ الدينَ تنصرُ الحقَّ تسعى ... لاتحادٍ يُبيد كلَّ تَبَدُّدْ

وإذا الخُلْفُ دبَّ سرتَ حثيثاً ... ترأَبُ الصَّدعَ والقلوبَ تُوحّدْ

قد رأيناكَ أَمسِ قولاً وفعلاً ... تَحتوي الخلفَ يا مليكي فَيخمُدْ

وإذا المسلمونَ فاؤوا وجاؤوا ... فإلى برِّكَ الرَّجاءُ المُؤكَّدْ

ولأفريقيا بعثتَ تِباعاً ... مددَ الغَوثِ بالغذاءِ مُزّوَّدْ

قِمَمٌ من فِعالكِ الغُرّ تَعلو ... كلَّ يَومٍ نَراكَ مِنْها تُشيّدْ

الــقَــوافــي تــقــولُ وهْــي طــواعٌ وعــيــونُ الــكــلامِ وهْــي تُــؤيّــدْ

* * *

أنــتَ يــا «فــهــد» ســعــدَ آلِ سُــعــودٍ سَــطَّــر الــدَّهــرَ مــا فــعــلــتَ ومــجَّــدْ

يــا مَــلــيــكــي لــكَ الــتَّــهــانــي بــشــهــرٍ فــيــهِ أوحــي عــلــى الــنَّــبــيّ مــحــمَّــدْ

فــيــهِ «بــدر» وفــيــه «حِــطــيــنْ» كــانــتْ وانــتــصــارُ «الــسـويــس» لــلــفــتــحِ مَــشْــهَــدْ

لَــيــلــةُ الــقَــدْرِ فــيــهِ خَــيْــرُ مِــنْ ألْــفٍ مِــنْ شــهــورٍ وكــلّ نَــجْــمٍ وفَــرقــدْ

عِشتَ يا «فهد» عشتَ ذُخراً لشعبٍ لــكَ بــالــحــبّ والــولاءِ يُــؤكّــدْ

عاطفة إخلاص

سألوني نراكَ تشدو بعهدٍ ... وتصوغُ القصيدَ بعدَ القصيدِ
أيّ عهدٍ ترى بربّك قُلْهُ... ... قلت والله عهدُ آل سعودِ
وبمنْ منهمو؟؟ أجَبتُ بزهوٍ ... إنَّه «فهد» تاج عرشٍ مجيدِ

* * *

سيّدٌ إن نسبتَ فرعاً ومجداً ... في الذّراري ومحتداً في الجدودِ
يتغنّى به الزَّمان مشيداً ... والأناسي بحاضرٍ وبييدِ
أوتيَ الفصلَ في الخطاب وعزماً ... ومضاءً يفوقُ كلّ الحدودِ
هو للمسلمين حصنٌ منيعٌ ... صادقُ القول منجزٌ للوعودِ
يَركب الجوّ والصّعابَ بقلبٍ ... مُطمئنٍ بربّ هذا الوجودِ
يطلب الحقّ ساعياً ومجدًّا ... لا يبالي بأيّ خصمٍ عنيدِ
وإذا ما سعى العداةُ بخلفٍ ... ورمونا بكلّ رزءٍ شديدِ
ثرتَ يا «فهد» مثل ليثٍ هصورٍ ... لا يفلّ الحديدَ غيرُ الحديدِ

* * *

مرفوعة إلى مقام حضرة صاحب الجلالة الملك فهد بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية المعظم بمناسبة الميزانية الجديدة لعام ١٤٠٥هـ ـ ١٤٠٦هـ.

مَـنْ تُـرى الـيـومَ لـلـعـروبـةِ سـيـفـاً   مـصـلـتـاً لا يـهـابُ أيّ وعـيـدِ
ثـابـتَ الـجـأشِ إنْ دهَـتْـنـا خـطـوبٌ   قـلـتُ «فـهـد» سـلـيـلُ آل سـعـودِ

* * *

سَـنـةُ الـخـيـرِ أقـبـلـتْ مـثـلَ فـجـرٍ   يَـتـهـادى بـنـورِ يـومٍ جـديـدِ
بـاقـتـصـادٍ حـديـثُ كـلّ الـبـرايـا   ونـعـيـمٍ يـغـيـظُ قـلـبَ الـحـسـودِ
صـدق الـلـه وعـدَه يـا مـلـيـكـي   بـرخـاءٍ وعـهـد عـيـشٍ رغـيـدِ

* * *

يـا مـلـيـكـي عـدلـتَ بـيـن الـرَّعـايـا   ونـشـرتَ الـسّـلامَ فـوقَ الـبـنـودِ
أنـا إن شـطّ بـيَ الـمـزارُ فـقـلـبـي   أنـتَ طـوَّقْـتَـهُ بـعـطـفٍ وَجـودِ
يـا مـلـيـكـي رفـعـتَ شـأنَ بـلادي   بـيـنَ دانٍ وبـيـن قـاصٍ بـعـيـدِ
لـك مـنّـا الـولاءُ والـحـبُّ دومـاً   ودعـاءُ لـكـم بـعـمـرٍ مـديـدِ

في مهرجان الطائف

مولاي خادم الحرمين الشريفين:

شرفٌ لي بأنْ أقومَ خطيبا … أنظمُ الدرَّ والدَّراري قصيدا

في ابنِ عبد العزيزِ «فهد» مليكي … عرف الكونُ عزمهُ والجودا

القَوافي بها الحواضرُ تسري … والبوادي تزفُّها ترديدا

يُرهفُ الدهرُ سَمعهُ لقصيدي … وبناتُ القريضِ صِغنَ النشيدا

خرجَ الطَّائفُ الحبيبُ شيوخاً … وشباباً وعُدةً وعديدا

والمزاميرُ والدفوفُ تُدوّي … والمغاني تفرَّدت تغريدا

تتغنَّى بسيّدي ومليكي … بك يا «فهد» قائداً صنديدا

المروءاتُ عن فِعالك تُروَى … كلَّ يومٍ تنيرُ فجراً جديدا

كلَّما لاح في سمانا خلافٌ … كنت حرباً على الخلافِ شديدا

ترأَبُ الصَّدعَ والجروحَ تُداوي … وتَضْمُّ الصفوفَ عقداً نضيدا

ودعاةُ السَّلام يشدونَ فخراً … بك للسّلمِ داعياً ومُشيدا

يا مليكي وأَنت خيرُ مليكٍ … قد حباكَ الألَهُ رأياً سديدا

ووليٌ للعهدِ وهْو أَمينٌ … قد عرفناهُ مِدرهاً ورشيدا

الرَّخا والأمانُ سادا بلادي … والصناعاتُ جاوزتْها حدودا

هَــذِه قِــمَّــةُ الــحــدائــقِ تــزهــو　　بــنــبــاتٍ أَراهُ نــبــتــاً فــريــدا

فــإذا تِــلــكــمُ الــقِــفــارُ جــنــانٌ　　عــامــراتٌ مــزارعــاً وســدودا

وإذا نــحــنُ يــا مــلــيــكــي نُــبــاهــي　　أُمَــمَ الأرضِ دانــيــاً وبَــعــيــدا

دمــتَ لــلــدّيــنِ حــامــيــاً ونــصــيــراً　　ومــنــاراً يــضــيــءُ هــذا الــوجــودا

معرض السعودية بين الأمس واليوم

أيُّ صــــرح وأيُّ مـــــجـــــدٍ أراهُ ... مَــنْ تُــرى شــادهُ وأَعــلــى بِــنــاهُ

فــإذا بــالــدُّنّــا تُــشــيــرُ إلــيــهِ ... إنَّــهُ «فَــهْــدُ» لا مــلــيــكَ ســواهُ

مَـلِـكٌ عَـرْشُـهُ الـمـكـيـنُ سَـمَـتْـهُ ... رفـعـةُ الأصـلِ والـصَّـلاحِ سـداهُ

مَــلِــكٌ هــمَّــهُ يــســودُ وِئــامٌ ... واتِّــحــادٌ يــطــولُ نُــعــمَــى مــداهُ

يَــرأَبُ الــصَّــدعَ والــجـروحَ يُـداوي ... أَيُّ خُــلُــفٍ يــراهُ أَعْــدِى عِــداهُ

بَــيــنَ أَمــسٍ مــن الــزَّمــانِ ويــومٍ ... مَـعـرضُ الـمُـنْـجَـزاتِ شَـعَّ سـنـاهُ

فَـتَـحَـتْ أَرْضَـهـا الـكِـنـانـةُ صـدراً ... واحْــتــواهُ حَــنــانُــهــا ورَعَــاهُ

فــإذا الــبُــعــدُ لــمْ يَــكُــنْ لا وربِّــي ... غَـيـرَ تَـمْـحـيـصِ حُـبّـنـا مـن عـداهُ

وإذا نــحــن أخــوةٌ جَــمَــعَــتْــنَــا ... فَــلَــهُ الــحــمــدُ لا إلــهَ سِــواهُ

«مِـصْـرُ» دِرعٌ إذا الـخُـطُـوبُ دَهَـتـنـا ... وهْــيَ نــورٌ يَــمُــدُّنــا بِــهُــداهُ

بـاركَ الـلـه فـي «مَـبـارك» شـعـبـاً ... سَــدد الــلــه لِــلْــعــلاءِ خُــطــاهُ

إيـهِ «سـلـمـانُ» والـفِـعـالُ شـهـودٌ ... وفَــمُ الــدَّهــرِ مــن نــداكَ شَــذَاهُ

مــدْرَهٌ أنْــتَ لــلــبــلادِ فَــخــارٌ ... ويــدٌ قــدَّمــتْ كــثــيــراً يَــداهُ

ألقيت في قاعة الليزر بمعرض السعودية بين الأمس واليوم الذي افتتح بالقاهرة في ٢٧ شوال ١٤٠٧هـ الموافق ٢٣ يونيو ١٩٨٧م..

بَيْنَ أمسٍ وحاضرٍ مُنْجزاتٌ بَهَرَ الغَربَ ما رأى واسْتَباهُ
وازْدِهارٌ تحدَّث النَّاسُ عنهُ بَلَغَ الأوجَ والكمالَ سُراهُ
قَدْ سَبَقْنَا الزَّمانَ عِلماً وفَناً بِكَ «يا فهد» وارْتَقينَا ذُرَاهُ
دُمت «يا فهد» للعروبةِ عوناً ونصيراً لدينهِ وحِمَاهُ

قصر السَّلام

قـصـر الـسَّـلام تـعـطـرت أرجـاؤه بـك «فـهـد» يـا مَـنْ لـلـسَّـلامِ إمـامُ

مـا زلـتَ تـسـعـى لـلـسَّـلام بـهـمـةٍ أَعـلـى صـروحَ بـنـائـهـا الإسـلامُ

يا خـادمَ الـحـرمـينِ يا حـامي الـحـمـى شـرفـتْ بـذكـر فـعـالِـك الأيَّـامُ

الـمـنـجـزات حـديـثُ شـعـبِـكِ كُـلِّـه والـمـكـرمـاتُ بـهـا شـدا الأقـوامُ

قـصـرَ الـسَّـلام تـفـتَّـحـتْ أبـوابُـهُ وبـدتْ تـرفـرفُ فـوقَـهُ الأعـلامُ

كـرَّسـتَـهُ لـلـشَّـعـبِ نِـعْـمَ هـديـةً مِـنـكـم وجـلَّ الـفـضـلُ والأنِـعـامُ

والـشَّـعـبُ سـارَ مَـواكـبـاً فـمـواكـبـاً وقـلـوبُـهـمُ لـكَ بـالـدعـاءِ قـيـامُ

يـتـسـابـقـونَ مـهـنـئـيـنَ مَـلـيـكَـهـمْ بـحـلـولِ شـهـرٍ حـلَّ فـيـهِ صـيـامُ

وحَّـدت بـيـن قـلـوبـهـمْ وصـفـوفـهـم فـإذا الـجـمـيـعُ مـحـبـةٌ ووئـامُ

ورفـعـتَ مـن شـأنِ الـبـلادِ فـأصـبـحـتْ ولَـهـا بـمـضـمـارٍ الـرقـيّ مـقـامُ

فـحـضـارةٌ وصـنـاعـة وزراعـةٌ وتـقـدمٌ وإدارةٌ ونِـظـامُ

فـلـيـحـفـظِ الـلـه الـمـلـيـكَ مـؤيـداً وخـطـاهُ دومـاً لـلأنـامِ سـلامُ

البوسنة والهرسك

بَــريــقٌ لاحَ مــن ديــمٍ قَــتــامــى ... لِبُـوسـنـةً فـيـهِ يُـسـرٌ بـعـد عُـسْـرِ
جـهـودُكَ خـادمَ الـحـرمـيـنِ كـانـتْ ... ومـا زالـتْ تُـضـيـىء بـكـلّ خـيـرِ
لـعـمـري كـنـتَ أوَّل مـن تـصـدَّى ... لـتـرفـعَ عـنـهـمـو ويـلاتِ ضُـرِّ
دعـوتَ الـمـسـلـمـيـنَ إلـى التَّـنـادي ... أمـامَ تـجـمُّـعٍ مـن أهـلِ كـفْـرِ
مـحـافِـلُ لـلـسـيّـاسـةٍ فـي أوروبـا ... وفـي الأمـريـكـتـيـنِ وكـلّ مِـصـرِ
لَـتَـشْـهَـدُ مـا بـذلـتـمْ مـن جـهـودٍ ... تـردِدهُ صـحـافـةُ كـل قُـطـرِ

* * *

دعـاةُ الـكـفـرِ والإلـحـادِ صـارتْ ... جُـمـوعـهـمـو بـلا عـدٍ وحَـصـرِ
عـلـى الإسـلام صـمَّـم «حـرب يـوغـو» ... بـألاَّ يـبـقـى مـن أثـرٍ وذكْـرِ
جَـحـافـلـهـمْ إلـى «سـرايـيـغـو» سـارتْ ... تـهـدّمُ مـسـجـداً مـن بـعـدِ قـصـرِ
فـمـن قـتـلٍ إلـى هـتـكٍ وقـصْـفٍ ... إلـى جـوعٍ إلـى مـرضٍ وفـقـرِ
تـكـدَّسـتِ الـشـوارع بـالـضَّـحـايـا ... وآثـار الـدمـاء بـكـلّ شـبـرِ

بمناسبة حوادث البوسنة والهرسك.

كـوارث مـن هـنـا وهـنـاك حـلَّـتْ وزَلـزلـتِ الـمـصـائـبُ كـلَّ صـبـرِ

* * *

وَكـــانـــوا وحـــدَهـــم إلاَّ بـــعـــزمٍ وإيــمــانٍ يُــضــيــىء بــكــلِّ صــدْرِ

وكـادَ الـيـأسُ يُـفـنـي مـا تـبـقَّـى لـديـهـم إثـر تـنـكـيـلٍ وغـدْرِ

وإذْ بـكَ خـادم الـحـرمـيـن تَـبـدو كـشـمـس بـعـدَ غـيـمٍ مُـكْـفَـهِـرِ

فـقـمـتَ تـذودُ عـنـهـم هـولَ كـيـدٍ وتـوقـفُ بَـطْـشَ تـقـتـيـلٍ وأسْـرِ

تَـهِـبُّ بـوازعٍ مـن ديـن حـقٍ تُـزيـلُ عـن أهْـلِ «بـوسـنـة» مُـرَّ قَـهْـرِ

بـوافِـرِ بـرِّكَ الـمـوصـولِ تَـتْـرى فـمـن جـوٍّ إلـى بـرٍ وبـحْـرِ

لِـتـرفـعَ عـنـهـمُـو ظـلْـمَ الأعـادي فـكـنـت الـبـارّ يـسـبـقُ كـلّ بَـرِّ

وأَنَّـك مـا تـزالُ حـمـاكَ ربـيّ تـنـاضـل فـي جـهـادِ مُـسْـتـمـرِّ

* * *

ورُحـنـا نـحـنُ شـعـبـكَ يـا مـلـيـكـي نُـشـيـدُ بـمـا فـعـلـتَ بـكـلِّ فـخـرِ

فـلا عـزٌّ لـنـا إلاَّ بـفـهـدٍ أمـدَّ الـلـه فـيـهِ طـولَ عـمـرِ

وقـاهُ الـلـه ربـيّ كـلَّ شـرٍّ وأيَّـده بـنـصـرِ تِـلْـوَ نَـصْـرِ

* * *

العُربُ أنت

من مهبطِ الوحيِ من أرض النَّبوءات　　قصيدةٌ تَتَهادى في سَنَا الحُللِ
أزفُّها شطْرَ مَولايَ العظيمِ ومَنْ　　فِعالُهُ الغُرُّ أَضْحَتْ مضربَ المثلِ

* * *

يا خادمَ الحرمينِ الشَّعبُ مُبتهجٌ　　بما صَنعتَ وما حقَّقْتَ من أَمَلِ
بِشرعةٍ مِنْ كِتابِ الله مَنْبَعُها　　وسُنَّةٍ لنبيّ خاتمِ الرَّسُلِ
لِلحكم تَهدفُ والشُّورى مَسيرتُها　　ولِلمُناطقِ تنظيمٌ على العَملِ
جَمعْتَ ديناً ودُنيا فلْتعِشْ سنداً　　تذودُ عنَّا نُيوبَ الشْركِ والنّحَلِ
فالْكُلُّ يرفُلُ في خيرٍ وفي سَعةٍ　　وفي أمانٍ حديثُ النَّاسِ والدُّوَلِ
والله يجزيكَ عنْ صومٍ ومكرمةٍ　　أنداؤُها اليومَ ملءُ السَّهلِ والجبلِ

* * *

يا واسعَ الصَّدر بلْ يا جامعَ العربِ　　على المحبَّةِ رغمَ الكيدِ والخَتَلِ
العُربُ أنتَ وأنتَ اليومَ قائدهم　　وأَنتَ دِرْعهمو في الحادثِ الجللِ
والمسلمون لقد أصبحت مُنقذَهم　　من طغمة الكُفرِ والإلحادِ والعِلَلِ
فقدْ رأوكَ غداةَ النَّفْعِ مندفعاً　　كاللَّيث يزأرُ بين البيضِ والأسلِ

* * *

يـا سـعـدَ آلِ سـعـودٍ سـرْ بـنـا قُـدُمـاً　　　واضربْ بحزمكَ أَهلَ الزَّيغِ والمِلَلِ

وطـهّـرِ الـديـنَ مـن أدرْانـهـم فـلـكـمْ　　　عاثوا فساداً ودسُّوا السُّم في العَسلِ

والـمـارقـونَ ومـا كـادوا ومـا صَـنـعـوا　　　وفرَّقوا الشّملَ بالتدّليسِ والدَّجلِ

وأشْعلوا الحقدَ والبَغضاء واخترْعوا　　　من الدعّاياتِ أنماطاً من الحيلِ

يـا خـادمَ الـحـرمـيـنِ الـلـه قـيـضَّـكُـمْ　　　لنَصرةِ الديّن والأمجادِ والمُثُلِ

فَهلْ أرى المسجدَ الأَقصى تحرّرهُ　　　يداكَ مِمَّنْ عليهمْ لعنة الأَزَلِ

وهَـلْ أراكَ تُـؤُمُّ الـمـسـلـمـيـنَ بـهِ　　　والنَّاسُ خَلْفَكَ من داعٍ ومُبتَهلِ

أمنيات

فَـمـتـى «الـقـدس» هَـلْ أعـيـش أراهـا   حــرّرتْ مــن يــدِ الــعُــداةِ الــغــزاةِ
وأرى جَــحــفــلَ الأعــاربِ فــيــهــا   ينشر الأَمـنَ في الـرُّبى الـشـامـخـاتِ
وأَرى الـمـسـجـدَ الـمـبـاركَ فـيـهـا   وبــهِ «فــهــد» قــائــمٌ لــلــصَّــلاةِ
مــرحــبــاً بــعــدَهــا بــيــومِ وفــاتــي   لــيــتَ فــي «مــكــة» يــصــيــرُ رفــاتــي

تحية ولاء

عُدتَ والعودُ يا مليكي أَحمدُ ... وفمُ الدَّهر بالمَسَّراتِ أنشدْ

عَمَّتِ الفرحة العظيمةُ شعباً ... سمعوا صوتَكَ النَّديَّ يرددْ

فانْبروا حامدينَ ربَّ البرايا ... أنْ شُفيتمْ وما اعتراكم تبدَّدْ

للأَهازيج في البلادِ دويٌ ... ونشيدُ السُّرورِ أَسرى وأنجدْ

فبعيدين يا ميلكي نعِمنَا ... نرفعُ الشُّكْر للإلهِ ونَسجدْ

دمتَ للمسلمين يا «فهد» عزاً ... ولنا يا مليك أنتَ الفَرقدْ

فَولائي لكمْ مقيمٌ بقلبي ... يا مليكي عليه ربّيَ يَشهدْ

تحية ولاء وإخلاص

حَمِدنَا إلهَ الكونِ إذْ منَّ بالشّفا ... وأسبغَ من نعمائهِ البُرءَ ضافِيَا

طلعتَ طلوعَ البدر في أوج تمّهِ ... تضيىء لنا نوراً من الحبّ صافيا

فحيَّاك كالصبح المنيرِ تألقاً ... وصوتكَ في التلفاز كان مُجلّيا

* * *

بيانٌ صريحٌ لا غموضَ ولا التَوَى ... تَدفَّق رقراقاً وراقَ معَانيا

فلم تخفِ عنّا ما اعتراكَ وما جرى ... ومن طبعكِ المشهود ألاَّ تواريا

حديثٌ هو التاريخُ لخَصْتَهُ لنا ... فروَّى بعذب القول من كان صاديا

وصوَّر بالسَّردِ الجميلِ مناطقاً ... بها قطعَ التنظيم شوطاً مثاليا

خطابٌ هو الشهدُ المصفَّى حلاوةً ... بهِ الفرحةُ الكبرى تنيرُ اللّياليا

* * *

حديثٌ حوَى من رائع القول سَلْسلاً ... بهِ الشَّعبُ يا مولايَ أصبحَ شَاديا

وفي منزلِ الوحي الأمينِ مآثرٌ ... بها روعةُ الإنجاز تزهو عواليا

وما شيدَ في دار الرسولِ بطيبةٍ ... لقد كانَ إبداعاً بناءً وبانيا

أقمتَ على الدينِ الحنيفِ معاهداً تخذتَ من الشورى سبيلاً وهاديا
وأنتَ لأَنت الشَّهمُ والفذُ في الحجى وأنْتَ لأنتَ اليومَ للسّلمِ ساعيا

* * *

وراعك هولٌ للدمّاءِ مراقةً وقتلٌ وتدميرٌ يشيب النَّواصيا
دعوتَ إلى صلح جنوباً وشمألاً فهاهم أجابوا مُذ هتفتَ المناديا
فيا ربّ أيّدهُ بنَصْرٍ مؤزرٍ وَوَفّقهُ للإصلاحِ والسّلم داعيا

* * *

وقفة في جبل الرحمة

أيُّها الواقفون في جبل الرّحمة والسَّهلِ من حِمى عرفاتِ
حاسرو الرَّأس يرتجونكَ ربّي يا مقيلاً لنا من العثراتِ
ترفعون الأكُفَّ لله حمداً طالبين القبولَ والرَّحماتِ
رجعُ لبيَّك لا شريكَ لربّي ردَدتهُ القلوبُ بالدَّعواتِ
حَملتهُ نسائمُ الخلدِ لله العليّ الفريدِ في المُثلاتِ
ربّ هذا الحجيجُ من كلَّ فجّ جاءَ يسعى مهرولَ الخطواتِ
قاصداً بيتكَ المعظَّم للحجّ وللعفوِ عمَّا مضى والآتي

* * *

فإذا ما أَفضتُمو صوبَ «مزدلفة» تبغونَ بها حَصى الجمراتِ
و «ثَبيرٌ» مع «المُحَصَّبِ» يَرنو «لمنى» الخيرِ والرُّبى النّيراتِ
أُذكروا في الصَّلاةِ «بالخَيفِ» رباً غافراً للذُّنوبِ والهَفَواتِ
إسألوهُ بأنْ يمُنَّ علينا بصفاءِ القلوبِ والنّياتِ
ربّ وحّدْ صفوفنَا واعفُ عنَّا وقِنا السيّئاتِ والنَّزواتِ

* * *

أيُّها الواقفونَ في «جبل الرَّحمةِ» والسَّهلِ من حِمى عرفاتِ

مرحباً.. مرحباً.. وأهلاً وسهلاً   بضيوفِ الخيراتِ والبركاتِ
بضيوف ابن عبد العزيز فهدٍ مليكي   خادمِ المسجدينِ للصَّلواتِ
هُو للدّين والعروبة دوماً   السّلاحُ القويُّ في الأَزماتِ
هُوَ للمسلمينَ ذُخرٌ وعونٌ   باسطُ الكفّ قائمٌ بالصّلاتِ
حشدَ المالَ والرجالَ جنوداً   في سبيل الحجيجِ بل كلِّ آتِ
وفَّرَ الماءَ والسَّبيلَ وزاداً   وأماناً وسائرَ الخدَماتِ
يَسَّر الطّب والدواءَ لكلٍّ   وأنارَ العقولَ بالجامعاتِ
هيّأ الاتّصالَ أَنَّى حللتُمْ   تَجدوها رهينةَ الحَركاتِ
وسُدودٌ بها الزُّروعُ تُضاهي   شَبكاتِ الجُسورِ والطُّرقاتِ
ووليّ لعهدِهِ مَنْ رأيتَمَ   يتحلَّى بأعظمِ المَكْرُماتِ
خُلُقاً إنْ ذكرتُ كانَ مِثالاً   فيهِ ما فيهِ من نبيلِ الصفاتِ

* * *

يا مَليكي بكَ البلادُ تعالتْ   فَغَدَتْ مقصدَ الرّجالِ الثّقاتِ
تَتَوالَى الوفودُ تَطْلبكَ النُّصحَ   وعوناً على الطُّغاةِ البُغاةِ
ربِّ فاحفظْ مليكنَا وأَعنهُ   ربّ وفّقهُ للخُطى الصَّالحاتِ

تهنئة ودعاء

الـعـيـدُ عـيـدانِ يـا مـولايَ عـودتـكـم   وقـد شُـفـيـتـم وزالَ الـيـأسُ والأَلَـمُ

ونـحـن شعبكَ ندعو الله يحفظكمْ   حـصـناً بـهِ بـعـدَ ربّ الـكـونِ نـعـتـصِـمُ

والـمسلمونَ لقد أصبحتَ منقذَهمْ   مـن الـضَّـلال ونـارُ الـشّـرك تـحـتـدمْ

منّي التَهاني وبالحبّ المكين غدتْ   لأَنـتَ يـا فـهـدُ أنـتَ الـمـفـردُ الـعـلـمُ

فلتبقَ يا سيّدي النُّورَ المضيىء لنا   تـفـيـضُ فـي ظلّـهِ الـخـيـراتُ والـنّـعـمُ

* * *

العيد أضحى وبالخيرات مقدمهُ

وأنت يا سيدي باليمن طالعهُ

هذا الحجيجُ وقد أدوا مناسكهم

دعاؤهم لك ملء الجوّ أسمعهُ

لك التهاني بهذا العيد أرفعها

تزفُّ عاماً سعيداً حان مطلعهُ

لكَ الولاءُ وهذا العمرُ أرخصهُ

فدىً إذا ما دُعيتُ اليومَ أدفعهُ

* * *

العِيدُ أَلأَكْبَرُ وَافَتْنا طَلائِعُهُ

مِنْ كلِّ فَجٍ وآَفاقٍ ركائِبُهُ

تَدَفَّقُوا صَوْبَ بَيتِ الله حَجَّهُمُ

وَالْكلُّ لِلْعفوِ والغُفْرانِ مَطْلَبُهُ

أمَّنت خشِيتَهم هيّأتَ راحتهُمْ

فَالكُّل يَدعُو وَقدْ تَمَّتْ رَغائبُهُ

لَكَ التَّهاني وأَدعُو الله يَحْفظكُمْ

ذُخْراً لشَعبٍ بكُمْ عزَّتْ مَراِتبُهُ

* * *

عُدْتَ والْعودُ يا مَليكيَ أَحْمَدْ

وَفَمُ الدَّهرِ بالبَشائرِ غَرَّدْ

وَدُعاءٌ لكمْ بِعمرٍ مَديدٍ

وَتَهاني بشهرِ صوْمٍ تَغَرَّدْ

فَمِنَ المَسْجدينِ دَوَّتْ قُلُوبٌ

لَكَ بالشّكُرِ والدُّعاءُ تَرَدَّدْ

قَدْ سَعيْتُم لِنصرةِ العُربِ حتَّى

جَمعَ الله شَملَهُمْ فَتَوحَّدْ

* * *

عُيدُ الفِداءِ لَقَدْ وافَتْ مَواكِبُهُ

وَالسَّعدُ يا سيّدي هَلَّتْ بَشائِرُهُ

والْوَافدونَ وَقَد أَدَّوْا مَنَاسِكَهُمْ

في راحةٍ وأَمانٍ أَنتَ نَاشِرُهُ

وَالْبَيْتُ ردَّدَ شُكْر الطَّائفينَ بِهِ

وبِالدُّعاءِ لكمْ دَوَّتْ مَنَائِرُهُ

لَكَ التَّهاني وَمِن قَلْبٍ بِحُبكُمُ

تَشْدو وَلاءً وإِخلاصاً سَرَائِرُهُ

* * *

شَهْرُ الصّيامِ لَقَدْ جَادتْ رَوافِدُهُ

بُشْرى بِنَصْرٍ من الرَّحمنِ مَطْلَعُهَا

فَالْقُدسُ مَهْما يَكُنْ شَأْنُ الغُزَاةِ بهَا

عَلى يَدَيْكِ بِعونِ الله مَرْجِعُهَا

فَدَوْلَةُ الظُّلْمِ مَهْما طَالَ مَرْتَعُها

فَسَوْفَ يَأْتي بإِذْنِ الله مَصْرَعُهَا

لَكَ التَّهانيَ وَبالإِخْلاصِ أَسْطُرُهَا

يَا خَادمَ الحَرمينِ اليَومَ أَرفعُهَا

* * *

بالْيُمْنِ والْبِشْرِ والإِقْبالِ مَشْرِقُهُ

عيدٌ أَهَلَّتْ بهِ الخَيْراتُ طَلْعَتُهَا

هَيَّأْتَ لِلشَّعبِ ما يَبْغيهِ من سَعَةٍ

أَكُفنُّا لكَ بالدَّعواتِ نَرْفَعُهَا

هَذي بلاَدي حَدِيثُ النَّاسِ رِفْعَتُهَا

تَفِيضُ بالنْعمةِ الكُبْرى مَرابِعُهَا

لَكَ التَّهاني بعيدِ الفِطرِ أُرْسِلُهَا

وَبالوَلاءِ وبالإِخْلاصِ أَشْفَعُهَا

* * *

هِلالُ الصَّومِ بالبَركاتِ وَافَى

وَفِيهِ جاءَتِ الخيراتُ تَتْرَى

سُقينَ الغَيْثَ وانْجَابَتْ هُمومٌ

فَلَوْلا أَنْتَ ما كانَ اتّفاقٌ

جَزاكَ اللَّه ربيِّ منْهُ خَيْرا

أَزُفُّ لكَ التَّهاني من فُؤادٍ

تَفِيضُ شِغافُهُ حُباً وشُكْرا

* * *

يا خَادمَ الحرمينِ العَيدُ مُؤْتَلِقٌ

بِمُنْجَزاتٍ بها نَزْهو ونَفْتَخِرُ

الأَمنُ واليُسْرُ والخيراتُ دَافِقَةٌ

في أَرْضِنَا ورِياضُ العِلْمِ تَزْدهِرُ

إنَّا لَنَدْعو إلهَ العَرْشِ يَحْفظكُمْ

ذُخْراً لِشَعْبٍ بكمْ يَعلُو وَيَنْتَصِرُ

هَذِي التَّهاني بعيدِ الفِطْرِ أَرْفَعُهَا

مَشْفُوعَةً بِولاءٍ فيكَ يَنْحَصِرُ

«فتاة آن أربر»

وَمَرَّتْ والحَيَا في الخَطْوِ يَسْري وعِطْرٌ سَابِحٌ في الجَوّ يُنْشَرْ
ولِلْعِطْفَيْنِ إمَّا إنْ تَثَنَّتْ كَأَنْ «مَارْلينَ مُونْرو» فيهِ تَخْطُرْ
وَفِي العَيْنَيْنِ حِينَ رَنَتْ نِداءٌ تَحَدَّى كُلَّ جَبَّارٍ تَكَبَّرْ
وَدُنيَا مِنْ جَمالٍ عَبْقَريٍ أَرَى فيهِ لَعَمرِي «لانَ تِيرْنَرْ»
وأَجْراسُ الصِّبَا في القَدّ دَقَّتْ وَصُبْحُ الحُبِّ بالإشراقِ أَسْفَرْ

* * *

وسَارَتْ والقُلوبُ لَها بِساطٌ يَمُدُّ رِوَاقَهُ أَيَّانَ تَظْهَرْ
تَسَمَّرَتِ العُيونُ عَلى خُطَاهَا وَوَدَّ فَمُ الثَّرى تَقْبيلَ بِنْصَرْ
مُنَسَّقَةٌ مُنَظَّمَةٌ تَرَاهَا فَتَحْسِبُهَا بِحَقٍّ «كُومْبيُوتَرْ»
وَحِينَ خَطَتْ وُرُودَ الرَّوضِ نَدَّتْ وَوَجْهُ اليَوْمِ بالبَسَماتِ نَضَّرْ
وَسِيمُفُونِيَّةٌ عَزفتْ بِلَحْنٍ كَأَنْ «شُوبَرتْ» يَعْزِفُهْ «بِأَرِيَرْ»
تَرانِيمٌ وأَنْغامٌ تَعَالَتْ وَتَرْدِيدٌ بِلاَ دُفٍ ومِزْهَرْ
وَشَارَكَتِ السَّماءُ الأَرْضَ بِشْراً بِريحٍ كُلُّهُ مِسْكٌ وَعَنْبَرْ
وَدَاعٍ لِلْهَوَى لَمَّا دَعَانِي هَتَفْتُ مِنَ الجَوَى اللهُ أَكْبَرْ

أَمِـنْ أَيَ الـجِـنَـانِ هَـبَـطْـتِ قـالـتْ   أَنَــا يــا ســائِــلــي مِــنْ «آن أَرْبَــرْ»

وَأَنْــــــتَ؟؟

أَنَـا فَـدَيْـتُـكِ مـنْ بِـلادٍ   بِـهَـا الـتَّـأريـخُ لِـلْـعُـشَّـاقِ سَـطَّـرْ

رَوَائِـعَ مِـثْـل «جُـولِـيـتَ وَرْمـيُـو»   «ولـيـلَـى قَـيـس» أَوْ عَـبْـلاَ وَعـنْـتَـرْ»

أَرَى مَــوْسُــوعَــةً أَدَبــاً وفَــنَّــا   وَبَـحْـراً فـي الـعُـلُـومِ بـهِ سَـأَفْـخَـرْ

فَــأَيْــنَ دَرسْــتِ؟؟

قالتْ كُلُّ هَذا . .

«بِـأَربَـــــــــرْ

كُـــــلُّ هَــــــذَا

بَــلْ وَأَكْثَـــــرْ

ذُهِـلْـتُ!! تَـبَـسَّـمَـتْ ثُـمَّ اسْـتَـدَارَتْ   وَقَـالَـتْ: فـي أَمَـانِ الـلـه «يَـسْـمَـرْ»

* * *

وسَــارَتْ والـطَّـريــقُ لَـهَـا رَفِـيـقٌ   وأَرْتَــالٌ مِــنَ الـعَـشَّــاقِ «سُـمَّــرْ»

وآهَــاتُ الـقُـلــوبِ لَــهـا عَـزيـفٌ   عَـزيـفُ الـنَّـايِ فـي أَطْـلالِ «تَـدْمُـرْ»

وَمَـوْجـاتُ الـشَّـبـابِ مَـشَـتْ تِـبَـاعـاً   تَـزُفُّ فـتـاةَ «كِـسْـرى» لابْـنِ «قَـيصَـرْ»

وبَــاقَــاتُ الــوُرودِ بِــهَــا أَحَــاطَــتْ   وَفَـوْقَ الـعَـرشِ كـانَـتْ بِـنْـتُ «أَرْبَـرْ»

أَفَـاتِـكَـةَ الـعُـيُـونِ فَـدَتْـكِ نَـفْـسِـي   فِــدَاؤُكِ مَــا «بِــدَرْبَــورْنِ» وَ «أَرْبَــرْ»

أَرَى فـي نَـاظِـريْـكِ الـيَـومَ نُـوراً   أَنُــورُ الـبَـدْرِ أَمْ بَـصَـرِي تَـحَـيَّـرْ

أَحَــقــاً مَــا تَــقُــولُ؟

بَــلَــى وَرَبِّــي!   أَنا؟ لاَ . . لاَ . . لَعَمْرِي أَنْتَ تَسْخَرْ

أَنَـا!! كَـلاَّ . . وَفِيـكِ أَرَى مَـصِيـرِي ... فَـهَـذَا مَـا قَـضَـاهْ لِـيَ الـمُـقَـدَّرْ

لَـقَـدْ أَوْقَـعَـتَ نَـفْـسَـكَ فـي غَـرَامٍ ... ستَـلْقى الـوَيْـلَ مِـنْـهُ بَـلْ سَـتَـخْـسَـرْ

سَـأَصْـبِـرُ . .

لاَ أَرَاكَ بِـمُـسْـتَـطِـيـعٍ

سَـأَصْـبِـرُ . .

أَنْـتَ تَـهْـذِي أَنْـتَ تَـفْـشُـرْ

* * *

وَسَـارتْ والـقُـلُـوبُ لَـهَـا بِـسَـاطٌ ... يَـمُـدُّ رِوَاقَـهُ أَيَّـانَ تَـظْـهَـرْ

وَسِـرْتُ وَقَـدْ تَـغَـشَّـانِـي بُـكَـاءٌ ... عَـلَـى حُـبٍّ وَأَدْتُ «بِـأَنَ أَرْبَـرْ»

وأَشْـلاءُ الـفُـؤَادِ مَـشَـتْ وَرَائِـي ... تُـلَـمْـلِـمُ بَـعْـضَ مَـا مِـنْـها تَـبَـعْـثَـرْ

وَكُـنْـتُ أُصَـارِعُ الآلامَ عَـلِّـي ... أُهَـدْهِـدُ مَـا جَـرَى مِـمَّـنْ تَـجَـبَّـرْ

فَـهَـلْ أَسْطِيعُ؟ لَيْتَ . . عَسَى وَأَنَّى ... أُطِـيـقُ الـصَّـبْـرَ مِـنْ صِـبْـرِ الـتَّـصَـبُّـرْ

* * *

وَمَـرَّتْ بِـي لَـيَـالٍ حَـالِـكَـاتٌ ... وَإنِّـي سَـاهِـرٌ والـنَّـجْـمُ أَخْـبَـرْ

أَبِـيـتُ أَسَـائِـلُ الأَيَّـامَ عَـنْـهـا ... فَـلاَ خَـبَـرٌ عَـنِ الـمَـحْـبُـوبِ يُـؤْثَـرْ

فَـلَـمْ أَتْـرُكْ مَـنَـاهِـلَ لَـمْ أَرِدْهَـا ... وَلاَ سُـوقـاً تَـرَكْـتُ ولاَ مُـعَـسْـكَـرْ

ولِـلـنَّـدَوَاتِ سِـرْتُ وَدُورَ عِـلْـمٍ ... بَـحَـثْـتُ فَـلاَ دَلِـيـلَ يُـرَى وَمَـصُـدَرْ

فَـقُـلْـتُ الـيَـأْس أَرْجُـوهُ مُـعِـيـنـاً ... لَـعَـلِّـي أَسْـتَـرِيـحُ مِـنَ الـتَّـذَكُّـرْ

* * *

وَدَارَتْ دَوْرَةُ الأَيَّـامِ حَـوْلِـي ... وَمَـنْ أَهْـوَى نَـأَى والـرَّبْـعُ أَقْـفَـرُ

تَـعَـاقَـبَـتِ الـسّـنـونُ وَنَـارُ حُـبّـي   يَـزِيـدُ أُوَارُهَـا وَأَنَـا مُـحَـيَّـرْ
يُـنِـيـخُ شِـتَـاؤُهَـا وَأَنَـا وَحِـيـدٌ   وَبَـرحُ الـهَـمّ يَـصْـحَـبُـنـي وَيَـسْـهَـرْ

* * *

وَجُـنَّ الأَصْـدِقَـاءُ وقَـدْ رَأَوْنِـي   أَهِـيـمُ بِـدَونِ أَنْ أَخْـشَـى وَأَحْـذَرْ
فَـقَـالُـوا أَيُّـهَـا الـمَـجْـنُـونُ رِفْـقـاً   مَـصِـيـرُكَ مُـظْـلِـمٌ وَهَـوَاكَ أَخْـطَـرْ
غَـرامُـكَ أَيْـنَ مِـنْـهُ غَـرامُ «قَـيْـسٍ»   لَـقْـدْ أَعْـمَـى فُـؤَادَكَ وَالـتَّـبَـصُّـرْ
تَـرَحَّـلْ رُبَّـمَـا تَـسْـلُـو وتَـنْـسَـى   فَـحَـظُّـكَ غَـالِـبٌ ولَـسَـوفَ تَـظْـفَـرْ
أَجْـبْـتُ وَمَـا الـحَـيـاةُ وَقَـدْ تَـنَـاءَتْ   لَـعَـمْـرِي الـمَـوْتُ لِـي وَالـلـه أَسْـتَـرْ

* * *

مَـشَـيْـتُ أَجُـوبُ أُورُوبَّـا بِـشَـوْقٍ   وَطَـيْـفُ حَـبِـيـبَـتِـي يَـخْـفَـى وَيَـظْـهَـرْ
وَلَـمْ أَتْـرُكْ مَـتَـاحِـفَ لَـمْ أَزُرهَـا   ولاَ سِـيـنَـمَـا ولا صَـالاتِ مَـيْـسـرْ
وعَـيْـنِـي أَيْـنَـمَـا شَـامَـتْ جَـمَـالاً   رَأَتْـهُ مُـزَيَّـفـاً زِيَّـا وَمَـخْـبَـرْ
فَـلَـمْ أرَ فِـي بَـنَـاتِ «الـسّـيـنِ» شَـمْـسـاً   وَلاَ قَـمَـراً كَـمِـثْـلِ فَـتَـاةِ «أَرْبِـرْ»
وَكَـادَ الـيَـأْسْ يَـعْـصِـفُ بِـي وإذْ بِـي   أَرَى شَـبَـهـاً لَـهَـا شَـكْـلاً وَمَـظْـهَـرْ
فَـكِـدْتُ أَطِـيـرُ مِـنْ فَـرَحِـي . . أَحَـقـاً   تُـرَى هِـيَ أَمْ تُـرَى هَـذَا تَـصَـوُّرْ
دَنَـوْتُ تَـبَـسَّـمَـتْ لَـمَّـا رَأَتْـنِـي   وَقَـالَـتْ: جِـئْـتَ تَـطْـلُـبُـنِي «يَـأَسْـمِـرْ»
بَـلَـى . . أَأَعُـودُ
كَـلاًّ . . بَـلْ سَـتَـبْـقَـى   فِـصـدْقُ الـحُـبّ فِـي عَـيْـنَـيـكَ أَسْـفَـرْ
وَضَـمَّ الـشَّـوْقُ قَـلْـبَـيْـنَـا ورُحْـنَـا   نَـبُـلُّ غَـلِـيـلَـهُ فِـي «أن أَرْبَـرْ»

(فيافـي القــدر)

فـي ضـيـاء الـقـمـر.. فـي هـدوء الـسـمـر.. مـا أحـيـلـى الـسـهـر

وشــعــاع فــي عــيــونــك

ودلال مــن فــتــونــك

وحــديــث عــن فــنــونــك

فيه نفح الزهر.. وابتسام

الـخـضـر.. مـا ألـذ الـسـمـر

يــا حــبــيــبــي! يــا حــبــيــبــي! يــا حــبــيــبــي

يـا نـسـيـم الـسـحـر! يـا حـنـيـن الـوتـر! هـل حـبـيـبـي غـدر؟

يــا طــيــور غــردي

يــا ريــاضُ رددي

يــا دمــوع أيــدي

أيـن أيـن الـمـفـر.. هـل لـقـلـبـي مـفـر.. فـي فـيـافـي الـقـدر

يــا حــبــيــبــي! يــا حــبــيــبــي! يــا حــبــيــبــي

أنــت صــبــح سـفـر.. أنـت مـاضٍ أغـر.. أنـت دنـيـا الـعـمـر

أنــت يــا ســر حــيــاتــي

ضــمــنــي قــبــل وفــاتــي

يــا حــيــاتــي ومــمــاتــي

هــل يــطــول الــســفــر.. فــي طــريــق الــكــدر.. أم هــنــائــي حــضــر

يــــا حــــبــــيــــبــــي! يــــا حــــبــــيــــبــــي! يــــا حــــبــــيــــبــــي

فــــي فــــيــــافــــي الــــقــــدر

أغنية خفيفة

اقبل الليل فهيّا   نشبع اللّذة غيا
ونغني والهوى   يحلو غناء وحيا

هات من ثغرك راحا   واسقني الكأس الهنيه
إن فيها العمر والبشر   وأيامي الرضيه
إن فيها يا حبيب الروح   أنفاساً زكيه
إن فيها من دما قلبي   ومن أهوى البقيه

أقبل الليل فهيا   نشبع اللّذة غيا
ونغني والهوى   يحلو غناء وحميا

❊ ❊ ❊

إلى الشيخ عبد المقصود خوجه يحفظه الله

العيد هل بفجر الخير مطلعه   وأنت طالعه والكل في عيد
لك التهاني لك التبريك أجمعه   ولا صدى لك إلا كل تمجيد
تسعى لحفظ تراث كاد يندرس   ومن كنوز غزاها جيش تبديد
فسر طريقك عين اللَّه تكلأكم   من حاسد، حاقد، عات ومريد
لا خيل عندي أهديها ولا مال   فليسعد النطق عن شكري وترديد

مصر الجديدة في:

٧/ ١٢/ ١٤٢٢هـ

١٩/ ٢/ ٢٠٠٢م

تهنئة حبّ وتقدير
إلى
الشيخ عبد المقصود خوجه يحفظه الله

اللَّه أكبرُ، يا اللَّه أكبر.. يا   اللَّه أكبر منك الخير والنِّعمُ

أنعمتَ بالبُرءِ يا ربَّاه منكَ على   أبي سعيد فزال البرحُ والألمُ

حمداً وشكراً بما أوليت مكرمةً   الشّعر يشدو بها والنَّثرُ والكَلِمُ

عمرٌ مديدٌ لكمْ أدعو وعافيةٌ   لأنتَ، أنتَ لعمري المفردُ العلَمُ

فِعالكَ الغرُّ لا تحصي مآثِرها   وأنتَ أنتَ بدينِ اللَّه تعتصمُ

وفّقهُ يا ربُّ والأنجالُ واحفظهمْ   واجْعلهمُو قدوةً للنَّاسِ كلّهُم

مصر الجديدة في ١٢/ ١١/ ١٤٢٢

١٦/ ١/ ٢٠٠٢

أغنية خفيفة

لـــــســـــت أدري: أيـــن بـــدري: الآن يـــســـري
لـــــســـــت أدري؟

أيـــن صـــبـــحـــي: أيـــن حـــبـــي: أيـــن قـــلـــبـــي
لـــــســـــت أدري؟

يـا حـبـيـبـي أيـن أمـسـي مـن هـوانـا   أيـن أيـام مـضـت سـكـري لـقـانـا
غـشَّـنـي الـواشـون وأفـتـنـوا افـتـنـانـا   يـا حـبـيـبـي أيـن أمـسـي مـن هـوانـا
لـــــســـــت أدري؟

طـــي صـــدري: بـــرح هـــجـــري: أيـــن صـــبـــري
لـــــســـــت أدري؟

يـا حـبـيـبـي سـكـر الـكـون ونـامـا   وغـفـت يـا لـيـل كـاسـات الـنـدامـي
غـيـر أقـداحـي وأقـداح الـهـيـامـى   مـقـسـمـات بـالـهـوى ألا تـنـامـا
يـا حـبـيـبـي سـكـر الـكـون ونـامـا   فـإلامـا الـسـكـر يـا روحـي إلامـا
لـــــســـــت أدري؟

إلى الشباب الحجازي الناهض

إيـه أرض الـحـجـاز حـسـبـك ذكـراً قـــدك نـــشءٌ، غـــذوتـــه فـــأبـــرا
أنـجـب الـروض روضـك الـغـضُّ زهـرا يـافـعـاً نـاضـراً وقـد كـان خـيـرا
فـتـيـة أغـفـلـت بـه عـن رقـاد أو تـنـال الـعـلا وحـقـاً أغـرا
إيـه يـا أرض قـد ولـدت رجـالا زيـنـوا الـعـالـمـين عـصـراً فـعـصـرا
كـم بـيـرمـوك كـم بـمـؤتـة شـيـدت نـصـب الـنـصـر لـلـعـروبـة فـخـرا

* * *

يـا شـبـاب الـبـلاد كـونـوا جـمـيـعـاً أخـوة عـصـبـة جـهـاراً وسـراً
ثـابـروا فـي جـهـادكـم وأعـدوا خـلـقـاً بـاسـلاً وعـزمـاً وصـبـرا
حـقـقـوا الـظـن فـالأمـانـي سـبـيـل مـن يـغـامـر أتـتـه طـوعـاً وقـهـرا

* * *

يـا شـبـابـاً عـلـيـه نـبـنـي الأمـانـي اشـحـذ الـعـزم فـالـمـصـائـب تـتـرى
واصـل الـسـيـر فـالـحـيـاة نـضـال تـبـتـغـي قـوة وحـزمـاً وخـبـرا
أيـقـظ الـقـوم فـالـصـبـاح قـريـب واسـتـفـز الـقـلـوب نـظـمـاً ونـثـرا
اعـضـدوا بـعـضـكـم وسـيـروا بـجـد ويـحـكـم قـد كـفـى الـتـنـاوم دهـرا

المصدر: وحي الصحراء ص ٢٠٦.

انــصــروا الــعــلــم آزروه لــيــبــدو حــالــك الـجـهـل بـعـد ذلـك فـجـرا
واجـتـلـوا عـنـدهـا الأمـانـي وقـولـوا: لــيــعــش شــعــبــنــا عــزيــزاً وحــرا

الحــب

قـالـوا بـراك الـهـوى مـن لـوعـة الـهـجـر وكـثـرة الـنـوح آن الـلـيـل والـفـجـر
واهـتـاجـك الـشـوق لا دمـع يـكـف ولا وجـد يـخـف ولا عـون مـن الـصـبـر
ونـام غـيـرك مـرتـاحـاً ونـمـت عـلـى نار من السقم أذكى من لظى الجمر
مــا بــيــن آه وأواه ولــيــت وهــل لا تـسـتـقـر عـلـى حـال مـن الـفـكـر
لـم يـبـق فـيـك سـوى آمـال مـحـتـضـر يـرجـو الـحـيـاة ولـو فـي ظـلـمـة الـقـبـر
فـلـيـت مـن تـبـتـغـي تـحـنـو عـلـيـك ولـو بـنـظـرة تـبـعـث الآمـال فـي الـصـبـر
لـكـن لـيـلاك لا تـهـواك فـامـض فـمـا بـكـاك مـجـد ولا يـغـنـي عـن الـهـجـر
فقلت خلوا سبيلي لست مستمعاً لنصحكم فدعوني والهوى العذري

* * *

الـحـب لـولا الـشـقـا مـا سـاغ مـشـربـه ولا تـرنـم قـيـس الـشـعـر بـالـشـعـر
الـحـب سـهـل الـتـردي فـي مـسـالـكـه أمـا الـتـخـلـص فـهـو الـمـوت أن تـدر
وأنـت يـا عـاذلـي هـوّن عـلـيـك فـلـو عرفت حبي لما انقصت من عذري

* * *

تعالــي

تـعـالـي نـبـل الـشـوق مـن خـمـرة الـلـمـا ونـرشـف أكـوابـاً مـن الـحـب والـهـنـا
نـضـم فـؤاديـنـا بـنـفـح مـن الـرضـا ونشرب نخب الصفو من مبسم المنى
وقـومـي نـنـاغـي حـبـنـا فـوق نـغـمـة هي القبلات البكر من فيك تجتنى
فـيـنـجـذب الـصـدران من شدة الـهـوى ويـخـفـق قـلـبـانـا حـنـيـنـاً لـبـعـضـنـا

أغـرك مـنـي إن لـقـيـتـك بـكـرة أصد كـأن لـم يـجـمـع الـحـب شعـثـنـا
وهـالك مني الصبر إذ أجفل الكرى عن الجفن أن يبلوه بالسقم والضنى
ولم تدر ما بالقلب من لوعة الجوى ونـار الأسى واليـأس والبـؤس والعنا
ومـا آن أن تـنـسـى زمـانـاً بـه الـهـنـا حبانا وليل الإنس بالوصل ضمنا
هبيني اقترفت الذنب عمداً ألم يكن شفيعا هوى ما زال بالقلب مزمنا

* * *

أجـابـت أنـا والـلَّـه أهـواك إنـمـا أخـاف أبـي يـدري الـهـوى فـيـصـدنـا
ويمعن في ذلي وخسفي وشقوتي لـيـرهـبـنـي حتى أضحي بـحـبـنـا
فـآبـاؤنـا يـا صـاح شـبـوا بـبـيـئـة تـخـالـف في العادات أطباع عصرنا
فإن قلت أبغي ذا الفتى إنه فتى يفوق جمال البدر في الحسن والسنا
يماثلني في الخلق والعمر والحجى ويـربـط قـلـبـيـنـا غـرام تـمـكـنـا
لسلوا عليَّ اللوم والشتم أسهما وقـالـوا فـقـيـراً لا نـزوج بـنـتـنـا
يضحون بي يا منية القلب فدية على مذبح الأطماع في الجاه والغنى
ولم يعلموا أن الهوى إن تكالبت عليه الأيادي شق للنفس موطنا

* * *

الجامعة الوطنية[1]

صـاح إن تـبـغ نـهـضـة قـومـيـه وحـيـاة تـزيـنـهـا الـوطـنـيـة
وشـبـابـاً يـهـب إذ يـتـنـادى الـعـرب لـلـذود والـدفـاع حـمـيـه

---

(١) قصيدة ألقيت في حفلة هذا المعهد السنوي في عاليه: لبنان.

فإلى أمنا الحنونة[1] أرسل   نشء هذي المواطن العربيه
روضة تزدهي بأسنى علوم   زينتها أنقى الصفات السنيه
روضة أنجبت لنا كل شهم   وطني تهزه الأريحيه
كيف لا وهي للفلاح تنادي   معشر العرب بكرة وعشيه
روضة أزهرت وهل تنبت الرو   ضة غير الأزاهر العنبريه

* * *

إن فيها لنا أناساً كراماً   صرفوا العمر في سبيل القضيه
يبذلون الأيام والعمر لا تفنى   البلايا عزماتهم والمنيه
اقسموا اليوم أن يربوا شبابا   طامحاً للعلا والحريه
يعشق الحق يعشق العيش حراً   ناشراً للسلام بين البريه

* * *

أيها الحاضرون تكريم نشء   فيه للعرب بالأماني بقيه
وبهم سوف نستعيد كياناً   حطمته المطامع الأشعبيه
شجعوا رافعي العلوم لترقي   أرضنا بالمعاهد العلمية
فهم النور إن دجا ليل جهل   وهم الترس إن دهتنا البليه

* * *

أيها النشء من عليه الأماني   يا عماد البلاد يوم الرزيه
اعضدوا بعضكم وسيروا بجد   واقتلوا كل نعرة عصبيه
فلكم أسدل التعصب سدفا   دون فكر لوحدة قوميه

---

(١) لقب يطلق على الجامعة الوطنية.

واعــلــمـوا أنـنـا وإن فـرقـتـنـا ... خـطـط الـغـرب أمـة عـربـيـه

لـيس يـجدي الـكلام ما لـم يـجمل ... بـجـلـيـل الأفـعـال مـنـا سـويـه

احـرثـوا الـحـقـل أسـسـوا شـركـات ... وارتـدوا الـمـلابـس الـوطـنـيـه

وابـذلـوا مـا اسـتـطـعـتـم جـهـادا ... كـي تـمـوت الـمـصـانـع الـغـربـيـه

* * *

واسـلـمـي أمـنـا الـحـنـونـة يـمّـاً ... زاخـراً بـالـمـبـادىء الـوطـنـيـه

انـشـري الـعـلـم فـهـو خـيـر لـواء ... فـلـيـفـيّـىء هـذا الـلـواء الـبـريـه

لـيـس فـي كـفـنـا سـلاح سـواه ... فـي نـضـال مـع الـشـعـوب الـقـويـه

إليهـا . . .

من الصادح الغريد في فحمة الدجى ... يسائل عن «ليلى» وما عنه من روى

أغيري شدا واستعذب السقم في الهوى ... وأخـضـل ردنـيـه الـبـكـاء ومـا ارتـوى

أحـبـك حـبـاً صـادقـاً لا تـشـوبـه ... مـكـائـد شـبـان يـعـيـشـون بـالـلـوى

واعلم مهما يحو قلبي من الهوى ... فـليس بكـافٍ أن يـلـينـك مـا حـوى

وكلت إليه البث في الأمر فاحكمي ... كما شئت إني طائع مسلم القوى

* * *

أجابت وقد لاح العبوس بوجهها ... جـلـيـاً وبـوق الـشـر بـالـبـيـن قـد دوى

أمـثـلـك يـا هـذا جـديـر بـحـبـنـا ... أمـثـلـك غـر يـبـتـغـي عـنـدنـا الـدوا

أتـشـكـو إلـيّ الـبـرح مـن أنـت يـا تـرى ... وهـل لـو ضـيـع بـالأكـارم مـسـتـوى

وهـب كـنـت مـن بـيـت رفـيـع عـمـاده ... أيصدق شاب العصر في الحب إن هوى

كـثـيـر مـن الـشـبـان يـغـرون فـتـيـة ... بحب وتحت الحب خبث قد انضوى

يـكـيـلـون ألـفـاظ الـغـرام تـزلـفـا ... لـهـن إلـى أن يـوقـعـوهـن فـي الـهـوى

بـهـذا الـهـوى انـقـضـوا ذئـابـا كـواسـرا　　تـمـزق ثـوب الـعـفـة الـخـافـق الـلـوا

وظـلـوا بـهـذا الـروض يـجـنـون زهـره　　وكـل جـمـال سـوف يـدركـه الـدوى

ومـذ أذبـل الـروض الـنـضـيـر تـنـكـروا　　لـهـن وصـرح الـطـهـر قـد مـال وانـهـوى

فـكـانـت مـواخـيـر الـدعـارة مـلـجـأ　　إلـيـهـا ضـحـايـاكـم تـسـاق إلـى الـثـوا

أجـل هـذه يـا شـاب نـبـل فـعـالـكـم　　فـهـل بـعـد هـذا نـفـتـح الـقـلـب لـلـهـوى؟

لئن عدت تشكو الحب أخبرت والدي　　لـعـلّـك تـلـقـى عـنـده الـداء والـدوا

* * *

قـسـوتِ لـعـمـري ربَّـة الـطـهـر فـارفـقـي　　ولا تـزنـي كـل الـشـبـاب عـلـى الـسـوا

فـمـا كـل مـن سـحَّ الـدمـوع بـعـاشـق　　ولا كـل سـهـران يـؤرقـه الـطـوى

سقيت غرامي من دموعي فما ارتوى　　وعنفت قلبي عن هواك فما ارعوى

ومـا أنـا مـمـن يـدمـل الـهـجـر جـرحـه　　ويطفىء نور الحب في نفسه النوى

أقـضـي الـلـيـالـي سـاهـراً دامـي الـحـشـا　　أقاسي صنوف البؤس والسقم والجوى

وحيداً طريداً لا سمير سوى الأسى　　وقـفـر مـن الآلام أطـويـه مـا انـطـوى

هو الحب ما استولى على قلب عاشق　　نـدي الـهـوى إلا بـه أوهـن الـقـوى

أغنية ريم الحسا

طـال لـيـلـى فـي هـواكـم والأسـى ولـهـيـب الـحـب فـي الـقـلـب قـسـا
وأنـــا مـــا بـــيـــن آه وعـــســـى نـظـرة مـنـكـن يـا ريـم الـحـسـا
طـال لـيـلـي فـي هـواكـم والأسـى إيـه دار الـحـب أيـن الـصـحـب لا
مـشـفـق فـيـهـم عـن الـمـضـنـي سأل كـلـمـا جـئـت تـذكـرت الـهـوى
فاستجد الشوق والدمع استهل

* * *

كـم لـنـا يـا ريـم مـا بـيـن الـنـخـيـل مـن لـقـاء فـي سـويـعـات الأصـيـل
والـهـوى ظـل عـلـى الـحـب ظـلـيـل فـيـه مـا يـشـفـي فـؤادي الـعـلـيـل

* * *

مـا كـفـى قـلـبـي صـدود وجـفـا مـا كـفـى جـسـمـي سـقـام وعـلـل
كـم شكَوْت الـحـب في سر الـدجـى واحـتـسـيـت الـدمـع مـن حـر الـفـشـل

* * *

طـال لـيـلـى فـي هـواكـم والأسـى ولـهـيـب الـحـب فـي الـقـلـب قـسـا
وأنـــا مـــا بـــيـــن آه وعـــســـى نـظـرة مـنـكـن يـا ريـم الـحـسـا
طال ليلى في هواكم والأسى

أغنية ضفاف الهوى

على ضفاف الهوى أنت وأنا   يا ما سهرنا سوا
حكاية ورا حكاية   ورواية بعد رواية
وكلمة تشيع كلمة   وبسمة تودع بسمة
على ضفاف الهوى   أنت وأنا : يا ما سهرنا سوا

* * *

وطيوف وأحلام   وليل كله غرام
وهمسة تقول لهمسة   يا ريت يطول المسا
على ضفاف الهوى   أنا وأنا : يا ما سهرنا سوا

* * *

ودنيا طرب وأنغام   هيمانة ويانا
والليل حلف ما ينام   سهران معانا
على ضفاف الهوى   أنت وأنا : يا ما سهرنا سوا

* * *

زمان يا ريتو ما كان   ولى وأمسى في خبر كان
ودنيا حلوة مرت كأوهام   وليل طويل من الأحزان
وكل ما ذكرت يا روحي الأيام   بكيت بحرقة وأشجان
على ضفاف الهوى   أنت وأنا : يا ما سهرنا سوا

أغنية مصيف الطائف

ضاع في «الطائف» قلبي   وعلى واديه حبي
فاسألوا المثناة عنه   هل رأت في الروض قلبي؟

* * *

ضاع فكري ورشادي   فيك يا درب «السداد»
والغواني في الوهاد   والمها في كل وادي

* * *

يا مصيف الندامى   والعذارى والهيامى
في هوى غيدك يا ما   ذقت صدا وسقاما

* * *

كم على «القيم» سهرنا   كم على «قَرْوَة» عشنا
سل «أبا صحفة» عنا   سل «شهارا» كيف كنا

* * *

يا حبيبي أنت قلبي   أنت غايات التمني
في ربي «الطائف» عمري   فيه ما قد ضاع مني

* * *

يا مصيف الندامى   والعذارى والهيامى
في هوى غيدك يا ما   ذقت صدا وسقاما

أغنية الحب الضائع

عــلــى طــريــق الــهــوى أنــا ســايــر هــايــم وتــايــه مــعــذب حــايــر
قــضــيــت ســنــيــن وأيــام صــابــر والــشــوق بــركــان بــقــلــبــي ثــايــر

على طريق الهوى أنا ساير

وكنت أقول لقلبي يا قلبي بكره حبيبك يلين ويتعطف بنظره
ويــحــن ويــرق عــلــيــك ولــو مــره وما دريت قلبو أقسى من الصخره
عــلــى طــريــق الــهــوى أنــا ســايــر هــايــم وتــايــه مــعــذب حــايــر
قــضــيــت ســنــيــن وأيــام صــابــر والــشــوق بــركــان بــقــلــبــي ثــايــر
لــمــيــت أشــلاء قــلــبــي الــحــزيــن وحبي صبرتو بدمعي السخين
ولــيــلــي طــويــتــو بــكــا وأنــيــن وصبحي قضيتو شوق وحنين
عــلــى طــريــق الــهــوى أنــا ســايــر هــايــم وتــايــه مــعــذب حــايــر
قــضــيــت ســنــيــن وأيــام صــايــر والــشــوق بــركــان بــقــلــبــي ثــابــر
و (للرياض) شكيت برحي وتعذيبي والليل يا ناس اشتكى من نحيبي
وعــلــى طــريــق الــهــوى أنــا ســايــر هــايــم وتــايــه مــعــذب حــايــر
قــضــيــت ســنــيــن وأيــام صــايــر والــشــوق بــركــان بــقــلــبــي ثــايــر
جــروحــي طــالــت ولــيــلــي طــال ولا مــن حــبــيــبــي عــنــي ســؤال

وفـيـن هـو . . هـو شـاغـل الـبـال أتـاريـه نـايـم فـي أحـلام وخـيـال

عـلـى طـريـق الـهـوى أنـا سـايـر هـايـم وتـايـه مـعـذب وحـايـر

قـضـيـت سـنـيـن وأيـام صـابـر والـشـوق بـركـان بـقـلـبـي ثـايـر

يا أبا الشعب . .

رزىء الــديــن فــي أعــز نــصــيــر فــابــكــه يــا دنــا بــدمــع غــزيــر
ذهل المسلمون واعتراهم وجوم مثل يوم انتقال طه البشير
وتراءى «الفاروق» وهو مسجى ولهيب من الأسى في الصدور
فإذا المسلمون فيه ثكالى ويتامى لدى المصاب الكبير
فقدوا رائد التضامن حقاً فقدوا فيصل «العبور» والتحرير
فقدوا المدره المحنك يوم الروع وجيش العدو ملء الثغور
فإذا «فيصل» يلوح بالحق فيصمى به العدا في النحور
وإذا تلكم الحشود هباء بددتها يد العلى القدير

* * *

يا أخا المكرمات قولاً وفعلاً وسليل الأمجاد عبر العصور
ما تأخرت إذ توانى أناس بل تقدمت كالهزبر الهصور
كنت تدعو لرد حق سليب في يدي غاصب أثيم غدور
كنت تدعو إلى الجهاد بعزم من يقين ورفقة من نور
فإذا المسلمون حولك صف وجموع تصد كل مغير
ترخص النفس والنفيس فداء يالثارات «قد سنا» الموتور
كنت حرباً على الزمان شديداً كنت رفداً وغيث بر مطير

فـــإذا الأمـــن مـــا لـــه مـــن مـــثـــيـــل   فـي الـبـرايـا ومـا مـضـى مـن عـصـور
وإذا هـــــذه الـــــبـــــلاد بـــــحـــــق   قـبـلـة الـديـن والـعـطـاء الـكـثـيـر
فـحـجـيـج الـوفـود مـن كـل فـج   وعـلـى ضـامـر وسـابـحـات الـنـسـور